

الدراســـــات الاجتماعية
فى المجتمعات البدوية

دكتـــــور

محمد على أحمد قطان

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من وقفت بجانبي

إلى من شدت أزري

إلى من هيأت أجواء بحثي

إلى زوجتي.

محمد علي قطان

٢٨/١/١٤٠٠هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ..

تتطلب النظرة العلمية من الباحث أن يقوم بمعالجة شاملة للظواهر حتى يحيط بكافة نواحى الموضوع المطروح للبحث ، ويحصل على نتائج سليمة فيربط بين الظواهر ربطا عاما وعلميا .

وكما أن الظواهر الطبيعية تتشابك فيما بينها تشابكا عالميا ، كذلك الحال بالنسبة إلى الظواهر الاجتماعية ، فالانسان يعيش فى مجتمع كائن فى طبيعة معينة ، ومن ثم يرتبط فكر الانسان ، وعاداته وأخلاقه بظروف المجتمع ، وهذه بعناصر الطبيعة التى تتفاعل فيها .

أنظر كيف يتميز مجتمع الزراع بالرغبة فى الاستقرار لرعاية الزرع ، وكيف يغلب على مجتمع الرعاة كثرة التنقل ، سعياً وراء العشب . لقد اختلفت عقلية الإنسان بناء على إختلاف المجتمع الذى يعيش فيه ، طبقاً لتباين ظروف الطبيعة ذاتها .

ومن جهة أخرى ، أن الربط العام للظواهر يقتضى الربط بين فروع العلم المختلفة . أن نظم القانون نابعة من ظروف المجتمع ، ويصدق ذلك على الأخص فى مجال نظام الأسرة . ومن ثم يتعين على الباحث الكشف عن العلاقة بين القانون ونظمه وبين الأوضاع الاجتماعية ، إقتصادية ودينية التى نشأ فيها القانون ونبعت منها نظمه ، ثم يجتهد فى الربط بين القانون ونظمه من ناحية وبين فروع النتاج الفكرى الأخرى مثل علم الإجتماع ومبادىء الإقتصاد والتاريخ العام ونفسية الشعوب .

ولايقتصر المنهج العلمى على الربط العام للظواهر ، والمعالجة الشاملة للموضوع ، بل يهتم أيضا بنشأة الظواهر وتطورها سايرا غور الزمان ، سائلاً التاريخ حكمة ، فالأرض فى دوراتها حول الشمس هى نتيجة تطور بطىء تم عبر ملايين السنين ، والجبال الشاهقة تتآكل تدريجياً من تفاعل عوامل الطبيعة ، وسواحل البحر تتقدم فى المياه أو تنحسر إلى الداخل طبقاً لتقلصات القشرة الأرضية ، والوضع لايختلف بالنسبة للفصائل الحيوانية ،

هى فى تطور مستمر وأن كانت توحى بالثبات والمجتمعات البشرية أيضاً تتحول من القنص إلى الرعى إلى الزراعة إلى التجارة فالصناعة ، والأنظمة الإجتماعية تتبدل هى أيضاً .

فلا علم من غير نظرة شاملة للظواهر ، تعتمد على الربط العام الشامل وتحلل التطور التاريخى ، فتمد بساط البحث عرضاً وعمقاً .

وفى صدد البحث عن العوامل المؤثرة على نشأة النظم القانونية وتطورها ، يجب النظر إلى الوقائع الإجتماعية أى إلى أنماط السلوك الإنسانى على انها وقائع طبيعية تخضع لقوانين طبيعية فان الانسان إذا وضع فى ظروف معينة يتصرف بطريقة معينة يكشف عنها الاختبار والمشاهدة ومن ثم يجدر استبعاد كل فكرة قبلية يعوزها الدليل العلمى ، نحن نتحمس لمعتقداتنا حماساً يكسب مضمون هذه المعتقدات نفوذاً أدبياً يمانع فى أية مناقشة لها . شأن ذلك شأن الملكية والصداقة ، تمتد جذورها فى الزمان ، ومن العسير على الإنسان أن ينزع نفسه من المغاور الصخرية التى قبع فيها طويلاً ، دون أن يغلب عليه الإحساس بأنه يعتدى عليه فى حياته ذاتها .

ويعيش كل مجتمع بشرى فى بيئة معينة تتكون فى جوهرها من طعام ومناخ ، أن البيئة تشكل عاملاً رئيسياً فى حياة البشر يتعذر تجاهله أو التقليل ن شأنه لما له من صلة مباشرة بالطعام فالمناخ يحدد نوع النبات وبالتالى فصائل الحيوان ، ومن ثم يتحكم فى وسيلة التعيشّ للانسان ، الأمر الذى ينعكس على تكوين المجتمعات ، على الأخص فى المراحل البدائية الأولى قبل نشأة المدنيات الكبرى .

وليس هذا الموضوع بجديد ، فلقد تنبه إليه العلماء فى كافة العصور فأبرزوا أثر الجبال والوديان على التكوين الجسمانى والعقلى للانسان كما تحدث (ابن خلدون) عن أثر المناخ على أحوال البشر ، فذكر المعتدل من الأقاليم والمنحرف ، وبين تأثير الهواء فى ألوان الأجسام .

ومن أشهر من عنيوا بابراز الصلة بين البيئة والمناخ وبين النظم القانونية العلامة (مونتسكو) فى القرن الثامن عشر . غير أن خضوع الإنسان للبيئة ليس خضوعاً تاماً كما كان يظن (مونتسكو) . فان ماميز الانسان

عن سائر الحيوان هو القدرة على إختراع اصملالات . وهذا مكنه دون غيره من السيطـرة إلى حد كبـير ، على إنتـاج الطعـام وعلى تسخـير البيئــة واستغلالها .

ومن جهة أخرى ، هناك حدود لامكانيات الإنسان فى تطويع البيئـة تتمثل فى المناخ والتضاريس ومايطى الأرض من نبات ومايحتويه باطنها من معادن ، فمازال الإنسان إلى اليوم عاجزا عن استغلال القطب الجنوبى وأجزاء كبيرة من الصحراء ، وإذا كان الإنسان حراً فى اختيار إمكانيات البيئة ، فان هذه الإمكانيات محددة بظروف البيئة الجغرافية فالتأثير بين الإنسان والبيئة تأثير متبادل كل منهما يترك طابعه على الآخر .

على أية حال ، لاب من توافر عاملين لاستقرار الجماعات البشرية : سند نباتي وحيواني ، يوفر لها الطمأنينة على الغد ، ثم مكنه من إستغلال هذا النبات والحيوان لصالحها .

من الأقوال التى لاتحتاج إلى دليل ، أن عالمنـا اليـوم وبخاصـة فى شعوب البلاد (النامية) حمداً متعالياً من الخوف على ماتتردى فيـه من تخلف إقتصادى وإجتماعى ، ومن الطموح الجارف إلى الإرتفاع إلى الهـوة والإنطلاق إلى حياة أفضل .

فسكان البلاد المتقدمة تمكنوا من الإنتقال من مرحلة التخلف والعوز والجهل مستعينين بالأساليب العلمية والعلمية الصناعية الحديثة ، وبدأوا يكتنزون من الثروة ورؤوس الأموال اللازمة للتشمير العمرانـى المتقـدم وسلع الحياة الدنيا ، ويستكثرون من مقومات العمران الحديث ووسائـل المتعة الثقافية والفنية ، ماهو خليق أن يجعل الحياة أدنى إلى الرضاء والوفر والراحة .

وأما سكان البلاد المتخلفة والنامية ، الذين يبلغون نحو ثلثى سكان الأرض ، فيعيشون ـ على الأكثـر ـ فى جهـل وفاقـة سوداء ولايـكادون يصيبون من الطعام إلا مايسد الرمق ويصبحون ويمسون وهـم عرضـة للأمراض والأوبئة وعوادى الطبيعة ، وليس بين أيديهـم مايواجهونهـا أو يدرأونها به وهم يعرفون بالحديث المتواتر والصور المنقولة شيئاً عن الحياة الوافرة التى يحياها سكان البلاد المتقدمة .

ويقابل هاتين الحالتين ، بلادنا (المملكة العربية السعودية) التى تعدّت مرحلة التخلف وفى طريقها إلى نهاية المشوار فى النمو الاقتصادى والتطور الإجتماعى لأفرادها ، ويرجع ذلك الفضل إلى الله سبحانه وتعالى وإلى قوانين الدين الإسلامى وإلى عدد لايحصى من الآباء وعلماء الإقتصاد والإجتماع وذوى المكانة فى الحكومة والجامعات والمنظمات ، بدأ يتبدى فى مشروعات متباينة من المعونات الإقتصادية تسديها الدولة إلى الأفراد والجماعات والهيئات الإجتماعية ، لكفاح الأمية والمرض وتدريب المعلمين وتحسين الزراعة والرعاية للبادية ، ورفع مستوى التغذية وغيرها .

والله الموفق ،،،

دكتور / محمد على قطان

الفصل الأول

- ماهية البداوة
- البداوة العربية
- تعريف البداوة العربية
- البيئة وأثرها فى البداوة العربية
- القيم الفاضلة فى البداوة العربية
- الفروق الاجتماعية بين البداوة والحضر
- مظاهر البداوة وحجمها



ماهية البداوة

ان الإنسانية قد نشأت بين أحضان البداوة ، حيث كانت بداوة ماقبل التاريخ ترتكز على عدم الإستقرار والتنقل سعياً وراء مصادر العيش ومن هنا كان الإجماع على أن الإنسان بدأ حياته بدويا وظل على بداوته وتجواله حتى استقر على شواطىء الأنهار بعد اكتشافه للزراعة .

وإذا كانت البداوة تقوم على التنقل الذى تعقبه إقامة مؤقته ، فان مدى هذا التنقل تحدده طبيعة النشاط الإقتصادى والاجتماعى ، فالرعاة هم أكثر البداوة تجوالاً وأقلهم استقراراً ، على أن الرعى نفسه يتأثر فيما تفرضه من الحركة بنوع الحيوان الذى ترعاه .. فرعاة الخيل والأبل والبقر أكثر تجوالاً فى الأرض من رعاة الضأن والماعز الذين يحومون حول حواف الصحراء دون التجاسر على إقتحامها .

وعلى هذا الأساس فان البداوة إصطلاح يطلق على طبيعة فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة وسلوك خاص ترسمه البيئة المحيطة بهم ولاتسمح باقامة حياة سكانية مستقرة ، فالبداوة تعنى الترحال وعدم الاستقرار فى مكان ثابت طوال العام إذ تضطر بعض الجماعات أن تغير مناطق إقامتها من آن لآخر أو من فصل لآخر سعياً وراء العيش أو الرعى أو التجارة كما هو الحال فى كثير من أقاليم والصحارى .

وكذلك فان البداوة مرحلة حضارية قديمة كانت تمثل حياة الإنسان كله على سطح الأرض منذ نشأته حتى العصر الحجرى الحديث ، والبداوة الحالية من الناحية الحضارية عبارة عن حالة متخلفة عن المرحلة الأولى للإنسان ، ومن الناحية الجغرافية عبارة عن حالة ملاءمة بشرية بين هؤلاء المتخلفين وبين ظروف البيئة الطبيعية .

وإذا كانت معظم التعريفات للبداوة تميل إلى الربط مابين ظاهرة البداوة وبين المجتمعات الصحراوية بحيث تكاد ـ بشكل أو بآخر ـ تنصب على نمط واحد من البداوة ، وتعنى به البداوة الرعوية . لاشك أن البداوة الرعوية ليست هى نمط البداوة الوحيدة حيث توجد إلى جوارها عدة أنماط أخرى رئيسية أهمها :

١ ـ بداوة الجمع والإلتقاط .
٢ ـ بداوة الصيد .
٣ ـ بداوة الرعى .
٤ ـ بداوة الزراعة البدائية .

ومن الصعب أن نقرر أنه يوجد نمط بداوة متمايز أى يسود بصفة مطلقة وإنما قد تتداخل هذه الأنماط وقد تتواجد معا فى آن واحد ، ولكن يظل بروز واحد منها شيئا ضروريا للدلالة على مرحلة حضارية معينة ، كما أنه لايعنى تتابع هذه الأنماط بالضرورة تدرجاً زمنياً لها ، فكثير من المجتمعات قد تعرف نمط الجمع والإلتقاط والصيد والزراعة البدائية ، أو حتى الزراعة الراقية دون أن تمر أو تعرف بداوة الجمع والإلتقاط أو الصيد بمفهومه المرتكز على القنص كما هو الحال بالنسبة لكثير من المجتمعات البدوية العربية حيث عاشت منذ القدم وحتى اليوم فى ظل نمط البداوة الراعية .

صحيح أن الصحراء بطبيعة مواردها الاقتصادية ، تفرض على أهلها بداوة ، ولكنها مع ذلك ليست مسرح البداوة الوحيدة لا فى التاريخ القديم ولا فى التاريخ الحديث ، فمايزال كثيرون من الأفريقيين يعيشون فى حالة بداوة فى قلب غابات السافانا الإستوائية حيث يمارسون الزراعة المتنقلة والصيد ويمارس آخرون منهم الرعى .

ومن هنا فان كل صحراء تهيىء لحياة البداوة ، ولكن ليس كل حياة بداوة هى حياة الصحراء ، ولعل إرتباط البداوة العربية بالصحراء وما انطبع منه فى تراثنا ، لعل كل ذلك يؤكد صورة البدوى الصحراوى فى أذهاننا .

وإذا كانت البداوة ليست وقفاً على الصحراء ، فانها ليست كذلك وقفاً على العرب ، ذلك أن تصور البداوة يرتبط فى أذهاننا بالعربى وبالجمل ، ومع ذلك فان البداوة اليوم فى العالم من غير العرب هى أضعاف أضعافهم من العرب . وإذا كان الجمل هو عنوان البداوة فى منطقتنا فان البقر مثلا عنوان البداوة فى أفريقيا . على أنه حتى فى المنطقة العربية خاصة فى أفريقيا العربية توجد جماعات بادية لاتنسب إلى العروبة إنتساباً دموياً ، وإن كانت تنتسب إليها حضارياً ، فهم مسلمون وذلك مثل قبائل البربر فى الصحراء الكبرى والباجا فى شرق السودان .

وقد ظلت البداوة تمارس نفوذاً خلقيا متصلا مع الحياة العربية ، فمازالت كثير من النظم الإجتماعية وأنماط السلوك والقيم البدوية تتعايش حتى فى العواصم والمدن العربية المعاصرة جنباً إلى جنب مع التصورات والقيم الغربية ، وتكاد تنفرد بشخصيتها فى المجتمعات العربية القروية . ذلك أن البداوة العربية اتصلت بحضارة العرب الكبرى وارتبطت بظهور الرسالة الإسلامية فأصبحت مستودع الفضائل ومستقر المثل ، ومناط الأحلام ، فهى صفحتهم الخلقية والروحية وهم مجدهم السياسى ، ولعلنا نلمح ذلك الاعتزاز بهذا التراث الذى انبثق من البداوة العربية ومن قيمها وفضائلها فى آثارها الفكرية والأدبية .

وليس من شك فى أن البداوة أصل الحضارة العربية ، ذلك القول تناقله الباحثون فى شئون الحياة العربية والتاريخ العربى منذ القدم ، وليس الأمر فى ذلك القول مقصوراً على موجات الهجرات التى خرجت من البادية موجة بعد موجة ليستقر أصحابها فى أرض السواد ومواطن الاستقرار فى الواحات والأودية والسهول وعلى الشواطىء ، وانما هو ينصرف كذلك إلى أن البادية كانت مواطن الأصول الأولى للنظام الاجتماعى العربى ولطائفة كبيرة من الأنماط والعادات والشيم والقيم الإنسانية والفكرية والروحية التى خرج بها أصحابها من قلب الجزيرة العربية ليستقروا على أطرافها فى جنوب غرب آسيا أو فى شمال أفريقيا أو حتى فيما وراء ذلك بالبر والبحر .

ولقد اختلفت صلة البادية العربية بما حولها من أراضى الاستقرار خلال التاريخ إختلافاً واضحاً عما كان عليه من صلات بين بادية أواسط آسيا وسهولها من جهة ، وأراضى الزراعة والحضارة فى الصين أو فى شمال الهند أو قلب أوروبا من جهة أخرى . ذلك أن البادية فى شمال الجزيرة العربية أقل فى الكلأ والنضرة وغزارة الأمطار منها فى قلب القارة الآسيوية حيث أكثر عمرانا بالنبات والمرعى والثروة الحيوانية التى عمادها الحصان الذى يستخدم فى الغزو والفتح ، وذلك بخلاف الجزيرة العربية حيث حيوانها الأصيل هو الجمل الذى يستخدم فى التنقل وحمل السلع والتجارة فى قوافل تسير متهادية بين شواطىء الجزيرة العربية فى الجنوب والشرق وفى الشمال والشمال الغربى .

ومن هنا فان هجرات البدو من داخلية آسيا كانت دائماً تجيىء فى أعداد كبيرة من الناس يشبه خروجهم من السهل العارم أو الطوفان يطغى على كل ما فى طريقه ، وكثيراً مايحمل معه الخراب والدمار حينما يندفع فرسان داخلية آسيا من المغول والتتار والأتراك وغيرهم إلى أقصى الشرق أو إلى الجنوب أو إلى أقصى الغرب . أما الجزيرة العربية فان فقر مراعيها النسبى جعل الهجرات تخرج منها فى شكل موجات قليلة العدد يسير معظم أفرادها من وراء الأبل حداة تتهادى موجاتهم على نحو يندر أن ينتهى بهم إلى أن يطغو طغياناً كاملاً على ماحولهم من أراضى السواد ، خصوصاً وأن أطراف باديتهم قد عرفت منذ القدم رسالة السماء التى أضفت على سلوك أهل الصحراء مبدأ جديداً فى مجال العلاقات الإنسانية ، ووضعت بينهم فى عهد الإسلام رسالة وكتاباً لم يتح لمثلهم من رعاة آسيا الداخلية الذين خرجوا على ظهور جيادهم أشداء السواعد غلاظ القلوب فدمروا الحضارة فى قسوة وكادوا فى بعض الحالات أن يدركوا كل معالم المدنية والتراث الإنسانى .

وتقترن البداوة العربية عادة بالصحراء ، وتنقل أبنائها فى مناطق متباعدة منها سعياً وراء الكلأ وموارد المياه لصيانة حياتهم ومايتصل بهذا النمط من أنماط الحياة من تكوين عادات وتقاليد حميدة كالكرم والشجاعة والنخوة والوفاء والمحافظة على حقوق الغير وما إلى ذلك من الإنسانية الفاضلة التى نمت فى الجو البدوى وساهمت مساهمة فعالة فى تقدم الحضارة الإنسانية .

غير أن المناطق البدوية تعتبر حالياً (نتيجة للتقدم الزراعى والصناعى والحضارى وما أصاب هذا التقدم من تغير فى مقاييس التقدم والتحضر) تعتبر هذه المناطق البدوية أميل إلى التخلف ، ويحتاج النهوض بها إلى جهود وطرق ووسائل فنية معينة تراعى فيها الظروف الطبيعية والبيئة التى تحيط بالبدو .

وليس من شك فى أن المدنية الجديدة وإتصال العالم العربى بفنون من التطبيق العلمى الحديث والحضارة المعاصرة قد وضعت البادية العربية فى موقف لاتستطيع معه الجمود . بل ولاتملك إلا أن تسعى ببعض عناصرها إلى الاستقرار فى مناطق التوسع الزراعى أومناطق البترول أو الصناعة أو فى غير ذلك كله من مناطق الاستقرار الجديدة وليس من شك أيضاً فى أن العصر الجديد يقتضى أن يجيىء الاستقرار والتوطين على أساس مدروس ووفق خطة علمية تجارى الزمن

ولكنها تصون القيم والتقاليد والعادات الأصيلة والنافعة فى حياة البدو ، بحيث لايجيىء الاستقرار الجديد امتصاصاً كاملاً للأنماط البدوية من حياتنا العربية أو تدميرا لها أو طغيانا على كل معالمها فتموت جذورها فتخسر الحياة العربية والفكر العربى أصلاً من أصوله كان على مر التاريخ مصدر قوة ومكمن أصالة ومعين تجديد فى الدم والفكر والعاطفة والعمل الإنسانى الخلاق .

البداوة العربية

كان لابد من الإشارة إلى تعريف البداوة العربية ، وطبيعة حياة البدو من تنقل وترحال ، ثم اشارة إلى البيئة العربية وأثرها فى حياة البداوة ونشاط البدو فى جزيرة العرب ، وفى هذه البيئة تأثرت البداوة العربية الى حد كبير لأنها بيئة طبعت حياتهم بطابع العزلة وعدم الاستقرار ، لقد كانت بيئة قاسية : مناخاً جافاً وصحراء جافة وكان لزاما على البدوى أن يتكيف معها وإلا فقد حياته فى رمالها البعيدة الغور .

وفى الحديث عن القيم الفاضلة فى البداوة العربية تناولت بايجاز الشجاعة والكرم والوفاء وحب الحرية والنجدة وحماية الضعيف ، وحاولنا أن نربط بين هذه الصفات والعلاقة الاجتماعية السائدة بين أفراد تلك البيئة ، وبرغم قلة المصادر والمراجع التى تتحدث عن تلك الصفات كخاصية إجتماعية لها ، تحليلها الاجتماعى ، إلا أن كتب الأدب والتاريخ الجاهلى قد تناولت تلك المزايا من زاوية سطحية دون أن تتعمق إلى التحليل الاجتماعى وتبيان الأسباب والعوامل التى تحدد بواعث وأسس قيمة فاضلة كالكرم مثلا .

وقد اقتصرنا الحديث على محاسن البداوة دون التطرق لمساوئها لأن الإسلام قضى على تلك المساوىء لأنها رذيلة فى ذاتها ، ثم أن الإسلام أتى بروح جديدة وأسس جديدة ، ومع ذلك أبقى على الصفات الفاضلة التى كانت سائدة فى البداوة العربية بعد أن هذبها ورقاها لتتلائم مع روحه الجديدة .

والرد على محاولة البعض بتصوير البداوة العربية خالية من الفضائل والقيم بعيدة بعداً كبيراً عن واقع تلك البداوة وما احتوته من أخلاق وقيم وحاولنا الحديث عن أهمها كظواهر سادت فى تلك البيئة العربية .

تعريف البداوة العربية

تعنى البداوة بصفة عامة الترحال وعدم الاستقرار طلباً للماء والكلأ ، وهى طور طبيعى فى الحضارة لأن كل حضارة بدأت بدوية ثم تطورت بتوسع الناس فى المطاعم والمسكن والسلوك والعلم حتى أصبحت حضارة مدنية كالتى نشهدها اليوم[1] .

والبداوة تعني الاكتفاء بالضرورى من أسباب المعاش ، لأن حياتها تقوم على الترحال وعدم الاستقرار ، وترتب على ذلك أن سكن البدوى العربى الخيام ، واتخذ من الحيوان ، الأبل والخيل والغنم (الضأن والماعز) وذلك لقدرة هذه الأنعام على الرحلة معه فى بيئته الصحراوية[2] .

وفى البداوة العربية تعتبر القبيلة هى الوحدة الاجتماعية والسياسية وكل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين أفرادها على أساس وحدة الدم ووحدة الجماعة ، وفى ظل هذه الرابطة ، وظل القانون العرفى الذى يسود على أساسها ، أنقسم المجتمع القبلى إلى ثلاث طبقات اجتماعية وهى طبقة الأحرار أبناء القبيلة الصرحاء ، وطبقة الموالى الذين انضموا إلى القبيلة من العرب الأحرار من غير أبنائها أو من الأرقاء ، وأخيراً طبقة الأرقاء وهم أسرى الحرب[3] .

وإذا كان للبداوة العربية حضارتها فانها فى مستواها لم تكن أقل من الحضارات الأخرى المعاصرة لها من حيث الجانبان الروحى والأدبى حيث أن لغة أولئك البدو كانت أتم اللغات السامية ، ثم كانت هناك القيم التى حفظت فى الأدب الجاهلى وتمثلت فى مثل عليا وآراء سامية فى الحياة تدل كلها على المستوى الذى وصل إليه أولئك البدو فى حياتهم العامة والخاصة[4] .

والبداوة العربية تشمل عرب الشمال حيث كانت حياتهم فى معظمها

---

(١) فروخ ، عمر ، العرب فى حضارتهم وثقافتهم ، ص ٥٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٦ م .

(٢) فروخ ، عمر ، العرب فى حضارتهم وثقافتهم ، ص ٤٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٦ م .

(٣) الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة فى الجاهلية والإسلام ، ص ٣١ ط ٢ ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

(٤) العرب فى حضارتهم وثقافتهم ، مرجع سابق ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

بدوية ، ماعدا بعض مناطق الاستقرار فى مكة ، ويثرب ، والطائف وبعض المناطق فى الشام ، والخليج العربى ، وكانت مراكز البداوة فى تهامة ونجد وصحراء النفود وبوادى الشام والدهناء .

وقد ورد لفظ الجاهلية يحدد الفترة قبل الإسلام ، والمعنى بها العرب الذين عاشوا فى بوادى شبه الجزيرة العربية ومدنها ، ويلاحظ أن الجاهلية مشتقة من الجهل الذى هو ضد الحلم لا من الجهل الذى هو ضد العلم(١) .

والجاهلية تقابل كلمة الإسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل ومايطوى فيها من سلوك خلقى كريم ، ولقد دارت هذه الكلمة فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، والشعر الجاهلى بالمعنى الدال على الأثم والعدوان والحمية والعصبية والطيش والغضب ، ففى سورة البقرة يقول تعالى : « قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » . وفى سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » . وفى سورة الأعراف « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . وفى الحديث النبوى قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى ذر وقد عير رجلا بأمه » انك امروء فيك جاهلية » . وفى معلقة عمر بن كلثوم التغلبى يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن هنا نرى أن لفظ الجاهلية يعنى العصر السابق للإسلام وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر وغيرها من العادات السيئة التى قضى عليها الإسلام(٢) . ولايعنى تعميم اللفظ هذا أن البيئة العربية فى بداوتها قد خلت من كل المحاسن وانما كانت هناك فضائل سادت فى البداوة العربية وكانت رمزاً لتلك البداوة وقد حوتها آداب العرب من شعر وأمثال ، ولايخفى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أثنى على بعض الخصال الكريمة التى سادت فى البداوة العربية ، كما أن الإسلام قد حث على العادات الكريمة بعد أن هذّبها وطورها لتتلائم مع طبيعة المجتمع الجديد بقيمه الجديدة .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٢) ضيف ، شوقى ، العصر الجاهلى ، ص ٣٩ ، ط ٤ ، دار المعارف بمصر القاهره .

البيئة وأثرها فى البداوة العربية

ترتبط البداوة العربية بشبه الجزيرة العربية جغرافيا ومايسود فيها من عوامل تنقسم من حيث تأثيرها على الإنسان إلى ثلاثة أقسام : عوامل جغرافية ذات تأثير مباشر على الإنسان مثل ، المناخ وأثره على نشاط الإنسان وملاءمة الإنسان لظروفه ، وعوامل جغرافية ذات تأثير غير مباشر مثل الموقع الجغرافى حيث يؤدى أما إلى القرب من مراكز الحضارة أو العزلة والبعد عن مراكز الحضارة ، وهذا بالتالى يؤدى أما الى التقدم الحضارى أو إلى التخلف والتأخر ، وأخيراً عوامل جغرافية تؤثر فى النمو الاقتصادى والاجتماعى للإنسان أى مدى وفرة الإنتاج الزراعى والمعدنى للأقليم ، ومن ثم درجة غناه أو فقره ، وبالتالى تنظيمه الاجتماعى[1] .

وإذا نظرنا الى بيئة شبه الجزيرة العربية موطن البداوة العربية ، رأينا أن الجزء الأكبر أقلياً صحراوياً جاف يفتقر للحياة النباتية أو الحيوانية ولايعنى ذلك الفقر التام ، فلاشك أن هناك حياة نباتية وحيوانية فى الصحراء ، ولكن النبات ليس من الغنى والتنوع بحيث يشكل « غطاء نباتياً » وهو لايتعدى أن يكون أعشاب متناثرة ونباتات صبارية أو جافة تتحمل الجفاف ، وهى جميعها موزعة بشكل ضئيل فى بطون الأودية ، وفى المنخفضات ، كما أن الأعشاب الرعوية محكومة فى نموها بسقوط الأمطار[2] .

ولقد أدت هذه الناحية المناخية حيث يسود الجفاف وكذلك عقم الصحراء الواسعة الى مقاومة أى مجال للتحضر فى البداوة العربية ، ومنعت نشوء المجتمعات الكبرى ، وطبعت الحياة بطابع الانتقال والترحال طلبا للماء والكلأ وكذلك طبعتها بالعزلة الاجتماعية والسياسية[3] .

وترتب على ذلك أن كان الجمل هو أهم حيوان فى الصحراء ، نظراً لمقاومته الجفاف وتحمله الجثمانى للسير على رمال الصحراء مسافات طويلة وارتبطت حياة البداوة بالبيئة ، فرعى الجمال والأغنام ، والإنتقال وراءها من مرعى لآخر تبعاً

---

(١) غلاب ، محمد السيد ، البيئة والمجتمع ، ص ٣٣ ، ط ٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة

(٢) البيئة والمجتمع ، المرجع السابق ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٣) مكة والمدينة فى الجاهلية والإسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١ .

لوجود الماء والكلأ ، هو نمط البداوة العربية ، كما أن هناك ظاهرة جغرافية أخرى مهمة فى الصحراء ، وهى الآبار أو عيون الماء أو الجداول المائية مهما كان شأنها ضئيلا ، وتضاف العين أو البئر إلى القبيلة أو العشيرة ، وقد يحدث أن يتنازع البدو فى الصحراء على عيون الماء لما يحيط بها من كلأ وماتمنحه من شعور بالأمن الجماعى للقبيلة(١) .

ان البداوة العربية فى حياتها تعيش تحت رحمة الظروف الطبيعية فالأمطار التى يعتمدون عليها نادرة وقليلة وذلك نتيجة أعاصير ورياح غير منتظمة الهبوب ، فأحياناً تسقط أمطاراً غزيره وأحياناً أمطاراً قليلة ، وإذا تعاقب الجفاف على الصحراء عدة سنوات يصيبها القحط ، فتنكمش مساحات الكلأ ولاتقوى على تغذية أهلها ، ومن هنا كان عمر المراعى فى الصحراء قصير أوجب التنقل والترحال وندرة هذه المراعى فى الشتاء وأوائل الربيع كما أن البيئة العربيه من الأقاليم التى تنعدم فيها الأنهار والبحيرات ، مع ندرة سقوط المطر ، وهذا ماجعل البقاع أكثرها صحراويا ، قليل السكان ، غير أن الأودية كثيرة وتسيل فى بعضها المياه عقب سقوط الأمطار(٢) .

لقد كان للطبيعة القاسية أثراً كبيراً انعكس فى البداوة العربية وطبيعة حياة البدوى فأصبح يعيش فى أحضان خطر دائم ، تعصف به الريح فتقوض مسكنه البسيط ، وتكفىء قدره ، وتطفى ناره ، ويهدر السيل فيجتاح داره وينفر آبله ، وتبخل السماء فيشح زاده ، ويهزل قطيعه ، ويهدده الجوع فى حياته ، والصحراء بعد ذلك فضاء متسع رحيب ، يملأ جوانب النفس خشية ورهبة ، وشمس قوية محرقة ، وريح عاصفة(٣) .

لقد علمت الصحراء البدوى طبيعة الصبر والجلد والكفاح ، وصار فى صحرائه يشم الخطر قبل قدومه ، ويعرف عن الطبيعة وتقلباتها الكثير ، وهو مع ذلك لايستسلم لهذه الطبيعة القاسية ، وإلا صار فريسة لها أو لوحوشها الضارية . وقد تكيفت حواسه مع هذه الطبيعة ، فحاسة البصر ظاهرة متميزة

---

(١) البيئة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٣) الدسوقى ، عمر ، الفتوة عند العرب ، ص ٢٢ ، مكتبة النهضة ، القاهرة .

عند البدوى ، وحاسة السمع تكاد تبلغ الكمال ، وحاسة الشم قوية نتيجة لتعرضهم للرياح واستدلالهم على موقع الأمطار[1] .

لقد كان للبيئة العربية وطبيعتها القاسية أثراً كبيراً فى البداوة العربية ، وانعكس هذا الأثر فى حياة هؤلاء البدو ، ولقد أكسبت هذه الطبيعة بقوانينها الصارمة قيم واخلاق إنسانية خالدة وفضائل نفسية صارت رداء تحلى به هؤلاء البدو منذ عرفهم التاريخ وكانت أثراً من آثار بيئتهم .

القيم الفاضلة فى البداوة العربية

كانت مراكز البداوة العربية فى تهامة ونجد وصحراء النفوذ وبوادى الشام والدهناء . وكانت المعيشة تعتمد على الرعى ، وعلى الأبل والأغنام ، وكان هؤلاء البدو لايفضلون شيئاً على حياتهم الرعوية البدوية ، فكانوا يحتقرون الزراعة والصناعة الأولية السائدة فى بعض البيئات ذات الاستقرار فى شبه جزيرة العرب ، لقد كانت حياتهم حياة البساطة والحرية التى لاتحد ، وقد وقفت الصحراء تحميهم وتحرس تقاليدهم ولغتهم ، ومع ذلك فقد كانت الحياة مع بساطتها قاسية بظروفها الطبيعية والمناخية[2] .

وقد كيفت تلك الظروف السائدة فى البيئة العربية ، حياة البداوة بما يتفق وطبيعتها ، وجعلت المجتمع البدوى ينفرد بخصائص لانجدها فى غيره من الشعوب ، لاختلاف بيئاتها وظروفها الجغرافية ، وكانت هناك خصائص سلبية مثل الزنا وشرب الخمر ووأد الأطفال ، وغيرها من الصفات التى قضى عليها الإسلام لأنها تخالف مبادئه وتخالف أيضا الخلق الإنسانى المهذب ، وهناك الخصائص الإيجابية التى هذبها الإسلام ورقاها بعد أن حافظ عليها وحث على مداومتها مثل الشجاعة والكرم والوفاء والحرية وحماية الضعيف وغيرها من القيم الفاضلة التى سادت فى البداوة العربية وكانت نتيجة طبيعية للبيئة وما يكتنفها من عادات وتقاليد موروثة .

---

(١) الفتوة عند العرب ، ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢) العصر الجاهلى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧ .

وفى الفقرات التالية نحاول أن نبين بعض الصفات ذات القيم الإنسانية الرفيعة والتى تجلت فى حياة البداوة العربية :

(أ) **الشجاعة :**

يمتاز البدو بالشجاعة لاضطرارهم الدائم الى الدفاع عن أنفسهم وأهلهم ومايملكون ، ضد العدو المغير وفى رد الحيوان المفترس ، ومن أجل ذلك أصبحت الشجاعة ، والقتال عادتين فى البدوى ينشأ عليهما منذ الصغر[1] .

ويرى ابن خلدون أن البدو أقرب للشجاعة ، وفى مجال حديثه عن البدو يقارن بينهم وبين الحضر ، وشجاعة البدو عند ابن خلدون راجعة : (لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحى وبعدهم عن الحامية وابتعادهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ولايثقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح ، ويتفردون فى القفر والبيداء واثقين من أنفسهم حتى صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ)[2] .

وترتبط الشجاعة بالبيئة البدوية ، فقسوة الطبيعة جعلت البدوى يعتمد على نفسه فى مواجهة المصاعب ، كما أن هذه الطبيعة القاسية أوجدت أو فرضت الشجاعة فالضعيف لاحياة له فى محيط كهذا ، من هنا نرى أن البدوى دائماً حذر ، وقد شحذت مصاعب الحياة مواهبه فهو ذو صلابة وجلد بالغين[3] .

وامتزجت حياة البدوى بالصحراء القاسية وبتغيرات الطبيعة امتزاجاً تاماً ، وصار قلبه جلداً لايرهب ، ولايفزع ، كما استلزمت الصحراء أن يكون البدوى قوى البنية خفيف الحركة ، لأن الإنتقال والنزاع على المراعى والماء ذات الندرة والشح ، دفعتهم للحرص على الحياة والفرار من الموت ، والغارة على الأقوام الأخرى ، أو حماية أنفسهم من غارات الآخرين ، ولذلك كثرت الحروب بين البدو وتعددت أيامهم ، وفى الحروب اظهار لمزايا الشجعان وحسن بلائهم وامتحان لشجاعتهم . لقد كانت الشجاعة مميزة فى البداوة العربية ، وأصبح

---

(١) العرب فى حضارتهم وثقافتهم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ١٢٥ ، المكتبة التجارية المصرية ، القاهرة .

(٣) عز الدين ، نجلاء ، العالم العربى ، ص ٣٣ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

الرأى العام يمتدح الشجاع ، ولقد كانت وسيلتهم فى حروبهم الخيل ولـذلك اعتزوا بها ، وعرفوا مكانتها ، لأنها أداتهم فى الكر والفر[١] .

وإذا كان فى تلك الحروب شىء بعيد عن الفضيلة فلاشك أنها كانت وليدة بيئتهم الفقيرة ، ولكن حديثنا ينصب عن الشجاعة التى امتازوا بها ، تلك الشجاعة التى وجدت بعد الإسلام طريقها الصحيح فى الفتوح العربية الإسلامية . وعلى الرغم من تلك الحروب وما فيها من تهور واهدار دماء ، فقد كانوا على شمائل الحرب تنم عن إنسانية متأصلة ، فليس هناك استرسال فى الإنتقام ، وليس هناك قتل لعيون الأعداء وجواسيسهم وكان منهم من يترفع أن يطعن خصمه المدبر عنه ، المنهزم دونه ، وكان منهم من بكى خصمه ، وأنصف عدوه واعترف بقوته وجلده ، ولم تكن شهوة النصر تغلب البدوى لضرب الضعيف أو الأعزل ، لقد كان كرم النفس والوفاء والتحكم فى العاطفة يشمل حياتهم حتى فى حروبهم[٢] .

(ب) الكـــــرم :

الكرم صفة متميزة فى البداوة العربية ، وهو من الفضائل التى كانت نتيجة للبيئة العربية ، فقد فرضت طبيعة الصحراء القاسية ، والظروف الطبيعية الجافة الكرم كسجية متأصلة فى البداوة العربية ، ولقد عظم البدو صفة الكرم لأنهم جميعاً معرضون للفاقة والجوع نتيجة شح السماء وجدب الأرض .

لقد نبتت جذور الكرم فى اعماق البداوة العربية ، ولم تلبث عضون هذا الكرم ان ارتفعت فى سماء الجزيرة العربية ، فالكريم يشبع الجائع من قومه ، ويقرى الضيف أى ضيف حتى لو كان من خصومه .[٣]

ولقد بلغ من منزلة الكرم عند العرب ، أن ترى أحدهم يبش ويسر ويتهلل وجهه اذا جاءه من يطلب منه حاجة . قال زهير بن أبى سلمى يمدح هرم بن سنان :

---

(١) الفتوة عند العرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٣) ضيف ، شوقى ، البطولة فى الشعر العربى ، ص ١٥ ، دار المعارف ، القاهرة .

وابيض فياض يداه غمامة
على معتفيه ما تغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ويظهر كرم حاتم الطائى كمثال بارز على تلك الصفة الفاضلة التى سادت فى البيئة العربية البدوية ، وقل وصل كرمه الى حد ذبح فرسه الأصيل لضيفه ، وكانت زوجه تلومه على اسرافه ، فيقول لها ان الكرم سجية طبعت عليها نفسه :

وقائلة أهلكت بالجود مالنا
ونفسك حتى ضر نفسك جودها
فقلت دعينى انما تلك عادتى
لكل كريم عادة يستعيدها

ولقد كان العربى يتلطف مع ضيفه ويهش له ، كما كان ينزل نفسه لمنزلة العبد لضيفه ، يقول حاتم الطائى :

وانى لعبد الضيف مادام نازلا
وماشيمة لى غيرها تشبه العبدا

ولقد وصل الكرم منزلة عند البدوى ان النار كانت تشب ليلا على الربى والمرتفعات ، ليعلم بها المسافر ويراها الضيف ، كما أنهم قد عودوا كلابهم أن تنبح للضيوف ، حتى يهتدوا بصوتها لمكانهم فيطيب لهم اكرام هؤلاء الضيوف .[1]

جـ ـ الوفاء :

كان للوفاء تقديرا كبيرا فى البداوة العربية ، فاذا وعد أحدهم وعدا أوفى به وأوفت معه قبيلته بما وعد ، ومن ثم أشادوا بحماية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهدا أن ينصروه ، وقد جعلهم ذلك الوفاء يقدرون الأحلاف فلا ينقضونها مهما قاسوا بسببها من حروب ، وبلغ من اعتدادهم بهذه الخصلة انهم كانوا يرفعون لمن يغدر منهم لواء فى مجامعهم وأسواقهم ، حتى يلحقوا به العار وينبذوه من تعاملهم ،[2] يقول الحادرة لصاحبته سمية :

---

(١) ضيف ، شوقى ، العصر الجاهلى ، ص ٦٩ ، دار المعارف ، القاهرة .
(٢) الفتوة عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

أسمى ـ ويحك ـ هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها فى مجمع

وفضيلة الوفاء نشأت كرد فعل طبيعى للظروف البيئية الصعبة التى يحياها البدو ، فالبدوى يلتزم بالوفاء لأى بدوى اخر يحيا معه تحت نفس الظروف ، لأنه يتوقع بالوفاء أن يعامل بالمثل ، اذا ما تعرض لظروف تستوجب نجدته او حمايته .

وقد حفظ التاريخ أمثلة عديدة وكثيرة على وفاء النفس العربية فى بداوتها ، ومنها قصة وفاء هانىء بن سعود الشيبانى مع النعمان بن المنذر وحمايته لنسائه ودروعه ، فبعد أن قتل كسرى الفرس النعمان وطلب هذه الودائع من هانىء أبت نفسه الكريمة الاخلال بالوفاء ، وقد ناصره قومه ، وقبال اخرى وهزموا الفرس فى موقعة ذى قار سنة ٦١٤ م ،كل ذلك من أجل الوفاء والاخلاص له كقيمة ذات عمق فى البداة العربية .

ولقد كان الوفاء أعظم ما اشتهر به العرب بعد الفتح الاسلامى ، ولم يجد منهم الأقوام الأخرى والشعوب التى دانت للاسلام وغيرهم من الأقوام لم يجدوا أى ميل للغدر ونكث الوعد ، بل عاشوا فى ظلهم آمنين مطمئنين .

د ـ حب الحرية :

أملت حياة البداوة من ترحال وانتقال على البدوى الميل للانطلاق ورفض أى قيد على حياته ، واذا كان البدوى يخضع لقبيلته ، وتعتبر رابطة العصبيه ذات أثر كبير فى حياته وتكوينها ، الا انه يرفض ما يكبت حريته ، ولقد حوى التراث العربى حياة جماعات من البدو متحررة من سلطان قبائلهم ورفضوا أى قيد فى المجتمع وهؤلاء الصعاليك منهم كثير من الشعراء وبعضهم خلع من قبيلته ، وتمثل حياتهم نقاء الفطرة العربية وهيامها بالحرية .[1]

والحرية تعنى كرامة النفس وعفتها وترفعها عن الصغائر كما تعنى الانطلاق ورفض أى قيد ، يعبر عن هذا المعنى (عنترة بن شداد)الذى اشتهر ايضا بشجاعته عنه فيقول :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة بل اسقنى بالعز كأس الحنظل

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

(١) عبد الرحمن ، عائشة ، قيم جديدة للأدب العربى ، ص ٤٣ ، ٤٤ دار المعارف ، القاهرة .

فهو يرفض ماء الحياة الممزوج بالذل ، بل انه يرفض الحياة كلهـا من أجله ، أما العز فانه سعادته فى دنياه ، يقبل عليه وعلى كؤوسه ولو كانت مترعة بنقيع الحنظل الذى لايطاق . [1]

ولقد ثار عمرو بن كلثوم ، وهو ضيف عند الملك عمرو بن هند ، ملك الحيرة حين سمع أمه تصيح قائلة : واذلاه ! يالتغلب ! فغلى الدم فى عروقه وأخذته الحمية ووثب الى سيف ضرب به رأس الملك عمرو بن هند ، وقال معلقته المشهورة ، ويشير فيها الى هذه الحادثه :

بأى مشيئة عمرو بن هند
تطيع بنا الـوشاة وتزدرينا ؟
اذا ما الملك سام الناس حسنا
أبينا ان نقر الـذل فينا حسنا
ألا لا يجهلن احد علينا
فنجهــل فوق جهــل الجاهلينا

لقد كانت الحرية فى البداوة فطرة فى نفس البدوى ، فهى التى تسيره فى حياته وتملى عليه أفعاله ، وكانت نفسه عالية الهمة تحتقر الصغائر وترفض أى اعتداء عليها ، وكرامتها وترفعها دليل على حرية النفس المتناهية .

هـ ـ النجدة وحماية الضعيف :

ترتبط النجدة بالشجاعة عند البدوى ، فهـو يسرع الى اغـاثة المظلـوم المعتدى عليه سواء أكان على حقا او باطلا ، كما يلبى نداء المستنجد به من غير أن يسأل عن طبيعة المساعدة التى يطلبها . [2]

ولقد كان للنشأة بين أحضان الصحراء ، والحياة القبلية السائدة أن فرضت عليهم أن يحفظوا من الأخطار نفوسهم ، ويخففوا منها قدر المستطاع ، فتعاهدوا فيما بينهم على حماية المرأة والضعيف والجار ونجدة المستغيث .

وأدت حماستهم للجار الى قبول التجائه إليهم من الأعداء وقد يصير هذا الجار حليفاً أو مولى له كل ما لأفراد القبيلة من حق ورعاية وحماية ، وكثيراً ما أدت حماية الجار الى الحروب الطويلة الأمد إذا حصل أن أُهين أو أُذل الجار أو

---

(١) البطولة فى الشعر العربى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) العرب فى حضارتهم وثقافتهم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

أُعتدى عليه ، ومثال ذلك حرب البسوس ، فقد حدث.أن نزلت البسوس بجوار جساس فصارت فى حمايته ، ورأى كليب ناقتها بين نياقه ، فأنكرها وعند علمه بأنها للبسوس جارة جساس ، أخذ غلامه القوس وأمره برمى ضرع الناقة فأختلط دمها بلبنها ، وعندما علم جساس ثار وغضب لأن جارته أذلت فقتل كليب سيد مضر ، وأستمرت الحروب مشتعلة ، أمداً طويلاً .(١)

ولقد بلغ من منزلة الجار الحليف أن كان يعد من الأهل ويرثه المجير إذا مات ، وكثيرا ما يلتجىء اللاجىء الى حضن عدوه ، وتأبى فضيلة حماية الجار ، أن ينقض عهد الجوار ، أو ينتقم مادام متحرماً بذمامه لاجئا إليه .(٢)

وكانوا إذا سمعوا الاستغاثة نهضوا للنجدة ، بدون تردد أو سؤال :

لا يسألــون أخاهــم حين يندبهم   فى النائبات على ما قال برهانا

ولقد كانت المرأة فى بيئة كتلك البيئة القاسية ضعيفة وتحتاج لحماية وأرتبط بالدفاع عن المرأة الدفاع عنها بصفتها عرض وشرف ، وكـان ذلك أعـظم ما يهتم به البدوى ، والمرأة فى تلك البيئة غير مهضومة الحقوق ، بل كان لها احترامها وحقوقها ، وكثيرا ما كان البدوى ينظر اليها نظرة احترام وعفة ، يقول عنترة الذى حوى فى نفسه أغلب فضائل العرب :

ما استمت أنثى نفسهـا فى موطن   حتى أوفى مهرهـا مولاها
وأغض طرفى ما بدت لى جارتى   حتى يدارى جارتى مأواها
إنى أمرؤ سمح الخليقة ماجد   لا أتبع النفس اللجوج هواها

أن ذلك حقاً لمجد نفسى وخلق عظيم ، لا يقل روعة عن مجده الحربى وشجاعته النادرة .(٣)

---

(١) الفتوة عند العرب مرجع سابق ص ١٢١ . ١٢٢

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) البطولة فى الشعر العربى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

الفروق الاجتماعية بين البداوة والحضر

لاحظ علماء الاجتماع والفلاسفة أن هناك فروقا واضحة بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة ، حيث تختلف المدينة عن القرية المحيطة بها فى شكل النشاط الاقتصادى وضروبه الأساسية وما يتبع ذلك من اختلاف فى أشكال الحياة الاجتماعية .

وقد شغلت هذه الفروق القائمة بين القرية والمدينة أذهان كثير من مشاهير علماء الاجتماع الذين أهتموا ببناء تصورات نظرية تشير إلى أنماط مختلفة من الحياة الاجتماعية بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة ، وحاولوا التمييز بين نموذجين مثاليين من الحياة الاجتماعية يضم واحد منهما الحياة البدوية فى حين يضم الثانى الحياة الحضرية .

والمقصود بالنموذج المثالى صياغة نظرية محددة سلفاً لعقد المقارنات بين أنماط الحياة ووصف ما يجرى من وقائع . وربما لا توجد هذه النماذج المثالية على المستوى المنهجى ، لكنها يمكن أن تصاغ بتحديد خصائص السلوك موضوع الملاحظة والتحليل ، وهناك يمكن للباحث أن يقارن هذه النماذج المثالية بما هو موجود بالفعل من أنماط الحياة الواقعية ، وبهذه الطريقة يمكنه أن يحدد موقف كل نمط من هذه الأنماط الواقعية وبدرجة تحت نطاق نموذج مثالى معين ، فالنموذج المثالى إذاً أداة منهجية تساعد على فهم بعض الأبعاد وتحليلها ، والهدف من تأسيس هذه النماذج ، إذاً هدف منهجى .

ونجد أن تحليلات علماء الاجتماع قد تباينت بين السطحية والتعمق وبين التسرع وبعد النظر ، وبين المتطورات الصائبة ، وقد كان ذلك كله رهنا بالمرحلة التى بلغها علم الاجتماع فى تقدمه ، وبالخطى التى قطعها على طريق الدقة العلمية .

ويمكن تحديد بداية حقيقية لهذه الجهود الحقيقية المنظمة فى وصف وتفسير هذه الاختلافات من عصر المفكر العربى (عبد الرحمن بن خلدون) فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فقد خصص فصولا منظمة فى التمييز بين البدو والحضر من كتابه « المقدمة » .

ولقد قسم ابن خلدون المجتمعات البشرية التى عاصرها أو عايشها إلى نموذجين رئيسيين يتناقض كل منهما مع الآخر على طول الخط ، محاسن أحدهما قبيح للآخر ، وبينهما صراع أزلى يمتد عبر الأجيال . والنموذجين الرئيسيين المتصارعين عند ابن خلدون هما : البداوية والتحضر أو البدو والحضر .

ويقارن ابن خلدون بين البدو والحضر بصفة مباشرة وجهاً لوجه فيقول : « قد ذكرنا أن البدو وهم المقتصرون على الضرورى فى أحوالهم والعاجزون عما فوقه ، أن الحضر المعتنون بحاجات الترف الكمالى فى أحوالهم وعوائدهم ، ولاشك أن الضرورى أقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه لأن الضرورى أصلى والكمالى فرع ناشىء عنه ، فالبدو أصل المدن والحضر وسابق عليهما لأنه أول مطالب الضرورى ، ولا ينتهى الى الكمالى والترف إلا إذا كان الضرورى حاصلا ، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها ، وينتهى بسعيه إلى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذى حصل له أموال الترف وعوائده عاد الى الدعة وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة » .

« والحضر لا يتشوق إلى أحوال البادية إلا لضرورة تدعوه إليها ، أو لتقصير على أحوال أهل مدينته » .

ويدلل على ذلك ابن خلدون : « أننا إذا ناقشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أصل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفى قراه ، انهم أيسروا فسكنزا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضر وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل بها » .

ويؤكد ابن خلدون بأن هناك تفاوتا بين كل من المجتمعات البدوية والحضرية إذ يقول : « ثم أن كل واحد من البدو والحضر متفاوت الأحوال من جنسه قرب حى أعظم من حى ، وقبيلة أعظم من قبيلة ، ومصر أوسع من مصر ، ومدينة أكثر عمرانا من مدينة » .

وكذلك اهتم ابن خلدون بالمقارنة بين تأثير حياة البداوة والحضارة فى سمات الشخصية ، ومنها « الشجاعة » و« الخير » و« الذكاء » وقد قرر أن البدو أقرب الى الشجاعة وإلى الخير من أهل الحضر إلا أنه يقرر أن أهل الحضر « ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وأنغمسوا فى نعيم الترف ووكلوا امرهم فى المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى مواليهم » . أما البدو فهم « لتفردهم عن

المجتمع وتوحشهم فى الضواحى ، وبعدهم عن الحاجة وانتهازهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمرافعة عن أنفسهم ولا يكلونها الى سواهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم .. وقد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية » .

ومن حيث الخير يرى ابن خلدون « أن أهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ ، وعوائد الترف والاقبال على الدنيا .. قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك » وأما البدو « فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع فى النفس من سؤ الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها » .

كما قرر ابن خلدون تفوق أهل الحضر على أهل البدو فى الذكاء إلا أن الحضرى قد « امتلأ من الصنائع وملكاتها وحسن تعلياتها » ولـكنه يستدرك فيقول : « وليس كذلك ، فأننا نجد من أهل البدو من هم أعلى رتبة فى الفهم والكمال فى عقله وفطرته إنما الذى ظهر على أهـل الحضر من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم ، فأن لها آثاراً ترجع الى النفس » . ومن الواضح أن نظرة ابن خلدون إلى الشخصية تقوم على منهج السمات ، وهى نظرية لها امتداداتها حتى وقتنا الحاضر ولكن لم تكن لتتوفر لدى ابن خلدون ما يتوفر لنا اليوم من أدوات قياس هذه السمات بصورة علمية موضوعية .

وعلى هذا الأساس يمكن إبراز خلاصة رأى ابن خلدون فى هذا الصدد :

١ ـ أن المجتمع يتكون من قطاعـين رئيسيين ، أولهما القطاع البدوى ، وثانيهما القطاع الحضرى ولكن القطاع البدوى أسبق إلى الوجود من القطاع الحضرى .

٢ ـ أن القطاع البدوى سائر حتما إلى التحضر عبر الأجيال .

٣ ـ أن هناك فوارق ليس فقط بين النمطين الرئيسيين فى المجتمع ولكن بين البناء الاجتماعى لكل نمط على حدة ، وقد تكون هذه الفروق بيولـوجية بين الأفراد فى كل نمط ، وقد تكون فروقا حضارية بين الوحدات المحلية لكل من النمطين البدوى والحضرى على حدة .

٤ ـ مفهـوم الشخصية بصفة عامة وفيهـا يهتم بوجه خاص بالعـوامل الاجتماعية وتأثيرها فى تكوين الطبائع والسجايا الخلقية والعقلية .

وقد ظهر بعد ابن خلدون بعدة قرون « جيوفانى بوترو » "Giovani Botero" الذى اهتم بهذا الموضوع أيضا ، وفى المرحلة التالية لبلورة علم الاجتماع وموضوعاته على يد أوجست كونت ، اهتم كثيرا من علماء الاجتماع بظاهرة التناقص القروى والحضرى ثم تعددت الجهود إبان العشرينات من هذا القرن حينما ظهر المتخصصون فى الدراسات القروية والحضرية داخل نطاق علم الاجتماع .

إذاً ما هو المجتمع البدوى ؟ هل المجتمع البدوى مجتمع بدائى ؟ هل هو مجتمع بسيط ؟ هل هو مجتمع متخلف ؟

وعلى الرغم من التحفظات الكثيرة حول استعمال كلمة « بدائى PRIMITIVE » نظراً لما توحى به هذه الكلمة من معانى التدهور والانحطاط ، فلا شك أن البدائيين يحملون عبء تقاليد تكاد لا تتغير ، وأن هناك ظروفا كثيرة ومنوعة خاصة البيئية منها قد ألقت بهم خارج تيار الحضارة ، أو قد عرقلت ليس فقط نموهم الاجتماعى وإنما تقدمهم الحضارى أيضا ، ولفترات طويلة تمتد فى بعض الأحيان لعشرات المئات من السنين .

ومن هنا بدت مجتمعات هؤلاء البدائيين غير متحضرة ، وتصورها الكثير وكأنما تحجرت فى قوالب جامدة منذ آلاف السنين ليس فقط لأنهم كانوا بمعزل عن طريق الحضارات القديمة وإنما لأنهم ظلوا أيضا غرباء عن الوسائل والأسباب التى أدت الى تطور وتقدم مجتمعات أخرى كثيرة .

وقد أثبتت نظريات وآراء تطور المجتمعات الانسانية أنه حتى المجتمعات البدائية لا تقف كلها على قدم المساواة ، فمنها مازال عند حالة أو مرحلة التوحش ، ومنها ما تجاوزه الى مرحلة البربرية بدرجاتها المختلفة الدنيا والوسطى والعليا ولابد أن يكون للمجتمع البدوى مكان عند مرحلة البربرية وإن أختلف ذلك المكان بعداً أو قرباً من بداية أو نهاية تلك المرحلة على حسب طبيعة وظروف كل مجتمع بدوى على حده .

وهنا يأتى دور السؤال الثالث : هل المجتمع البدوى مجتمع بسيط ؟ فلو سلمنا بالتصور المطلق الذى أفترضه « ريد فيلد Redfield» عن تطور المجتمع البشرى بأن هناك مجتمعين على طرفى نقيض : مجتمع بسيط ومجتمع معقد .. لتبين

لنا على الفور بأن المجتمع البدوى مجتمع بسيط خاصة وأن هناك تشابهاً يكاد يصل أحيانا إلى حد التطابق بين خصائص كل من المجتمع البدوى والمجتمع البسيط الذى افترضه ريدفيلد والذى حدد خصائصه على الوجه التالى :

١ ـ صغر الحجم .

٢ ـ تشابه أفراده من حيث النوع .

٣ ـ انتشار الأمية على الرغم من وجود لغة للتخاطب .

٤ ـ شعورهم القوى بالتماسك .

٥ ـ تكاد المجتمعات البدائية تعيش فى عزلة تامة .

٦ ـ توافر قدر متساوٍ من المعرفة والخبرات لدى كل فرد فى المجتمع .

٧ ـ نظام القرابة (العصبية) هو أساس البناء الاجتماعى للمجتمع .

٨ ـ يتعاون أعضاء المجتمع البسيط لتوفير المأوى والمأكل وللدفاع عند الخطر .

٩ ـ دوافع العمل وتبادل الجهود والأشياء لا تنشأ عن دوافع اقتصادية بقدر انتمائها إلى التقاليد أو الشعور بالمسئولية الجماعية أو ارتكازها على العلاقات القرابية أو الاعتبارات العرفية والأخلاقية .

١٠ ـ تتميز الحياة الاقتصادية للمجتمعات البسيطة بنوع من الاكتفاء الذاتى .

١١ ـ العمليات المختلفة للضبط الاجتماعى غير رسمية .

١٢ ـ النظام السياسى بسيط ومحدد بل معدوم فى بعض الأحيان .

١٣ ـ يسود أعتقاد قوى فى الأشياء المقدسة .

١٤ ـ ينشأ الشعور بالصواب والخطأ من جذور جماعية لا شعورية .

١٥ ـ النظام الأخلاقى هو النظام الأساسى الذى يريد ما بين أفراد المجتمع جميعا .

١٦ ـ أكتساب المعارف يعتمد على التجربة حيث لا توجد أساسيات نظرية بالمفهوم الحديث .

١٧ ـ المجتمع بسيط من الناحية التكنولوجية .

١٨ ـ لا توجد مدن بالمجتمعات البدائية .

كذلك لو سلمنا بأن المجتمع البدوى مجتمع متخلف لوجدنا أن التكوين المورفولوجى للجماعات المتأخرة تكاد تتشابه إلى حد التطابق بين خصائص ومقومات كل من الجماعات البدائية والبسيطة ، وأهم خصائص التكوين المورفولوجى العام للجماعات المتأخرة هى :

١ ـ البساطة وعدم التعقيد .

٢ ـ عدم التخصص .

٣ ـ صغر حجم السكان .

٤ ـ تشتت السكان وعدم استقرارهم .

٥ ـ التضارب فى درجة الكفاءة بين السكان وبالتالى التشابه فى وظائفهم .

٦ ـ عدم وجود مؤسسات أو هيئات متعددة الأهداف والوسائل .

٧ ـ يؤدى أفراد المجتمع الأعمال المنوطة بهم فى ترابط وتكامل شبه آلى .

وفى النهاية لابد أن نقرر بأن المجتمع البدوى مجتمع تقليدى يعتمد على مجموعة من النظم والعلاقات المتشابكة ويقل فيها التخصص الى أدنى درجة ممكنة بعكس المجتمعات الحديثة التى تؤكد ليس فقط بأهمية الهدف الذى يحققه كل نظام من هذه النظم على حده .

ولو أخذنا الأسرة مثالاً لذلك لوجدنا أن وظيفة الأسرة الاجتماعية الأساسية هى انجاب الأطفال الشرعيين فى اطار جو من العلاقات المرتكزة على المحبة والمودة والتعاون بين أعضائها ، ويزداد دور الأسرة وضوحا وتحديدا فى المجتمعات المتقدمة وذلك على العكس بالنسبة للمجتمعات التقليدية حيث تبرز إلى جوار الهدف الأساسى للأسرة مجموعة أخرى من الأحداث التربوية والدينية والاقتصادية والتعليمية والسياسية ، وتختلف هذه الوظائف الاضافية عمقاً واتساعاً من مجتمع إلى آخر على حسب طبيعة وظروف كل مجتمع على حده .

فلو أخذنا الوظيفة الأساسية للأسرة أو للعائلة فى المجتمعات القبلية لوجدنا أن الأسرة هى أصغر وحدة سياسية فى المجتمع البدوى ، وتعتبر على صغرها هذا متمايزة ، بمعنى أن لها شيخاً ورئيساً مستقلا من أبرز مهامه تنظيم العلاقات السياسية للعائلة مع غيرها من العائلات . كما يتولى فض المنازعات سواء تلك التى تقوم بين أعضاء العائلة نفسها أو بينهم وبين الآخرين .

وما ينطبق على الوظيفة السياسية للأسرة يمكن أن ينطبق على مختلف النظم الاجتماعية الأخرى ، الأمر الذى يؤكد ما سبق من أن المجتمعات البدوية مجتمعات تقليدية تتشابك فيها النظم والعلاقات بدرجة يصعب معها تعيين وظيفة واحدة وواضحة لأى من تلك النظم .

لذلك يعتبر المجتمع البدوى هو المجال الرئيسى الذى يمارس فيه علم الاجتماع البدوى نشاطاته المختلفة لذلك يحسن وضع تعريف معين لماهية المجتمع البدوى . وقد وجدنا أن الاستاذ صلاح مصطفى الفوال وضع التعريف الآتى لماهية المجتمع البدوى :

« المجتمع البدوى هو ذلك المجتمع الذى يضم تلك المجتمعات البدائية المحلية التى تحيا فى عصرنا الحاضر حياة تقليدية تتميز بالبساطة وعدم التعقيد ، فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية وتعدد وظائفها وتمثل حالة حضارية أقل تقدما لو قورنت بحالات حضارية متقدمة أخرى سواء كانت سالفة أو معاصرة ، هذا فضلا عن أن البداوة بصورها المتعددة وبمحتواها المادى والبشرى تعتبر حجر الزاوية بالنسبة لتلك المجتمعات » .

مظاهر البداوة وحجمها :

تعتبر البداوة مرحلة متميزة عن مراحل النمو الحضارى للمجتمعات الانسانية ، هذا النمو الحضارى الذى يتناول بالتغيير عادة مظهرين أساسيين هما :

١ ـ المظهر المادى :

ويشمل على ما يستخدمه الانسان من أدوات وأجهزة وغيرها من عناصر البيئة الطبيعية التى تحيط به ، أى أنه يتمثل فى وسيلة الكسب للعيش وجمع القوت ، وتبعا لنوع النشاط الاقتصادى السائد لدى البدو وطبيعة تجوالهم المستمر أو المؤقت ، وطبقا لسيادة الحيوان المستأنس جملاً كان أو ضأناً أو بقراً .

٢ ـ المظهر المعنوى :

ويتركز على أسس غير محسوسة يمكن أن يطلق عليها البداوة الفكرية وتتمثل فى القيم والعادات والتقاليد وغيرها من الأساليب التى تنظم سير الحياة الاجتماعية بأنظمتها المختلفة .

ومنذ أن وجد الانسان وهو يحاول جاهدا استغلال موارد بيئته لانتاج ما يحتاج إليه ، وكان فى بادىء الأمر غير قادر على تحويل هذه الموارد من حالتها الطبيعية إلى حالة أكثر ملائمة لأحتياجاته ، فكان لا يعرف حتى إيقاد النار أو إستخدام اللغة أو الآلات أو التحكم فى تصرفاته لتسير وفق مصلحة الجماعة ، بل كان يعمل ما يحلو له وفق أشباع غرائزه المختلفة .

ثم أخذت عقلية الانسان تتطور بتفاعله مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التى يعيش فيها ، ونتيجة لهذا التفاعل استخدم النار والآلات البسيطة وتكونت تدريجيا عادات وتقاليد جماعية تنظم علاقات الأفراد وسلوكهم تجاه بعضهم وتجاه الطبيعة المحيطة بهم ، وتعتبر هذه العادات والتقاليد نواة الحضارة الانسانية لمساهمتها مساهمة أساسية فى تنشئة الأفراد تنشئة اجتماعية ، وتهذيب غرائزهم وطبع تصرفاتهم طبقا لمعايير اجتماعية يتوفر فى اطارها الأمن والاستقرار وما إليه من عوامل نشؤ الجماعات الانسانية ونموها وانتاجها .

وإذا أعتبرنا أن الحضارة الانسانية هى محصلة التفاعل بين الانسان وبيئته ، وأن هذه الحضارة فى تطور مستمر ممتد على مر الزمن نتيجة نمو معرفة الانسان وخبرته وتحسينه المستمر لما يستخدمه من آلات وأنظمة فانه يمكن اعتبار مرحلة البداوة حلقة من حلقات التطور المتقدمة بالنسبة للمرحلة التى سبقتها ، وهى مرحلة الصيد التى تميزت أساسا بطابع استهلاك الانسان لما يقتنصه من الأسماك والحيوانات فى حين تميزت مرحلة الرعى (البداوة) بنشاط انتاجى نشأ نتيجة عناية الانسان بتربية الحيوانات ورعايتها وتنميتها ، كما تميزت باستخدام بعض الأدوات ونمو بعض العادات والتقاليد المنظمة للسلوك الاجتماعى للأفراد . وقد مهدت مرحلة الرعى للمرحلة التى تلتها ، وهى مرحلة الزراعة التى تميزت بالاستقرار للتمكن من تتبع نمو المحاصيل وجنى الثمار .

وظاهرة البداوة تقوم على الرحلات الدورية المتكررة ، فى طلب الرزق ، والبداوة مع هذا ليست مطلق التنقل غير المحدود أو غير المقصود ، ولكنها تنقل بهدف التحرك حول مراكز مؤقته يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها ، وعلى مدى الوسائل الفنية المستعملة فى استغلالها وعلى الأمن الاجتماعى والطبيعى الذى يمكن أن يتوفر فيها .

ومن هذا التصور للموارد والــوسائل ، والأمن ، يمكـــن أن تتحقق عدة تصورات تاريخية لأنماط البداوة البشرية ، كالصيد وجمع الثمار والرعى والزراعة المتنقلة .

على أن ما تميزت به ظاهرة البداوة من الحركة الموسمية من شأنه أن يخلق نوعا من !التداخل بينها وبين ظاهرة الهجرة ، ولكنها قد تختلف عن الهجرة من حيث أن الأخيرة تفترض نقطة انطلاق وبداية ثابتة محددة سواء كانت الهجرة مؤقتة أودائمة ، ونقطة الانطلاق والبداية تبدودائرية فكل مستقر يمكن أن يكون فى الوقت نفسه مهاجراً ، فمن العسير التفرقة بين المهجر والمستقر فى حالـة البداوة خاصة فيما قبل التاريخ ، وذلك بعكس الهجرة التى يمكن تصور مجراها فى خط أفقى ذى بداية ونهاية .

أما عن حجم البداوة فلا يقل أهمية عن مظهرها ، حيث لا ينكراه . أن أهمية تحديد حجم ظاهرة البداوة كماً ونوعـاً فى مجتمع ما ، خصوصا بالنسبة لبرامج ومشروعات التنمية المختلفة ، حتى يمكن الارتكاز على هذا التحديد سواء عند تخطيط تلك البرامج أو عند تنفيذها أو عند متابعتها .

ويمكن تحديد حجم البداوة فى وسيلتين :

١ ـ وتعرف بالطريقة الحسابية أو الاحصائية : وعن طريقها يمكن معرفة ما هو عدد البدو فى أى دولة ، بعد تحديد دقيق لمفهوم كل من البداوة والبدو وما هى نسبتهم الى المجموع الكلى للسكان . ثم ما هى الامكانيات المـادية والبشرية المتاحة أو المحتمل توافرها لدى المجتمع البدوى . وكذلك كمية ونوع الخدمات المتوافرة وطرق الاستفادة منها .

٢ ـ أما الوسيلة الثانية فترتبط بالجانب المعنوى للبداوه : وتتمثل فى قياس البداوة الفكرية أو القيمية ، لمعرفة إلى أى حد تتمسك أية جماعة أو أى مجتمع بدوى محلى بنظمها البدوية وعاداتها وقيمها وتقاليدها المتوارثة .

وعلى هذا الأساس فان كل من الوسيلتين ترتبط بمظهرى البداوة المادى والمعنوى السابق .

والطريقة الأولى سهلـة نسبيا وممكنة الاستخدام إلا أن الـطريقة الثانية أصعب ـ نسبياً أيضاً ـ حيث تتطلب جهداً أكثر ووقتاً أطول ونوعية خاصة للقائمين بها سواء من حيث التخصص أو الأعداد .

الفصل الثانى

الخصائص العامة والاجتماعية للمجتمعات البدوية

- الخصائص العامة والمشتركة فى المجتمعات البدوية
- الخصائص الاجتماعية فى المجتمع البدوى
- الترحال والتنقل فى المجتمعات البدوية
- أنواع الارتحال
- العمل فى المجتمعات البدوية
- التبادل فى المجتمعات البدوية

الفصل الثانى

الخصائص العامة والاجتماعية للمجتمعات البدوية

الخصائص العامة والمشتركة فى المجتمعات البدوية :

كانت البداوة تمثل منذ القدم حضارة ما قبل التاريخ ، وهى ان كانت تختلف فى معظم صورها ـ عما هى عليه الان فان جمهرة المؤرخين قد أجمعت على أن الانسانية قد نشأت بين أحضان البداوة ... حيث كانت بداوة انسان ما قبل التاريخ ترتكز على عدم الاستقرار والتنقل سعيا وراء الماء والعشب ، ومن هنا استمرار تميز حياة البداوة بالتنقل وعدم الاستقرار كان شبه الاجماع على أن الانسان بدأ حياته بدويا وظل على بداوته وتجواله حتى استقر على شواطىء الأنهار بعد اكتشافه للزراعة وكان ذلك قبل الاف السنين .

وقد اتسمت بداوة ما قبل التاريخ بأنماط مختلفة لازالت بعض حلقاتها متصلة حتى اليوم ، فقد عرفت البداوة الصيد وجمع الثمار والرعى والزراعة ومازالت معظم هذه النشاطات مع أصالتها حتى اليوم وعلى الأخص الرعى الذى يشكل جانبا أساسيا ومهما من ملامح البداوة فى عصرنا مع مايتطلبه الرعى من حركة وتنقل تحدده طبيعة الحيوان السائد لدى الجماعة البدوية .

وقد وجه علماء الاجتماع اهتماما ملحوظا وبذلوا جهودا ملموسة فى تحديد خصائص المجتمعات البدوية وتحليلها على اساس علمى .. ولاشك أن الاهتمام بخصائص المجتمع البدوى تبرز الى حيز الوجود الاهتمام بخصائص المجتمع الحضرى باعتباره المقابل له . والحقيقة أن أى تحليل للمجتمع البدوى وخصائصه لايستقيم دون المقارنة بما يقابله ، أى المجتمع الحضرى .

وعلى وجه العموم تتميز البداوة بخصائص عامة ومشتركة يمكن ايجازها فيما يلى :

١ ـ وضوح البيئة الطبيعية وبروز سيطرتها ، حيث أدت هذه الظروف الصعبة الى خضوع المجتمعات البدوية الى الظروف البيئية بشكل يكاد يكون تماما ، وكما فرضت الظروف البيئية نباتات معينة وحيوانات خاصة هى التى تعيش على تلك النباتات فانها فرضت أيضا على الانسان حياة وظروفا معيشية خاصة .

٢ ـ الانطواء والعزلة الشديدة بعيدا عن مسارات الحضارة الانسانية وترتبط هذه الخاصية بشكل أو باخر بالخاصية التى سبقتها ، حيث أدت الظروف البيئية الى ارغام مجتمعات البدو الى الانطواء على نفسها داخل مناطق نائية أو قاحلة وبعيدة عن المناطق الحضارية التاريخية .

٣ ـ التنقل الدائم والترحال المستمر ، وذلك لأن اعتماد أغلب الجماعات البدوية على ماتجود به الطبيعة من نباتات لتربية الحيوانات ، يجعل أى مكان عاجزا عن سد احتياجات الجماعة البدوية الى فترة طويلة تسمح بالاستقرار ، لذلك فالجماعات البدوية دائمة التنقل سعيا وراء الكلأ والغذاء .

٤ ـ خصائص الترحال ومداه فى ظل نظام الرعى يؤثر على الحياة الاجتماعية لجماعات البدو الرحل بصفة عامة . وخصائص هذا الترحال وتأثيراته تتحدد فى العناصر الاتية :

(ا) **البســاطة** :

تحتم حياة التنقل الدائم ان تكون الجماعة البدوية خفيفة الحركة حتى تواجه كافة الظروف الصعبة والمتغيرة التى تقابلها ، وخفة الحركة هذه تستدعى هى الأخرى أن تكون الجماعة البدوية بسيطة فى مسكنها وملبسها ومتاعها ومعداتها .

(ب) عدم الاستقرار :

ولعل ذلك شىء فى طبيعة الترحال نفسه ، وينسحب ذلك بدوره على كل من البدوى والطبيعة ، فالبدوى الراعى صار لايطيق العيش فى مكان واحد ثابت لفترات طويلة وأصبح التجوال فى دمه ، وليس معنى ذلك أن يترك البدوى موردا خصبا للماء والعشب ليهيم على وجهه حبا فى التجوال ، وانما البدوى يتشوق

بطبعه دوما الى معشوقيه ـ الماء والكلأ ـ وهو وان أحاط حبه بمجموعة من القيم منها حبه للانطلاق واحتقاره للعمل اليدوى وثقته بنفسه وبعصبيته وعدم تقديره للوقت وللادخار واحترامه للفروسية وللقوة حتى فى مواقف الغزو والسلب والنهب ، فانه لايفارق دياره بسهولة ـ على الأقل ـ ويبكيها دوما بناسها الذين عاشرهم ثم فارقهم . ومن هنا كان تقديسه للماضى واحترامه لكبار السن وتكريمه للذكريات ومناجاته لأطلاله كلما واتته الفرصة ، ولكن البدوى برغم حنينه للماضى لايكف أبدا عن التجوال بحثا عن مصادر أرحب للحياة والرزق .

أما عن الطبيعة فالتطرف سمتها ، وقد تظل الصحراء بلا مطر لعشرات السنين ، وقد تمطر سماؤها فجأة وتنهمر سيولها وثلوجها لتغير حتى وجه الصحراء القاحلة ، والبدوى مظلوم ، ضياعة قلة المطر ووجوده كثرتها .

(ج) الحــــذر :

والجماعة البدوية فى تسلحها بالحذر ـ من الناس والطبيعة على حد سواء ـ لم تفعل ذلك جزافا ، وانما نتيجة لخبرات كثيرة ، فالطبيعة عندما تغدر ويصبح لزاما على الجماعة البدوية أن ترحل أو أن تفر بتعبير أدق ، هربا بحياة مواشيها وأبنائها من ذلك الخطر الداهم ، والطبيعة فى غدرها أمر استوجب الحذر .

والمرعى النامى عندما يضمحل لسبب أو لآخر ، لتجد الجماعة البدوية نفسها فى موقف يستدعى الانتقال الى مكان اخر ، موقف يستدعى الحذر .

(د) التجمع القبلى :

مادامت الطبيعة غير مستقره أو مأمونة ، ومادامت سبل المعيشة غير ميسرة أصلا ، فلا أقل من أن تتواجد الجماعات البدوية فى تجمع قبلى تشكل الاسرة أصغر وحداته ، ثم يمتد ذلك التجمع أو التنظيم حتى القبيلة الأم . وربما ضم معها عددا من القبائل الأخرى بفعل روابط وعصبيات معينة ، منها روابط الدم والمصاهرة أو روابط الأحلاف والجوار وما اليها .

ويمتاز هذا التجمع القبلى بنظام اجتماعى مبسط تتحدد خلال المكانات والادوار والاسس التى تبرز من خلالها سيادة الرجل وتبعية المرأة فى غالبية الاحوال .

وتبرز هذه السيادة من خلال كل وجوه الحياة البدوية تقريبا ، فلو أخذنا مثلا تقسيم العمل بين الرجل والمرأة لوجدنا أن الرجل يستأثر بالأعمال الممتازة كأعمال الغزو وتمثيل الأسرة أو الجماعة البدوية لدى غيرها من الأسر والجماعات ، وكذلك كل العمليات الاشرافية التى لاتحتم عليه أن يمارس عملا فعليا ، فى حين تقوم المرأة الى جانب تدبير شئون أسرتها وتصريف أمورها المنزلية ، تقوم برعى الحيوانات ورعايتها ، وصنع ماتحتاج اليه الأسرة من أغطية وخيام ، كما أنها تقوم بزراعة بعض النباتات حول مضارب الاسرة .

ولو انتقلنا الى الملكية داخل التنظيم القبلى لوجدناها ذات وجهين الأول منها جماعى ويتجلى فى المراعى والابار والواحات هذه كلها ملك القبيلة ، وتمارس كل جماعة فوقها حق الاستغلال فقط ، أما الوجه الآخر للملكية فيتمثل فى الملكية الفردية ، فمن حق الفرد البدوى والأسرة البدوية أن تكون لها حيواناتها ومضاربها ومقتنياتها الخاصة بها ، وبحيث يكون ذلك كله فى خدمة القبيلة كتنظيم أولا واخرا .

ويأخذ هذا التجمع القبلى مظهرين :

١ ـ مظهر مادى :

بحيث تتجمع الجماعة القبلية كلها فى مواجهة الظروف القاهرة التى تكتنفها حبا فى البقاء فيعمل كل أفرادها معا ويحاربون معا .

٢ ـ مظهر معنوى :

وفيه تتوحد قيم الجماعات البدوية وعادتها وتقاليدها فى تنظيم اجتماعى معين يفتديه البدوى بكل شيىء ولايقبل بسهولة أى خروج عنه مع الاستعداد التام لتقبل نتائج ذلك الالتحام القبلى عنوا وغرما ... ولعل فى ظاهرة الثأر مايكتنفها من قواعد ونماذج سلوك مايوضح الدور الذى تؤديه الجماعة البدوية فى طلبه الثأر أو دفعه .

(هـ) الاستجابة البطيئة للتغيرات الحضارية :

يكاد يكون نمط الحياة البدوية هو النمط الوحيد الذى كما هو عليه بغير تحولات كبيرة منذ الاف السنين حتى اليوم ، ويرجع ذلك الجمود الذى أصاب الحياة الاجتماعية البدوية لارتباط هذه الحياة بالظروف الطبيعية بدرجة كبيرة ،

فكما هو معروف فان العوامل الجغرافية والمناخية والنباتية والحيوانية تلعب دورا كبيرا فى تحديد احتياجات البدو وامكانياتهم وتحديد هذه الظروف متضامنة مع عوامل أخرى مكانات الانسان والجماعة البدوية وأدوارها .

فهذه العوامل كلها كانت استجابات البدو لأية تغيرات حضارية تتسم بالبطء ، والحذر الشديدين ، وبحيث كانت الريبة هى السمة الغالبة لأى علاقة ما تنشأ بين البدو وبين كل جديد يقتحم حياتهم .

الخصائص الاجتماعية فى المجتمع البدوى :

ان المجتمعات البدوية تضم الكثير من الخصائص سواء العامة منها أو الفردية والتى يمكن اعتبارها نظاما عاما ولا يمكن فى الوقت نفسه اغفال الحديث عنها .

أولا : الغزو :

كان الغزو من التقاليد والأعراف الاجتماعية المقبولة فى المجتمع البدوى والقبلى قبل ظهور الاسلام ، حتى اذا جاء الاسلام نهى عنه واعتبره عملا يخل بالمبادىء الاسلامية .

وبالرغم من مرور هذه الحقبة الطويلة من السنين ، لم يزل البدو يمارسون الغزو ويعتبرونه جزءا لا يتجزأ من التكوين الاجتماعى والاقتصادى لكيانهم وبقائهم .. فعادة الغزو لا تعنى مجرد السلب والنهب عند البدوى ، وانما اظهار للرجولة والاقدام ، ومن المألوف أن يكرم البدو الرجل الذى أبلى بلاء حسنا فى الغزو فيروووا عنه القصص والأساطير التى تشيد ببطولته وفروسيته لتكون دافعا ومحفزا للشباب أن يقتدوا بسيرته .

ويعتقد البدو بأهمية الغزو فى اكتمال رجولة الانسان وتدريبه على المهارة فى الكر والفر ، لهذا يحترمون الغزو ويقدرونه ، أضف الى ذلك أن الغزو لا يتطلب اراقة دماء كثيرة ، لأن الدافع الأساسى الذى يحفز البدوى على الغزو هو رغبته فى الحصول على الابل بأية طريقة كانت ، وبالطبع فانه يفضل أخذها بطريقة الغزو من عدوه ، لأن فى ذلك اذلالا وحطة له ، فليس فى الصحراء عادة ابادة

العدو والقضاء عليه شخصيا وعلى نسائه وأطفاله ، لأن ذلك يخالف طبيعة المجتمع البدوى ، ويناقض تقاليد البادية وشرفها .

ولعل أهم ما يقلق حياة البدوى فى الصحراء هى ابله ، فان فقد واحدا أو قسما منها فى الغزو فانه يبقى طول سنينه مضطربا وقلقا حتى يكتشف أمرها . وان وقعت سرقة ليلا واقتاد السارق الابل الى مسافات بعيدة قد تنوف الـ ٥٠٠ ميل فان البدوى يستعين بالعرافة .

والعرافة عند البدو مؤسسة اجتماعية لها وظيفة مهمة تحل كل المنازعات التى تنشأ من الخصام على ملكية الابل ، وللعرافة قواعد وأصول يقرها المجتمع البدوى . والجدير بالذكر أن نتطرق اليها بايجاز : اذا صادف وأن أخذت قبيلة من قبيلة أخرى عددا من ابلها على أثر غارة أو غزو واتفقت القبيلتان على أن تميز كل قبيلة ما أخذ منها من الابل ، فبالامكان ارجاع ابل كل قبيلة بدون نزاع وقد تستعين القبيلتان بقبيلة أخرى تكون وسيطا .

وكما يعلم الجميع أن الحكومة السعودية قد بذلت كل ما فى وسعها للحيلولة دون وقوع الغزو والسرقة حتى اعتبرت بعض القبائل عمل الحكومة هذا قطعا لرزقهم مدعين بأنهم ليسوا مزارعين وليسوا أصحاب محلات تجارية ، هذا هو مكسبهم الوحيد ، ولكن قد تأثرت عادة الغزو كثيرا وانتهت باستعمال الحكومة للسيارات المسلحة والقوات الآلية لايقاف هذه العادة غير الانسانية وتخل بالمبادىء الاسلامية .

ثانيا : الحروب البدوية :

لو أخذنا البداوة العربية كمثال وحاولنا من خلالها التعرف على أسباب الحروب لتبين لنا أن :

١ ـ الطبيعة القاسية التى كثيرا ما كانت تهدد البدو بالمجاعات وتدفعهم غريزة حب البقاء الى نهب غيرهم حتى ولو كانوا جيرانهم ، كما كانت تدفعهم أيضا الى سلب القوافل التجارية المارة بدروبهم أيا كان نوعها ومهما كان أصحابها لا يصدهم عن ذلك وازع من خلق أو دين .

٢ ـ اعتقاد البدوى أن ما يملكه هو ما يستطيع انتزاعه من غيره بحد سيفه .

٣ ـ اعتبار الغزو قيمة من القيم البدوية ، دفع البدوى الى اعتبار العدوان احدى مفاخره .

٤ ـ اعتبر ابن خلدون العدوان أحد سجايا البدو ، حيث أنهم يجدون فيه وسيلتهم الوحيدة لارضاء نزواتهم الحربية من جهة ولاشباع غريزة حب التملك لديهم من جهة أخرى حيث يقول : « وطبيعتهم انتهاب ما فى أيدى الناس وأن رزقهم فى ظلال رماحهم ، وليس عندهم فى أخذ أموال غيرهم حد ينتهون اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون نهبوه » .

٥ ـ كما يعتبر طلب الثأر أحد الأسباب المهمة لقيام الحروب القبلية .

٦ ـ كما تعتبر عوامل العصبية للقبيلة واستعداد البدو للدفاع عنها مهما كلفهم ذلك من تضحيات .

٧ ـ التفاخر أو استظهار الشجاعة يعتبران أحد أسباب الحروب القبلية ، كما تعتبر عمليات الابادة والحماية والولاء والتخرب وما اليها من الأسباب المهمة لاشتعال الحروب القبلية .

وبالرغم من كل هذه الأسباب ، فان البدو يتمسكون ببعض القواعد عند اعلان الحروب ، وليس من الشرف والمرؤة أن تأخذ عدوك على حين غرة فلابد أن تخبره قبل ابتداء القتال .

وبعد أن يستقر الرأى على المقاومة والهجوم تعبأ القبيلة ، فتبقى الطاعنون فى السن والأطفال فيما وراء الخيام الى أن تنتهى المعركة .

ثالثا : الثأر كظاهرة اجتماعية فى المجتمعات البدوية :

الثأر REVENGE كظاهرة اجتماعية أو كخاصية فى المجتمعات البدوية أو حتى كنظام سائد فيها يعتبر من أكثر الموضوعات التى حظيت باهتمام كثير من الباحثين . ويهمنا هنا أن نذكر بايجاز طبيعة وظيفة الثأر وتأثيراته المختلفة على البناء الاجتماعى للمجتمعات البدوية .

وقد كانت عقوبة القاتل فى المجتمعات القديمة هى الثأر ، ولما ظهرت بوادر المال فى مجتمع الصيد حلت الدية الى جوار الثأر بصفة اختيارية ، ولما كثرت الثروة فى مجتمع الرعى أصبحت الدية اجبارية يرغم أهل القتيل على قبولها ويحرم عليهم الأخذ بالثأر ، وتتكون الدية من عدة أبقار تزيد عادة على العدد المكون لمهر المثل . ولكن الجزاء الوحيد للقتل لدى شعوب الجمع والقنص هو الثأر ، حيث يقع واجب الأخذ بالثأر على عاتق أقرباء القتيل على حسب درجة قرابتهم منه ، وتتضامن جماعة المجنى عليه وتعاونه على الأخذ بالثأر . أما

بالنسبة للمجتمعات الرعوية فان الثأر يعتبر أحد صور الجزاء على القتل حيث توجد الى جواره عدة صور يمكن ايجازها على النحو الآتى :

١ ـ القصاص TALIOUN

وتقوم به القبائل التى تخضع لسلطة مركزية قوية حيث تمنع هذه السلطة الالتجاء الى الثأر كجزاء على القتل ، وهنا يتحتم على أهل القتيل ألا يمارسوا الانتقام بأنفسهم بل عليهم أن يلجأوا الى أمير القبيلة أو رئيسها حتى يحيل موضوعهم الى الهيئة القضائية المختصة بالنظر فى جرائم القتل ـ وهى عادة أعلى مستوى ـ لتتخذ الهيئة فيها ما تراه مناسبا طبقا للظروف المختلفة لجريمة القتل ، وغالبا ما يكون الاعدام هو القصاص من القاتل ، وتكاد حتى طريقة اعدامه أن تكون مماثلة للطريقة التى ارتكب بها جريمته .

٢ ـ التعويض COMPENSATION

يهدف التعويض أساسا الى تمكين أهل القتيل من مواجهة الخسارة التى ألمت بهم نتيجة فقدهم واحدا منهم ، وقد يكون ذلك التعويض دية أو اضافة القاتل نفسه أو أحد أسرته ليتبنى بمعرفة أسرة القتيل تعويضا لهم عن راحلهم ، وقد يتجذ التعويض صورة أخرى كأن تقوم جماعة القاتل بتقديم واحدة منهم ليتزوجها أحد أفراد أسرة القتيل لتكون الذرية المنجبة عن طريقها خير عوض عن القتيل خصوصا اذا ما كان فى مقتبل العمر .

هذا وقد عرفت التقاليد البدوية العربية أن للقتيل وليا أو صاحب دم يطالب به ، ويكون حقه فى هذا الشأن معترفا به من الجميع ويكون لذلك الولى سلطانا ، أى حقا وواجبا ، ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك المعنى صراحة خلال احدى آيات سورة الاسراء حيث ورد فيها قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا » .

ولقد قضت الأعراف البدوية أن يكون الولى أو صاحب الدم واحدا من عصبة القتيل ومن أقرب الناس اليه ، واذا لم يكن للقتيل أب أو ابن أو أخ قادر على الثأر له فان ذلك يكون مسئولية رئيس العائلة أو الفخذ أو البطن على اعتبار أن الدم دم الجماعة كلها والثأر ثأرها .

والى جانب الثأر كنوع من أنواع القصاص يوجد أيضا « العقل » وهو

توزيع وجمع الدية عن قتيل اذا ما تم الصلح اما بالتراضى أو بحكم القضاء البدوى ، وبهذا يمكن دفع دية القتيل والكف عن طلب الثأر له ، والقاعدة أن تجمع الدية من ذوى القربى مقابل الدم الذى أراقه واحد منهم ، على أن تدفع هذه الدية الى أهل القتيل وذوى قرباء الذين من حقهم المطالبة بدم القتيل والثأر له حيث توزع عليهم ، وفق الأنصبة الخاصة بذلك .

والدية مقبولة لدى البداوة العربية خصوصا فى حالات القتل الخطأ كما تدل على ذلك احدى آيات سورة النساء حيث قال الله تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة » .

يتضح أن الثأر أو نظام عدواة الدم يحقق عدة أهداف اجتماعية ونفسية وعقائدية يمكن ايجازها على النحو التالى :

(أ) اشباع رغبة الوحدة القرابية للقتيل فى الانتقام ، وبالتالى استردادها لهيبتها وكرامتها .

(ب) اعادة التوازن الاجتماعى المفقود بين الوحدتين القرابيتين للقاتل والقتيل ، حيث أدت جريمة القتل الأولى الى انقاص الجماعة « أ » مثلا شخصا واحدا ، وعلى تلك الجماعة أن تقتص لنفسها بقتل شخص ما من الجماعة « ب » حتى تنقص واحدا ، وبالتالى يسترد ما بين الجماعتين من توازن تقليدى .

(جـ) تحقيق راحة القتيل واسترضاء روحه بالقصاص من القاتل لأن هذه الروح سوف تظل ـ فى اعتقاد مجتمعات بدوية كثيرة ـ هائمة حول قاتلها ترشد طلاب الثأر اليه ، ولن تهدأ أو تهجع قبل الثأر لها .

ومن هنا كانت وظيفة الثأر الهامة على اعتبار أنه الأداة التى يمكن عن طريقها المحافظة دوما على الوضع التقليدى أو الوضع المتوازن ، أو العودة الى ذلك الوضع اذا ما أصابه أى خلل نتيجة لحدوث القتل .

هذا مع ملاحظة أن تجمعات بدوية كثيرة لا تعتبر أن قتل رجل غريب منتم الى جماعة خارجية عنها أو عن مجتمعها ، لا يعتبر قتله جريمة تستوجب الثأر ، اذ أن هذا الغريب الذى لا بيت له ولا يشارك فى أخوه يعد فى نظر هذه المجتمعات خارجا عنها أو بعيدا عنها ، وهو بالتالى خارج لذلك عن حماية القانون القبلى

وليست له أية مطالب أو حقوق ، وبالعكس من قتيل الجماعة ذاتها فله كل الحقوق على أقرب أقربائه أن يثأر له الا اذا كان للجماعة القرابية رأى آخر فيمن يطلب الثأر .

رابعا : وأد الأطفال :

(أ) وأد الأطفال كظاهرة عرفته مجتمعات بدوية كثيرة ، وان ظل بعضها يمارسه حتى وقت قريب ، حيث أن الوأد يوجد فى بعض المجتمعات كأحد وسائل تحديد النسل ، وأن الوأد يشمل الأطفال الذكور والأناث على حد سواء ، وأن سبب الوأد يعود أصلا الى حالة الأسرة الاقتصادية ومدى قدرتها على تحمل أعباء الطفل الوليد ، وأن طريقة الوأد تكاد تكون واحدة لا تتغير وهى خنق الطفل عقب ولادته مباشرة وأن الذى يصدر قرار الوأد هو رب الأسرة وحده . وفى مجتمع الاسكيمو يمارسون عادة وأد الأطفال خصوصا الأناث ، وذلك بسبب سوء الحالة الاقتصادية ، وأن عشائر بدوية كثيرة عرفت الوأد كنظام ولكنها اختلفت فيما بينها فى وجوه تطبيقه حيث أن أعدادا كثيرة من تلك العشائر كانت تختص البنات بالوأد فى حين كان بعضها يصطفى البنين لهذه المهمة ، وان كانت عشائر أخرى تتخلص من أبنائها دون النظر الى كونهم ذكورا أو أناثا ، كما أوضح أن لنظام الوأد أسبابا بعضها اقتصادى وبعضها اجتماعى وبعضها الآخر دينى حيث كانت البنت تعتبر لدى بعض العشائر العربية مثلا رجسا من عمل الشيطان أو من خلق اله آخر غير آلهتهم ، لذلك وجب التخلص منها ، وكان لذلك التخلص طريقة واحدة هى أن يحفر الى جوار الموضع الذى اختير لولادة الأم حفرة عميقة فاذا ظهر أن المولود أنثى قذف بها حية عقب ولادتها مباشرة فى هذه الحفرة ثم هيل على جسمها التراب ، وان كان بعض العشائر يلجأ الى وأد البنات فى أماكن خاصة بعيدة عن منازلها .

(ب) وعموما يمكننا أن نحدد ملامح ظاهرة الوأد من واقع حياة المجتمعات البدوية القديمة أو المعاصرة على الوجه التالى :

١ ـ ان البدو لم يكونوا يفرقون فى الوأد بين الذكور والأناث ، بل يتعلق الأمر بأسباب وظروف كثيرة منها ما يتعلق بكل أسرة صغيرة على حدة ومنها ما يرتبط بالمجتمع البدوى ككل .

٢ ـ انه توجد الى جوار الأسباب الاقتصادية أو القيمية « كالشرف » للوأد أسباب أخرى دينية أو عقائدية كاعتبار البنت رجسا من عمل الشيطان أو هى من غير طينة البشر ، أو اعتبار الطفل المؤود ـ ذكرا كان أو أنثى ـ قربانا يقدم للآلهة اما وفاء لنذر أو استجلابا لرضاها .

٣ ـ ان الوأد كان يتم فى معظم الأحيان بطريقة الخنق سواء بدس الطفل فى التراب أو بوسائل أخرى مشابهة ، وان كان الأطفال يذبحون أحيانا فى حالات تقديمهم قرابين للآلهة وضمن حفلات طقوسية وشعائرية خاصة .

٤ ـ انه لم يكن هناك أى اعتراض ـ ظاهر على الأقل ـ على الوأد حتى من قبل الأم ، بل على العكس فقد ثبت أن بعض الأمهات كن يمارسن الوأد بكامل ارادتهن .

٥ ـ لو عدنا الى القرآن الكريم لوجدنا أنه يوضح بكل جلاء ظاهرة الوأد فى المجتمعات البدوية العربية قبل ظهور الاسلام ، وقد سجل عليهم القرآن الكريم من وأدهم للبنات فى قوله تعالى : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

فأكبر الظن أن من كانوا يصنعون ذلك فهم أجلاف قساة القلوب وكانوا يخشون على بناتهن من الفقر أو السبى .

الترحال والتنقل فى المجتمعات البدوية

لعل التنقل سعيا وراء مصادر القوت يشكل السمة الرئيسية للحياة فى المجتمعات البدوية خصوصا الصحراوية منها . فانتقال البدو أو ارتحالهم بقطعانهم سواء من الابل أو الغنم أو الخيل أو غيرها من الحيوانات ، هذا الارتحال يعرف كنمط بعملية الرعى المتنقل وهو أبسط أنواع الرعى على الاطلاق ، وممارسين من البدو الرحل الذين يعتمدون بصفة رئيسية ومباشرة على الحيوان باختلاف أنواعه .

ولا يقتصر واجب القبيلة على تنشئة الأفراد واعطائهم مكانات اجتماعية وتحديد خطوط السلوك الفردى ووضع القواعد والنظم والقيم الاجتماعية ، وانما تنبثق عنها كافة التصورات الجماعية التى تختص بالحيوانات والأشجار والمياه

والأعشاب وغيرها من المواضيع الطبيعية والروحية ، فلكل قبيلة أشجارها ومزاراتها وأحجارها التى تعتز بها ، ولكل قبيلة طابعها ووشمها الخاص بها الذى يميز ما تمتلكه من الحيوانات عن غيرها من القبائل فعصبية القبيلة اذا أصبحت مصدرا للتضامن البشرى فقط وانما لجميع الحيوانات والأشجار والمياه ضمن حدود تلك العصبية النفسية .

ولكل قبيلة فى الجزيرة العربية وفى بوادى الصرامة وسورية والمملكة الأردنية الهاشمية ديار معينة تجوب سهولها ووديانها وقفارها وتلولها . وان تلك الديار قد تكون مقسمة تقسيما اداريا ودوليا كما هو الحال فى المملكة العربية وسوريا والعراق ، ولكن الشىء المهم أن القبيلة تنتقل مع ابلها ومواشيها فى الشتاء والخريف والربيع ، وتوجد فى تلك الديار آبارها الدائمة التى تستقى منها والتى تعتز بها وتحتفظ بها وقت الصيف خاصة .

لو أخذنا مثلا قبيلة الظفير الكبرى التى تجوب الديار الواقعة فى الشمال الشرقى من الجزيرة العربية التى تحدها شمالا المنطقة المحايدة العراقية والحدود الكويتية شرقا وجنوبا الخط المبتدىء من مدينة عنزة الى أرطاوية ولهذه المنطقة عدد من الآبار مثل « حفر الباطن ، صفا ، جارية العليا ، جارية السفلى ، القرعة ، الوبرة والدجانى » . ورغبة فى المحافظة على الأمن فقد نظمت المملكة العربية السعودية مدينة صغيرة يجتمع فيها أفراد القبائل وتنمو بعض الأعشاب فى هذه الديار وتعتبر الغذاء الريفى للابل .

ومن المعلوم أن القبيلة لا تبقى منعزلة طوال الوقت فى ديارها ، فاذا كانت الأمطار جيدة والمراعى وافرة بقيت فى ديارها وان كان الأمر عكس ذلك فانها تهاجر وراء العشب والماء ، وبذلك تتعدى حدود قبيلة أخرى ، ولكنها على كل حال لا تستطيع أن تنتقل فى ديار قبيلة معادية فعليها أن تؤسس أولا العلاقات والصلات الجيدة وأن تعقد الأحلاف لتستطيع أن تجوب ديار القبائل الأخرى وقت القحط ، ولهذه الأحلاف فائدة متبادلة تخدم أغراضا اجتماعية عديدة أهمها حسم المنازعات ومساعدة الغير على تقوية روح الولاء والتعاون والتضامن .

وقد تقسمت كل بلد الى أحلاف متكافلة ومتضامنة منها :

١ ـ قبائل حرب والمطير والعجمان .

٢ ـ بنو عبد الله وقبيلة عتيبة .

٣ ـ الظفير وشمر والعوازم .

٤ ـ عنزة والرولا والدهان والفوعان .

وقد تقوم القبائل للاكتيال من أنحاء الجزيرة العربية الى بعض المدن العراقية كالزبير والناصرية والسماوة حيث يتردد عليها أفراد قبيلة « الظفير » فى حين حرب وشمر والمطير والعوازم يذهبون الى الكويت ، ويسمى البدو تلك العملية « المسابلة » وعندما تقدم القبائل الى المدن للمسابلة والاكتيال عليها أن تخضع لقانون البلاد وعلى البدو أن يتمنعوا عن القيام بعمل يخل بالنظام .

أنواع الارتحال

عموما يمكننا أن نحدد طبيعة ذلك الارتحال ومداه بالصورة الموجزة التالية :

(أ) الارتحال العادى « الاختيارى » :

وهو ذلك الترحال الذى يتم تحت الظروف العادية التى اعتادتها الجماعة الرعوية وفى نطاقها المكانى المعروف لها والذى سبق أن طرقته فى توال زمنى بحسب قدرة عشبه وحشائشه على الخضرة والعطاء .

(ب) الارتحال الطارىء (الاضطرارى) :

ويتم عندما تتغير الظروف المناخية أو الطبيعية فجأة ولا تجد الجماعة البدوية مخرجا سوى ترحال سريع يشبه الهجرة هربا من تلك الظروف الطارئة التى واجهت الجماعة وهددت حياتها وحياة قطعانها بالخطر ، ويكون هدف الترحال الاضطرارى البعيد ـ بعد انتهاء مهمة الهرب من الظروف الجديدة حفاظا على حياة الناس والحيوان ـ هو العثور على مراع جديدة تجد الجماعة الراحة فى كنفها أسباب الحياة لها ولمواشيها وفى هذه الحالة قد تعود الجماعة البدوية الى ديارها القديمة وقد لا تعود لأن عملية العودة هذه مرهونة بالأسباب التى دفعتهم أصلا الى هجرتها فلو تغيرت الظروف ونما الى علم الجماعة البدوية المهاجرة أن مراعيها القديمة قد عادت اليها الحياة وأصبحت فى حالة تفوق من حيث الخصب والنماء حالة مراعيها الحالية لما ترددت الجماعة البدوية لحظة فى العودة الى ديارها القديمة ولا يكون ذلك بفعل الحرص على القديم والحنين الدائب الى الماضى وحده ، وانما يعود ايضا بوالدرجة الأولى الى طبيعة الجماعة البدوية الراعية وسعيها الدائم وراء أسباب الحياة التى لا تكون الا حيث يكون العشب والماء .

(جـ) الارتحال الموسمى (رحلة الشتاء والصيف) :

ويرتبط هذا الارتحال أساسا بفصول السنة أو بفصليها المتمايزين على وجه الخصوص وهما الشتاء والصيف ، حيث ترحل الجماعة البدوية من منطقتها فى بداية كل شتاء الى مسارح أخرى تكون أقل برودة وأوفر عشبا وماء ، ثم لا تلبث هذه الجماعة المرتحلة أن تعود الى موطنها الجديد مع بداية الصيف .

وقد يحدث العكس ، بحيث تبدأ الرحلة فى الصيف وتنتهى فى الشتاء ، وبداية رحلة الشتاء والصيف هذه لا ترتبط بأى من الفصلين ارتباطا آليا ، وانما ترتبط بهما ارتباطا وظيفيا ، بمعنى أنها تبدأ مع[٢] بداية الفصل الذى لا تتهيأ فيه أسباب الحياة للجماعة البدوية فى مسارحها الأصلية .

وكما هو معروف فان أسباب الحياة فى الصحراء ترتبط الى حد كبير بالمطر خصوصا اذا لم تتوافر معه مقومات أخرى للحياة ـ واحة ، منجم ، بئر للبترول ، تجمع حضرى قريب ـ الخ .. ـ فاذا كان سقوط المطر صيفا بدأت الرحلة صيفا ، وان هطلت الأمطار شتاءا شدت الجماعة البدوية رحالها تجاه مناطق سقوط المطر شتاءا ، وغالبا ما يكون اتجاه الجماعة الراحلة ـ فى كلتا الحالتين صيفا أو شتاءا ـ الى أطراف الصحارى لأنها اكثر مناطقها تعرضا لسقوط المطر .

ورحلة الشتاء والصيف هذه معروفة منذ القدم ويمارسها البدو فى مختلف صحراوات العالم طبقا لمواسم سقوط المطر ونمو الحشائش .

ويرحل بدو صحراء شبه الجزيرة العربية وراء الأمطار أينما وجدت حتى توغلوا فى قلب الصحراء الموحشة وهم لا يفعلون ذلك جزافا وانما دليلهم فى ذلك عاملان مهمان :

الأول : الجمل بقدرته الخارقة على ارتياد مناطق الصحراء القاحلة خصوصا خلال دروبها المؤدية الى الماء والعشب .

والثانى : خبرة قادة (ادلاء) الجماعات البدوية بمسالك الصحراء ومعرفتهم لمناطق الرعْى والآبار فضلا عن[٢] مهارتهم فى توقع سقوط المطر ..

ومع الصيف الشديد القسوة والحرارة ترحل هذه الجماعات البدوية العربية الى أطراف الصحراء حيث تكون هذه المناطق عادة فى شبه الجزيرة العربية أوفر ماء وأعدل مناخا .

(د) الارتحال الدورى (التبادلى أو الرأسى) :

وهو نوع غريب من الارتحال الموسمى ، وان كان يمتاز عنه بشىء من الاستقرار حيث يكون معروفا سلفا لدى الجماعة البدوية أنها سوف ترحل شتاءا أو صيفا الى مكان معين وثابت تقريبا بغير أن تتدخل فى عملية الارتحال عوامل المطر والريح والظروف الصعبة القاهرة التى تفرض عليها الرحيل بغير اعداد أو نظام .

ومن ابرز أمثلة الارتحال الدورى تبادل الأماكن الذى تمارسه القبائل البدوية فى منطقة الأطلس الكبير ، حيث تقضى هذه القبائل صيفها على سفوح الجبال فى حين تقضى شتاءها فى السهول المنبسطة حول الجبل ، ومثلها جماعات الكرغنر البدوية فى تركستان فهى تقضى الشتاء فى مراكز الكازاك الشتوية عند سفوح جبال تيان شأن وعندما يحل الصيف تتجه هذه الجماعات جنوبا لترعى مواشيها على الأعشاب الجبلية هناك .

وعلى هذا الأساس يكون الترحال الدورى هو عملية التبادل التى تتم بين الأماكن المرتفعة والمنبسطة والتى تمارسها القبائل البدوية صيفا أو شتاءا بحسب الظروف والأحوال المناخية السائدة فى مناطق الترحال الدورى .

العمل فى المجتمعات البدوية

استخدمت كلمة (العمل) بكثرة فى مجال التخصص المهنى أو ما يعرف عادة فى الدراسات الاجتماعية باسم (تقسيم العمل) . وذلك باعتبار انه مهما بلغت الحياة الاجتماعية من البساطة فان الشخص الواحد لا يستطيع ان يقوم بكافة الأعمال المختلفة التى تتطلبها الحياة اليومية ، وأنه لا بد من وجود نوع ما من تقسيم الأعمال بين الأفراد حتى فى الحالات التى يبدو فى ظاهرها أن الجميع يقومون بأعمال متشابهة أو متماثلة ، ويزداد الاختلاف المهنى بازدياد تعقد الحياة الاجتماعية حتى يصل الى ما يعرف بالتخصص المهنى - - اى اشتراك عدد من الافراد فى اداء العمل الواحد .

واول دراسة منهجية لتقسيم العمل لدور كيم . وكانت ترمى للتعرف على العوامل التياتؤدى الى ارتباط الناس بعضهم ببعض . وبالتالى الى التضامن

الاجتماعى الذى قسمه الى نوعين : تضامن آلى ويرى فى المجتمعات البسيطة ، وتضامن عضوى ويوجد فى المجتمعات الأكثر تعقيدا .

أما مالينوفسكى فقد أشار الى نوع من التفرقة بين نوعين من الأعمال أسمى الأول منها (العمل الجماعى) **commnual lapour** واسمى الثانى (العمل المنظم) **oranissed lapour** ويستخدم الاصطلاح الأول للأشارة الى الأعمال التى يمارسها عدد كبير من الناس مشتركين ككل واحد ومن أمثلتها الزراعة وجمع الثمار . أما الأصطلاح الثانى فيشير الى نوع من الأعمال يتكون من جزئيات مختلفة يمارسها أفراد يختلفون من اعمال تتكامل فى النهاية بعضها مع بعض كبناء بيت مثلا .

ويميز ريموند فيرث بين ما أسماه بـ (العمل البسيط) و (العمل المركب) وذلك على أساس أن العمل فى المجتمعات البدائية هو عمل جماعى دائما ، اذ يشترك فيه اما المجتمع كله أو بعض أفراده ، سواء أكان النشاط يتعلق بممارسات متشابهة أم مختلفة واهتم فيرث بدراسة حوافز العمل . وتخير للدراسة مجتمعا لا يعرف النقود فى معاملاته وهو مجتمع تيكوبيا . وقد وجد أن أهم الحوافز هى الحصول على الطعام ، والرغبة فى اقامة حفلات ، وتبادل الهدايا ، وابراز المهارات للحصول على اعجاب المجتمع ، هذا بالاضافة الى اداء الالتزامات الاجتماعية . وبذلك يمكن القول أن العمل فى المجتمعات البسيطة ليس نشاطا اقتصاديا فحسب وانما هو نشاط اجتماعى أيضا يتفق ويتلاءم مع الدور الذى يجب أن يقوم به الفرد فى المجتمع الذى ينتمى اليه ويتلاءم مع قيم المجتمع . ومن الأمثلة على ذلك أن السرقة ليست عملا لأنها لا تحقق التضامن الأجتماعى ولا تتفق مع قيم المجتمع .

ويتحدد تنظيم العمل وتقسيمه فى المجتمعات التقليدية وفقا لقواعد دقيقة تكون جزءا من النسق الاجتماعى ككل .. وأهم أساس تقسيم العمل فى هذه المجتمعات أساسين هما : النوع (أى الأنقسام الى ذكور وأناث) والسن .

تقسيم العمل بحسب النوع :

وهو أكثر أشكال تقسيم العمل شيوعا فى المجتمعات البشرية والفروق بين الذكور والأناث ليست فروقا فيزيقية فحسب ، وانما تمتد الى وظيفة كل منهما فى المجتمع ، وهناك ميل واضح لتقسيم العمل فى المجتمعات بحيث تلتصق بعض

الأعمال بنوع دزن الآخر . ولا يمنع ذلك من وجود بعض التداخل فى بعض الأحيان .

وقد يتصور البعض أن الرجل اختص بالاعمال الشاقة . والواقع يشير الى غير ذلك . فقد جاء فى كتابات كثير من الأنثرو بولوجين كما اعتمدوا فى دراساتهم على الملاحظة المباشرة ما يستنتج منه أن المجتمع البدائى يميل الى اسناد الأعمال الشاقة العنيفة للمرأة وليس للرجل . والملاحظ أن نوعية العمل وليست القوة العضلية المطلوبة له هى التى تحدد هذا التقسيم ، فمثلا فى الواحات الخارجة يشترك الرجل والمرأة فى جلب المياه من البئر ولكن الرجل يجلب الماء الذى تحتاج اليه الماشية ، اما المرأة فتقوم باستحضار الماء الذى تحتاج اليه فى الأعمال المنزلية .

وهناك اعتبارات اجتماعية تتدخل فى تقسيم العمل بين الذكور والأناث منها المكانة الاجتماعية لكل منها ونظرة المجتمع والقيمة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة فى المجتمع . ومن الصعوبة بمكان وضع مبدأ عام يمكن أن يصدق على كل المجتمعات دون أن يكون له استثناءات كثيرة .

تقسيم العمل بحسب السن :

ويقوم هذا التقسيم وفقا لطبيعة المراحل العمرية التى يمر بها الأنسان فى أثناء حياته وما تتميز به كل مرحلة من خصائص وقدرة على تحمل المشاق وما يتوقع أن يفترض أن يكتسب الفرد من خبرات . وطبقا لذلك تختلف المكانة الاجتماعية لكل مرحلة . ويتخذ هذا التقسيم شكل النظام الاجتماعى المتكامل فى المجتمعات التى يقوم تنظيمها الاجتماعى على أساس ما يعرف باسم (طبقات العمر **age seis** . وفى مثل هذه المجتمعات نجد أن الطبقات العمرية تترتب على نسق واحد بحيث تعلو احداها فوق الأخرى ، وتقف كل طبقة موقفا معينا من بقية الطبقات التى تعلوها أو التى تأتى دونها فى السلم الاجتماعى وتتصرف كل طبقة كوحدة متماسكة ومتمايزة عن غيرها وتمارس أعمالا محددة بالذات تتركها عندما تنتقل الى طبقة أعلى .

وتلجأ بعض المجتمعات الى اقامة بعض الشعائر والطقوس الخاصة التى تهدف الى تكريس الفرد للدخول فى طبقة معينة والقيام بالتزاماتها . وقد يشارك الفرد ببعض اعمال الطبقة قبل التحاقه بها ، الا أن التخصص لا يتضح الا بعد الالتحاق بالطبقة .

والأساسان السابقان لتقسيم العمل يعتبران من الأسس الطبيعية الى حد كبير غير أن تقسيم العمل بالمعنى الدقيق لا يتيسر الا عندما يصل المجتمع الى درجة من التنظيم يتمكن معها أن يختص كل عضو من اعضاء المجتمع بعمل معين (ومن أمثلة ذلك قبائل الباجاند **baganda** التى توجد فى أوغندا وتمارس صهر الحديد بعد استخراجه ثم تقوم بسبكه وتبادله) وغالبا ما يتواجد هذا النظام اذا ما توافر للجماعة القوت واستطاع بعض الأفراد أن يتحرروا من العمل فى الأرض ليمارسوا أعمالاأخرى . أى أن الأدوار المختلفة يمكن أن تتوزع على أشخاص مختلفين يعملون لتحقيق هدف محدد ومتكامل فى نهاية الأمر .

التبادل فى المجتمعات البدوية

للشعوب البدائية وسائلها فى تقويم العمل والجهد البشرى . وهى لا تستخدم النقود فى غالبية الأحيان . وانما يقوم فيها نمطان أساسيان للتبادل ويتواجد بين هذين النمطين أنماط أخرى وسيطة .

والنوع الأول للتبادل يكون العامل المميز له هو نوع العلاقة بين أطراف عملية التبادل بين البشر . وفى الغالب يوجد بينهم علاقة صداقة أو جوار . بمعنى أن التبادل يتم بين اثنين من الأصدقاء ، ومن ثم تكون العلاقة بين السلع المتبادلة فى مرتبة ثانوية . وتؤدى عملية التبادل وظيفة اجتماعية هى تقوية الروابط بين الأفراد والجماعات المشتركة فيها ويندران يدخل فيها عميات مساومة . وهى غالبا ما تتخذ صور الهدايا التى تهدى فى نطاق المجتمع الواحد ، أو فى نطاق عدد من المجتمعات . وتتم أحيانا فى أثناء القيام ببعض الحفلات ويصاحبها ممارسة بعض الشعائر وتعرف باسم التبادل الطقوس eXCHANGE CEREMANIAL وهى تختلف كثيرا عن التبادل الاقتصادى . وتتضمن نوعا من الالتزام بقبولها و بردها بصورة مبالغ فيها . ولذلك تسمى (الهدايا الملزمة) ومن أمثلة هذه النظم (البوتلاتش) وهذا النظام فى جوهره نظام اجتماعى يهدفالى اكتساب مزيد من الشرف والسمعة الطيبة عن طريق منح الغير ، والمبالغة فى الرد . وقديلجأ الفرد الى اتلاف ممتلكاته باحراقها وينافس فى ذلك غيره لاحراجهم اذا لم يستطيعوا مجازاته الى النهاية .

أما التبادل عن غير طريق الهدايا فهو نوع من التجارة يعرف بالمقايضة أى استبدال سلعة بسلعة . وتظهر هذه الصورة من التبادل فى المجتمعات الأكثر تقدما وتعقيدا . ومع ذلك فهـــى ليست عملية اقتصادية بحته .. وانما تتأثر بالعلاقات الاجتماعية والقيم السائدة فى المجتمع . وتتخذ المقايضة ثلاثةأشكال رئيسية هى :

(أ) التبادل بين شخصين او عائلتين لا تشتغل أيهما بالتجارة أصلا . وتكون السلع موضع التبادل من انتاج الطرفين المتبادلين . وغالبا ما تون من الأشياء الزائدة عن استهلاك كل منهما .

(ب) التبادل بين شخص عادى وآخر من عائلة أحد التجار . وهذا معناه أن أحد طرفى التبادل يستبدل بمنتجاته او مصنوعاته سلعا لايتم صنعها فى نفس المجتمع وانما تجلب الى المجتمع بغرض التجارة . ويتم التبدل بشكل فورى .

(جـ) المقايضة المؤجلة . وفى هذا النوع يكون أح طرفى التبادل من التجار ويقوم بتزويد عميله بكل ما يحتاج اليه من السلع الاستهلاكية التى يلبها من خارج المجتمع على ان يأخذ الثمن فى مواسم الانتاج المختلفة ومن المحصولات ذاتها . وحينئذ فقط تتم عملية التبادل . وهـذا النوع من المقايضة أقرب فى طبيعته الى التجارة الحقيقية . وان كان الثمن يؤدى عينا وليس نقدا .

الفصل الثالث

الشخصية البدوية

- الظواهر الفردية للشخصية البدوية
- الملامح العامة للشخصية البدوية .
- مظاهر الحياة العامة للشخصيةالبدوية

الفصل الثالث

الشخصية البدوية

الظواهر الفردية للشخصية البدوية :

سنحاول فيما يلى أن نتعـرف على بعض الخصائص الفردية أى تلك الخصائص التى تتصل بالانسان الفرد فى المجتمع البدوى ، وقد تنطبق هذه الخصائص والمقومات على أفراد كثيرين فى المجتمعات البدوية المحلية المتعددة ، فتصبح بذلك ظاهرة ولكنها فردية .

والفردية كظاهرة ليست موجودة فى المجتمعات البدوية بشكل سائد ولكن السائد هناك هو الجماعية . وقد يبدو كثير من الخصائص فردية فى مظهرها من حيث الأداء والسلوك ولكنها من حيث الوظيفة أو التأثير تكون خاصية جماعية .

والشىء الوحيد الذى يمكن اعتباره خصائص ومقومات فردية فى المجتمعات البدوية هو ما يتصل بالفروق الجسمية والعقلية والبيولوجية بين الأفراد .

وقد تصور ابن خلدون فى دراساته الشخصية البدوية فى تحويره للخصائص والمقومات النفسية والاجتماعية البدوية وارتكز فى ذلك على مجتمعى العرب والبربر وما فى معناهما ـ فى حد تعبيره ـ ولقد جمع ابن خلدون خقل تحويره للخصائص البدوية الفردية كل المتناقضات « فالبدو ـ عنده ـ شجعـان ولكنهـم نهابون لأموال غيرهم من الناس ، وعلى خلق قويم ومتين ولكنهم قطاع طرق ، وهم أهل فطرة يبغضون الابتذال والتسفل ولكنهم ليسوا أهـل علـم ولا فن ولا صنعة » .

متناقضات حوتها خصائص البداوة عند ابن خلدون ، الذى أحس على ما يبدو بمدى هذا التناقض ، فقرران هذه المتناقضات ليست من صنع البدوى وانما هى من صنع الطبيعة وقال : « ان الانسان ابن عوائده ومألـوفه لا ابن طبيعته ومزاجه ، فالذى ألفه فى الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزله منزل الطبيعة الجبلية » .

وواضح أن ابن خلدون يريد أن يقول ان ماذكره من خصائص للبداوة ـ تتساوى فى ذلك الخصائص الفردية والجماعية ـ ليست من صنع البشر بقدر ما هى من صنع الطبيعة المحيطة بهذه البداوة .

وقد يكون الشىء الملفت للنظر فعلا عن ابن خلدون ، أنه لم يذكر خصائص البداوة منفردة ، وانما ذكرها بالمقارنة بالخصائص الحضرية السائدة آنذاك ، وبين أن خصائص كل من البدو والحضر تكاد تكون متنافرة تماما ، فاذا كان البدوى شجاعا لا يهاب الموت فالحضرى جبان يؤثر الدعة ، واذا كان البدوى متوحشا فالحضرى مترف ، واذا كان البدوى طيب الخلق فالحضرى متسفل أفسدته الحضارة وجعلته رخوا مخادعا وكذابا ، واذا كان البدوى يدافع عن نفسه بحد السيف ويفزع لكل هزة فان الحضرى قد أوكل أمر الدفاع عن نفسه الى الدولة ولدرجة أنه ـ أى الحضرى ـ قد يستأجر من يتولى عنه هذه المهمة ، واذا كان الحضرى أهل علم وصنعة فالبدوى يكره العلم ويبغض الصنعة ، واذا كان الحضرى يحترم حقوق الغير ويخاف السلب والنهب ، فالبدوى لا يؤمن الا بغلبة السيف ويمجد السلب والنهب كمظهر من مظاهر القوة والغلبة والشجاعة والسلطان .

ويتضح من ذلك ان ابن خلدون قد جمع فى الشخصية البدوية الكثير من المحاسن والمساوىء معا ، حيث ضمنها صفات الشهامة والكرم والعفة والصراحة والوفاء والصدق والتكافل والتعاضد والتلاحم والتدين ، وضمنها أيضا احترام السلب والتخريب وتقديس القوة بكل مظاهرها واحتقار العمل ـ خاصة اليدوى منه ـ فضلا عن زهد البدوى عن العلم والصناعة .

وقد كتب باحثون آخرون اهتموا بالشخصية البدوية وأبرزوا خصائصها ومقوماتها ومنهم من تصدى للكتابة عن الشخصية البدوية العربية بغير تخصص أو منهج علمى واضح ومنهم من حاول ان تكون دراسته مرتكزة على نوع من الأسس العلمية قدر الامكان . ومن هؤلاء الكتاب « لورانس وجارفيس وويكسون وبيرجو وليرنر ويفوس ومانير وغيرهم » .

قد اوضح بيرجر ان البدوى العربى شديد التقدير لذاته الى حد المبالغة ، الا أنه مع هذا شديد الانصياع لقبيلته ولمعاييرها الجماعية . كما أن المروؤة والشهامة والكرم من أبرز سمات البدوى العربى .

كما بين بيرجر أيضا احتقار البدوى العربى للعمل اليدوى ، وأن البدوى العربى متدين جدا وصبور الى أبعد حد ، ولعـل هذا الصبر هو أحد وسائل البدوى للتغلب على ظروف البيئة القاسية .

ونعتقد ـ كغيرنا ـ أن فى الشخصية البدوية العربية الكثير من الايجابيات التى يجب الحرص عليها وتنميتها ، كما نرى فيها كذلك بعضا من السلبيات التى يجب القضاء عليشا واستبدالها بخصائص أخرى أكثر ايجابية ، وأن عملية الاستبدال هذه ليست مهمة سهلة خصوصا اذا ما عرفنا أن الشخصية بصفة عامة هى نتائج عوامل كثيرة اجتماعية وبيئية ونفسية وحضارية ، بل بيولوجية أيضا وأن من هذه الخصائص ما يورث وأن منها ما يكتسب .

الملامح العامة للشخصية البدوية

على ضوء الشرح السابق يمكن تحديد أهم الملامح العامة للشخصية البدوية فيما يلى :

أولا : احتقار البدوى للعمل اليدوى :

هذه الخصية أكدتها دراسات كثيرة خصوصا لدى المجتمعات البدوية وفى البداوة العربية فان البدو كانوا يحتقرون الصنعة ويعيبون الممتهن لحرفة ما ، ولقد صارت هذه الخاصية احدى القيم البدوية السائدة لدى كثير من المجتمعات البدوية الرعوية ، وحتى مع تغير الظروف الخاصية بالبداوة العربية واضطرار بعض البدو الى امتهان أعمال ما ، فانهم يفضلون أعمالا معينة تحددها فى الغالب قيمهم المرجعية ، والتى من أهمها احتقارهم للعمل اليدوى كأن يفضلون أعمال الحراسة أو قيادة السيارات وما اليها ، ولاشك ان هذه الخاصية ـ خصوصا فى البداوة العربية ـ تعود اصلا الى تصور البدوى لخصائص الرجل ولمكانته ودوره فى المجتمع البدوى .

ثانيا : حب البدوى للحرية :

وتتجلى هذه الخصية أيضا لدى البدويين ، وهـى خاصية مستمدة من الظروف البيئية المحيطة بهم ومن طبيعة التجوال ذاته ، المهم ان البدوى والراعى

بالذات لا يقبل قيدا على حياته ، وان كان بغير شك يخضع للجماعة فى كل ما يتصل بالأمور الجماعية الا انه لا يمكن أن يقبل أى قيد يحد من سلطانة خصوصا فى الأمور التى تتصل بأسرته ونفسه .

ثالثا : وفاء البدوى للعهد :

والوفاء كخاصية موجودة لدى مجتمعات بدوية كثيرة خصوصا العربية منها ، لأن الوفاء بالعهد يعتبر دينا واجب الاداء من جهة ويستحق من جهة اخرى ان تهون فى سبيله النفس والمال والولد ، والتاريخ العربى يفيض بأروع قصص الوفاء بالعهد .

وخاصية الوفاء هذه تشكل احدى القيم الاساسية فى المجتمعات البدوية العربية خصوصا بما يستتبعها من ثقة وأمانة سواء عند المعاملات الاقتصادية المختلفة او عند تصريف اى أمر من الأمور الدنيوية الفردية أو الجماعية .

هذا ولقد ارتبط بخاصية الوفاء مجموعة أخرى من الخصائص كالكرم والمروءة والشجاعة والاجارة والنجدة وما اليها ، ونظرة سريعة لأى من الخصائص نجد أنها نشأت كرد فعل للظروف البيئية الصعبة التى يحياها البدو ، أو بمعنى آخر أنها نوع من تقدير البدوى للظروف القاسية التى يحياها هو أو أى بدوى آخر يحيا تحت نفس الظروف أو ظروف أخرى مشابهة ، لذلك فهو يتوقع ـ بفعل خاصية الوفاء ـ أن يعامل بالمثل اذا ماتعرض لظروف تستوجب اكرام وفادته أو نجدته أو حمايته اذا ماحل به مكروه بفعل الطبيعة او الانسان .

رابعا : البدوى شديد الذكاء :

الذكاء كخاصية موجودة لدى البدو فى كل المجتمعات البدوية ، ولكن نسبة الذكاء تتفاوت بين بدوى وآخر بنفس النسبة التى تتفاوت فيها بين حضرى وآخر ، وان كانت بعض الدراسات التى اجريت فى بعض المجتمعات البدوية قد انتهت الى ان البدوى قليل الذكاء أو أن ذكاءه على أحسن الفروض ذكاء من نوع خاص ، الا أننا نرى أن تلك النتائج وغيرها من النتائج المشابهة والتى قللت من ذكاء البدوى ، انما هى فى الواقع نتائج قاصرة أو مغرضة ، لأنها أولا لم تستخدم من الأدوات ـ والمقاييس ما يجعل نتائجها فوق مستوى الشك ، وثانيا لأن تلك البحوث لم تجر على كل المجتمعات البدوية بحيث يكون لنتائجها تلك الصفة التعميمية .

ونحن وان كنا نعترف مقدما أننا لم نقم ببحوث ميدانية لقياس ذكاء البدو ، كما انه لا توجد تحت أيدينا حاليا نتائج لمثل هذه البحوث الميدانية نثق فيها حول ذكاء البدو ، الا أننا نقرر من واقع معايشتنا لمجتمعات محلية بدوية كثيرة ان البدوى شديد الذكاء ، ولسنا بذلك نقرر شيئا غير واقع ، وانما نتفق فى هذا مع كثير من الباحثين .

خامسا : البدوى يدين بالولاء لقبيلته أيا كان مكانها :

من أهم خصائص البدوى ـ العربى بالذات ـ أنه يدين بالولاء لجماعته القرابية ـ خصوصا قبيلته ـ أيا كان مكانها ، ويتشرف بالانتماء اليها ، ويحفظ التسلسل القرابى لقبيلته عن ظهر قلب ، ويتمسك بكل العادات والتقاليد والقيم التى تدعم صلته بها وتزيده قربا منها على الرغم من المسافة التى تباعد بينه وبينها ، وفى المنطقة العربية نجد أبناء القبيلة الواحدة قد تفرقوا الى داخل حدود اربع دول مستقلة مثلا ، ولكن متى سألت البدوى عن نفسه يقول لك دون ابطاء وبغير تفكير أنه فلان من قبيلة كذا وكذا .

ومن هنا كان القول بان ولاء البدوى لا ينصرف الى المكان وانما يعود الى الزمان بكل ما فيه من انساب وعادات وتقاليد وقيم .

سادسا : احترام البدوى للسن وتقديره الشديد له :

والمقصود هنا بالاحترام هم كبار السن ، نظرا لما تمثله السن المتقدمة من خبرة وحنكة ودراية بمختلف أمور الحياة البدوية ، خصوصا وأن الخبرة فى هذا المجال تكون هى البديل الطبيعى للعلم المفتقد فى المجتمعات البدوية .

«طسابعا : نظرة البدوى غير المحدودة للوقت والمسافة وعدم تقديره للادخار :

ويعود ذلك للفراغ الضخم ولانتشار ظاهرة البطالة المقنعة ، حيث أدى ذلك الى عدم تقدير البدوى لأهمية الوقت ، فالذى لا ينجز من عمل اليوم يمكن ان ينجز غدا او بعد غد أو حتى بعد شهر فالدنيا لن تطير ، وكذلك فان البدوى قد فقد حساسيته بالنسبة للمسافة ، فالصحراء أمامه موحشة وقاتلة ولو سار فيها عمره كله فلا هو مدرك لها قرارا ولا نهاية لذلك فهو يلجأ للتهوين على نفسه وذلك بالتقليل من طول المسافة كأن يقول لك هذه « فركة كعب » أو « رمية حجر » مثلا ان أراد التعبير عن مسيرة يوم وليلة .

وكذلك الحال بالنسبة للادخار ، فليس له مكان عند البدوى ، وربما كان ذلك راجعا الى عدم وجود ما يدخر أصلا أو الى بروز قيم الكرم والضيافة وما اليها .

هذا ولقد احاط البدوى ذلك كله بمجموعة من القيم والامثال ، الشعبية والحكم التى تمجد ذلك كله ، وتحافظ عليه ، ولو اخذنا الادخار كمثال لوجدنا مجموعة من الأمثلة تحض على عدم الادخار مثل « رزق يوم بيوم والرزق على الله » أو « كل نهار ورزقه » أو « اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب » أو « فقر بلا دين هو الغنى الكامل » أو « العز مع القلة خير من الكثرة مع الذل » أو « خذ الاصيل ونام على الحصير » .

ثامنا : البدوى عاطفى ويتأثر بالعلاقات الشخصية والمظهرية :

والمقصود هن بالعاطفية هو عدم الاتزان الانفعالى ، فمشاعر الحزن والفرح والغضب يمكن ان تلاحظ بسهولة على البدوى حيث تبدو واضحة عليه بغير تخف أو مداراة فضلا عن مغالاة البدوى سواء فى حزنه او فرحه .

كما ان البدوى ـ العربى بالذات ـ يتأثر كثيرا بالعلاقات الشخصية والمظهرية ، فزيارة له فى خيمته او بيته أو وصفه بأكرم الصفات ـ أو لقاءه بقول معسول أو بتحية مبالغ فيها ، كل ذلك أو بعضه كفيل بفتح مغاليق أبوابه وجعله يصفح أو يمنح بغير حساب ولم لا ؟ .. أليس هو القائل : « لا قينى ولا تغدينى » !

تاسعا : البدوى يقدر القوة ويحترم الشجاعة :

تحظى مختلف مظاهر القوة والشجاعة بتقدير البدوى واحترامه بصرف النظر عن أهداف تلك المظاهر أو منجزاتها ، بمعنى أن البدوى قد لا يكون شجاعا فى حد ذاته ولكنه يبجل غيره من الأقوياء سواء كانت فى خدمة المجتمع أو ضد أهدافه ، وهذا التقدير ليس وليد الخوف بقدر ما هو نابع من احساس داخلى بالاحترام .

عاشرا : الاستجابة البطيئة لدى البدوى لمختلف مظاهر التغيرات الحضارية :

البدوى معروف ببطء استجابته لأية تغيرات تحدث من حوله ، وان بقيت رغبته الكامنة فى مقاومة ذلك التغيران كان فى مقدوره ، والا فانه يكتفى بالمقاومة

السلبية ، ولعل هذا ناشيء عن حرص البدوى على التقديم وحنينه الدائب الى الماضى والى كل ما تركه الاباء ، فضلا عن تخوفه المستمر من المجهول وبما يأتى به الغد ، ومن هنا كان حرصه على عدم المغامرة بما يعرفه فى مقابل ما لا يعرفه وان كان فى الأخير خيره ومصلحته ، وغلف ذلك التخوف من المجهول بمجموعة من الأمثال والحكم تدور كلها حول أن الذى يعرفه خير مما لا يعرفه ..

حادى عشر : البدوى قلق وغير مستقر :

ولعل ذلك القلق ايضا شيء مكتسب من الطبيعة غير المستقرة التى تمنح تارة فيكون عطاؤها بغير حساب ، والتى تمنع فجأة فيكون جفاؤها بغير حد ، ولعله أيضا ناشيء عن الخوف المستمر لدى البدوى وحذره من أن يغدر به الناس او الطبيعة ، لذلك فهو يفزع عند كل هزة ويلجأ الى حسامه اذا ما استشعر خطرا ما ، وقد يكون خوفه من قوى مجهولة وغير معلومة لديه كخوفه من الارواح الشريرة مثلا .

ثانى عشر : البدوى يمجد الكلمة ويخلبه سحرها :

النشاط الكلامى بصفة عامة يخلب لب البدو ويستهويهم ، ويجعل ممارسيه يحتلون مكانة عالية فى المجتمعات البدوية ، ولو اخذنا البداوة العربية كمثال لوجدنا الشعراء والخطباء وحفظة الأنساب والتراث يحتلون اعظم المكانات حيث تعقد لهم القيادة والمهابة معا ، واللغة العربية تملؤها عشرات المترادفات للشيء ومعسول الكلام يداوى الجراح ، وفصيحه يخلب العقول قبل القلوب ، والحماسى منه يقيم الدنيا ويقعدها ، ومراثيه تدى المهج ، وحزينه يقطع الأكباد ويدمى العيون .. الخ .

مظاهر الحياة العام للشخصية البدوية

١ ـ حياة البادية :

يتبع البدوى الحقيقى برنامجا منتظما لا شعوريا الى جانب تواجده الطبيعى فى الصحراء ومعرفته التامة بان الغد قد يأتى له بخير اوشده قد يضطره الى الرحيل حيث الماء ، وهو يتبع روتينا معينا خاصة عند ترحالة فى خلال العام فى الخريف او الشتاء والربيع او الصيف . والفرق الكبير بين بدوى البادية وغيره

ان حياته غير اكيدة من يوم لآخر . فهو يواجه الخطر كل يوم ويحيا يومه الحاضر ، ومن ثم يضع ثقته الكاملة فى الله الذى يحميه مه عدوه ويسبب له رزقه ويقدر له مصيره ..

٢ ـ الديرة :

لكل قبيلة بدوية ديرتها الخاصة او مجتمعها القبلى . والقبيلة تعيش فى الديرة متجاورة ومتقاسمة فب المرعى والماء ، وهى تنتقل حيث العشب والماء ثم تتوقف فى الديرة من وقت لآخر . ولذا فهى تعقد الاحلاف مع القبائل الأخرى للرعى فى ديارهم والتعاون معهم . وفى السعودية تضع الدولة قوانين صارمة لمنع الحروب بين القبائل . ولكن فى مناطق اخرى عندما تنام هذه الرقابة فان الحرب تشتعل بين هذه القبائل ، ويعتبر البدوى هذه الحروب والغارات فرصة لا ظهار شجاعته وللاثراء وتبادل الجمال وفى حالة السلم يتجول البدو فى الديار الخاصة بقبائل أخرى بحرية وقد يذهبون الى البلدة لقضاء حاجاتهم اليومية .

٣ ـ التنقلات الموسمية :

فى شهور الصيف يتجه البدوى الى الشمال الشرقى ويتمركز عند آبارها وتكون القبائل متجاورة وترعى الماشية والقطعان فى الجوار وتسقى يوميا . ويقابل الجميع صعابا جمه خلال الصيف . وعند بداية موسم الامطار يستعد البدوى لدورته السنوية الكبرى التى تأخذ شكلا دائريا ، وهم فى ذلك يهتدون بالبرق والسحب الداكنة ، ويتجهون الى حيث العشب والماء الوفير ، ويرعون ابلهم فى سعادة تامة ثم تتم الدورة ويتجهون الى ديرتهم مرة اخرى لقضاء فترة الصيف الحزينة .

ويكتسب البدوى خلال هذه الهجرات من الخبرة بالطبيعة وأحوالها ما يجعله يتنبأ بأى خطر أو تغير فى الجو بأيام فهو كما يقال يشم الخطر ويستعد له تحت قيادة شيخ القبيلة .

٤ ـ الشياخة وكيفية الاحتفاظ بها :

يحتفظ الشيخ بمركزه غالبا بالوراثة وتبقى الأسرة ، ويجب على المرشح لهذا المنصب أن يتصف بشجاعة فائقة ، وقدرة على القيادة ، وأنه محظوظ ويجب ان يحمل الرأى العام للقبيلة ويأخذ رأى الجميع خاصة كبار السن والشيوخ ، وفى النهاية فان رأية هو الذى يجب ان يطاع . ويجب ان يكون والدا لجميع أفراد

القبيلة فى زمن السلم ويفتح ديارة للجميع بهامة وكرم .. فلا يمكن أن يكون شيخ القبيلة بخيلا ولا يمكن أن يتصف البدوى بهذه الصفة عامة .

٥ ـ الحياة الصعبة للفرد البدوى :

أن البدوى العادى يقود حياة صعبة ويمكن القول بأنه يكون جوعانا ويشعر بالعرى فى فترات طويلة . وقد يدفعه ذلك للسرقة ؟و للاغارة .. ولكن ابن سعود يمنعه من ذلك الآن .. فحياة البدوى العادى معدم عامة ، وغذاؤه الدائم بعض اللبن والتمر والثريد ، وملابسة تكاد تكون مثل طعامه بسيطة ولكنها كافية لتغطية جسمه النحيل وتقيه برد الشتاء وحر الصيف . ويحلم البدوى بأن يمتلك درزن من الجمال ثم زوجة ثم قطيعا من الماشية أو الغنم ، ولكنه غالبا يبدأ بالبندقية والذلول ، هذا ولبدوى الصحراء سحره الخاص وطباعه السمحة وعرفانه بالجميل وهو طفل للطبيعة . ويحكمه فخر خاص بشرفه وعزته والذى يقدسه أكثر من حياته . وهو يقدم بالتالى شرف الأسرة الذى يطلق عليه « العرض » والذى لايصلح أى خطأ فيه سوى الدم . ويعتز البدوى بكرمه ، فمهما كان فقيرا معدما فسوف يذبح آخر جماله لا كرام الضيف أو الضيوف . وهو يقدم اللبن للضيوف علامة الترحيب .

٦ ـ أخطاء البدوى :

لرجل البادية أخطاؤه فهو لايهتم بالنظافة ـ خاصة ملابسة ـ وهو يدهن جسمه بدهن الجمل ولكن أجزاء خاصة تظل نظيفة . والبدوى غيور وحسود بطبعه خاصة فيما يتعلق بأسرته . وقد يتميز بعضهم بالطمع الزائد عن الحد .

٧ ـ فضائله :

البدوى الحقيقى عميق الايمان بالله . وحياته الشاقة فى البادية تضفى عليه ثوب القوة والشجاعة . وهو محب لزوجته ويتبع ناموسا خاصا فى الحياة بأولويات محددة : فواجبه الأول والأساسى هو رضاء الله ، ثم حماية دياره وجيرته ، ثم مراعاة أصول الضيافة والكرم ، ثم اكرام رفيق السفر ثم مراعة أصول الوجهة ، ثم الاغارة اذا أمكنه ذلك والاحتفاظ بما اكتسبه . والاغارة ليست خطأ ولكنها مهارة وشجاعة .

٨ ـ المرأة البدوية :

عند النظر الى المرأة البدوية نظرة عامة فانها على جانب كبير من السحر

والجمال الطبيعى لحواء الأصيلة غير المصنعة والتى لا تعرف الكثير عن العالم او المدينة الا ماتسمع من حك يات عنها . ولها صفات الطفولة البريئة وهى غيورة شديدة الحب شديدة الكراهية شديدة التضحية تحب الأطفال وتفنى فى حب زوجها . والفتاة البدوية لا تقرب أى مجتمع للرجال خارج الأسرة ، ولكن المتزوجات لهن حرية أكبر نوعا من الأسرة الكبيرة . وهن حريصات على سمعتهن لدرجة كبيرة ، وقد تسمع بعض الحديث عن النواحى الجنسية بحرية حيث تشاهد عمليات التزاوج بين الابل والماشية وعمليات الولادة يوميا تقريبا . وعموما فان المرأة البدوية على أخلاق عالية وغالبا ما تتزوج ابن عمها أو يكون زواجها عن حب صادق ممن تحب وهى فى ذلك غاية فى الصراحة .

٩ ـ طهارة النساء :

إن الحصول على النساء كزوجات فى البادية عملية مرة وسارة فى نفس الوقت . وقد يكون هناك حالات طلاق لأسباب تافهة ولكن ليس لذلك أهمية تذكر ، فاذا كانت المرأة جميلة ومن اسرة كبيرة فسوف تجد من يتزوجها بسرعة . والمرأة تحتفظ بالأطفال حتى سن الثامنة ثم يسلم الاولاد لآبائهم . وهى « كأم العيال » وراعية البيت تحافظ على اسم الأسرة وشرفها وسمعتها خاصة عند تواجد الضيوف . وهى لا تخالط الغرباء ولكنها تعرف كل ما يدور فى الخيمة وتراه اذا أحبت ذلك . ولا يذكر اسمها قط وتسمى « أم العيال » والشابات لايمكن ظهورهن على غرباء قط ، ولأفراد معينين فقط قريبين جدا من الأسرة . وقد تكون هناك بعض الروايات عند الزواج من باب الضحك والمرح فقط ولكن اسم الزوجة لا يذكر مطلقا .

وتظهر قداسة او طهارة المرأة ورفعتها عند الحرب أو عند الضيافة بين قبيلتين . فهى تشجع أهلها على الحرب والقتال والنصر . وفى حالة الغارات قد يقتل البدو بعضهم وتشرد الأولاد ولكن النساء فى خيمتهن لا تمس شعرة واحدة منهن ويجلسن فى حزن عميق وبكاء صامت . فهذا قانون البادية وخرقها امتهان لشرف فاعلها وحط من قدره وهو عنده أشد من الموت .

١٠ ـ شرف العرب :

الضيوف وقواعد الضيافة فى البدو : يعتبر الضيف شخصا متميزا عند البدو حتى ولو كان غريبا تماما . والضيف يحظى بالمأوى والمأكل والحمى ، وعلى

الضيف ان يراعى حرمة الديار ويقترب من امام الخيمة او المنزل وليس من خلفها . ويقدم للحضور ويعطى اللبن ليشربه ويروى ظمأة وتختلف المقابلة على حسب وضع الضيف فاذا كان شيخا تعلق الرايات وهكذا . ويمضى الضيف ثلاثة ايام فى الضيافة .

١١ ـ الهدايا :

قد يتبادل الضيف الهدايا مع مضيفة قبل الرحيل وفى ضيافة الملوك والأمراء قد تستمر الفترة الى عشرة ايام . وتكون الهدايا لكل الموجودين وتكون عادة فى شكل بن او ارز او سكر او قماش من الحرير .. الخ وتعتبر هذه الهدايا هامة فى مجال الضيافة خاصة فى القبائل المعروفة بمراكزها .

١٢ ـ رابطة العيش والملح :

لكى تأكل مع شخص ما فان الضيف يكتسب أمنا طبيعيا من الشخص الذى اطعمة وكذلك القبيلة جمعاء لمدة ثلاثة ايام حتى ولو شربت القهوة فقط . وتأتى فترة ثلاثة ايام من فكرة ان الأكل يبقى فى المعدة ثلاثة ايام .

١٣ ـ حماية العدو الذى استسلم :

تتم حماية البدوى الذى استسلم فى غارة ما واخذ فى الأسر وهو يعامل معاملة طيبة ويقول الأسير : « يافلان انا فى وجهك » ويجيب الآسر : « انت فى وجهى » وتطبق نفس قوانين الدخالة .

١٤ ـ الرفيق او الخادم :

تتشابة هذه القوانين مع قوانين الضيافة فالرفيق او الرفاق هم فى ضيافة القبيلة جمعاء وليس لفرد فقط . وقد يقوم الرفيق بعمل لقاء اجر ما وغالبا ما يكون عمله مرافقة الغرباء خلال الديار بقصد العبور مثلا .

١٥ ـ الجوار :

فى البادية يعتبر الجار فى حمى الله وحمى جاره وله حقوق شرعها الله ، ومن العرف انه اذا ضرب احدهم خيامة بجوار خيام اخرى فهم فى جوار وغالبا ما يتم استئذان شيخ القبيلة او رب البيت قبل الحط فى جوارهم . وعند القوم يكون القادم ضيفا على القبيلة حتى تستتب اموره وهو يتمتع بجميع حقوق القبيلة .

الفصل الرابع

الأنساق والنظم الاجتماعية

- نسق القرابة
- النسق الاقتصادى
- مورفولوجيا المجتمعات البدوية
- العصبية والنسق فى المجتمعات العربية
- ماهية العصبية
- تاريخ العصبية
- الأدوار التى تلعبها العصبية فى حياة المجتمع البدوى
- العلاقة بين العصبية والنسب
- انواع العصبيات فى المجتمع البدوى
- عصبية الأقارب وذوى الأرحام
- عصبية الولاء
- عصبية الجوار والحماية
- عصبية التقاليد
- عصبية الأحزاب والتحالف
- الزواج فى المجتمعات البدوية
- اشكال الزواج
- انماط الزواج
- طرق الزواج
- نظام الملكية فى المجتمعات البدوية
- اشكال الملكية

الفصل الرابع

الانساق والنظم الاجتماعية البدوية

يشير مصطلح « النسق » الى الوحدة الشاملة التى تتألف من عدد كبير من العناصر والمكونات المتفاعلة برغم كثرتها وتناقصها فى بعض الأحيان . معنى ذلك ان كل جزء او عنصر من العناصر المكونة لذلك « الكل » يؤدى وظيفة من شأنها الاسهام فى تماسكه .

وقد بدأ الاهتمام منذ اوائل القرن الحالى يتزايد بدراسة الوحدات الاجتماعية كأنساق كلية وتحليل مكوناتها لمعرفة النظم التى تتألف منها هذه الأبنية والعلاقات التى تقوم بين اجزائها على اساس ان المجتمع يؤلف نسقا كليا مكونا من اجزاء متفاعلة ومتساندة ذلك التساند الوظيفى الذى يميز الكل التماسك .

واتجه بعض العلماء من امثال هرتزل **HERTZLE** الى القول بوجود « نظم اساسية شاملة » او « نظم محورية » والتى تعرف فى الكتابات الاجتماعية والأنثروبولوجية باسم « الأنساق الاجتماعية » **Social Systeme** وان كل نسق من هذه الأنساق يتألف من عدد من النظم الاجتماعية **Social INSTITUTIONS** فالنسق الاقتصادى مثلا يتكون من عدد من « النظم الاجتماعية » التى تشترك كلها فى نظام وتقسيم العمل ونظام الملكية والانتاج والاستهلاك والتبادل والنقود وما الى ذلك .

وبرغم اتفاق الغالبية العظمى من العلماء على ذلك ، فقد اختلفوا حول تعيين هذه الانساق او النظم الكبرى ، كما اختلفوا فى تحديد مكونات كل نسق منها ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على تداخل الظواهر الاجتماعية وتفاعلها وتساندها .

وعلى أى حال فهناك شبه اتفاق على استخدام اصطلاح « النسق » للاشارة الى النظام الاجتماعى المعقد الذى يمكن تحليله الى عدد من النظم التى يمكن تحليل كل منها بدورة الى بعض النظم الاجتماعية الجزئية او الى عدد من العلاقات الاجتماعية المتشابكة .

وسنحاول فيما يلى ان نعــرض بعضا من الانساق والنظم الاجتماعية فى المجتمعات البدوية فى ضوء المفهوم الذى اشرنا اليه فيما سبق لكل من النسق والنظام الاجتماعى .

نسق القرابة

يعتبر موضوع القرابة من الموضوعات التى احتلـت اهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ، ومع ذلك فلازال هذا الموضوع يفتقر الى الكثير من الوضوح . ومما يسترعى الانتباه ان العالم العربى ابن خلدون كان اول من انتبه الى نسق القرابة فى مجال حديثة عن العصبية ووضع اساس نظرية متماسكة نقلها عنه كثير من المستشرقين فيما بعد ، وان لم يقدر لآرائه ما تستحقة من ذيوع وانتشار .

ويستخدم بعض العلماء لفظ القرابة كمرادف لاصطلاح « رابطة الدم » غير انه فى الوقت الحاضر لا يميل الكثيرون لاستخدام عبارة « رابطة الدم » نظرا لما تشير اليه من دلالات بيولوجية قد تكـون مبعثا للالتباس فى مجال الـدراسة الاجتماعية .

ويمكن تعريف القرابة بصفة مبدئية بانها العـلاقات المباشرة التى تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار احدهما من صلب الآخر ، كما ينحدر الحفيد مثلا من الجد عن طريق الأب . او نتيجة لانحدارهما هما الاثنين من سلف واحد مشترك كالعلاقة بين ابناء العمومة التى ترد الى الجد عن طريق الاعمام .

ويستخدم لفظ الأقارب فى الحياة اليومية بطريقة فضفاضه تضم الأصهار الى جانب الأقارب المباشرين الذين تقوم بينهم روابط دم . والرأى السائد هو استخدام كلمة اقارب للدلالة على كل الأشخاص الذين ينتسبون الى نفس السلف ، سواء كان هذا السلف رجلا او امرأة . ومعنى هذا انه على الرغم من اغفال رابطة الدم فانها عامل هام فى تحديد القرابة . وعلى هذا الاساس فان التمييز بين (القرابة) و (المصاهرة) ناشىء عن التمييز بين الروابط الدموية الـطبيعية والـزواج واى دراسة لأنساق القرابة تقتضى بالضرورة دراسة الناحيتين : القرابة بمعناها الضيق السابق الاشارة اليه ، والمصاهرة اى العلاقات الناشئة عن الزواج .

وتعتبر الأسرة نواة النظام القرابى كله ، وأن كانت روابط القرابة تمتد فى المجتمعات البدوية الى ما وراء حدود الأسرة بكثير ، وتؤلف بناء واحدا متمايزا قد يصل الى درجة كبيرة جدا من التعقيد والتشعب بحيث يشمل معظم أفراد المجتمع وأحيانا يشمل المجتمع كله . فى حين يعتبر الزواج بكل التزاماته النواة الأولى لدراسة نظام المصاهرة .

ويمكن التمييز بين نوعين من الأقارب هما :

١ ـ الأقارب العاصبون أى الذين يؤلفون العصبة ويرتبطون بعضهم ببعض بروابط القرابة عن طريق الذكور فقط (الأب والأبن وأبن الأبن وكذلك الأبنة تعتبر عاصبة بالنسبة لأبيها) وهؤلاء جميعا ينتمون الى عصبة واحدة .

٢ ـ الأقارب عن طريق النساء أوذوى الأرحام . وتجدر الاشارة الى التمييز بين النوعين السابق الاشارة اليهما وما يعرف فى الكتابات الحديثة بالقرابة الأبوية أو القرابة فى خط الذكور PATRILINEAL والقرابة الأمومية أو القرابة فى خط الأناث MATRILINEAL KINSHIP والاصطلاحين الأخيرين يستخدمان للاشارة الى خط القرابة المعترف به فى المجتمع ، فالقرابة الأمومية تعنى نظام الانتساب الى سلف « انثى » بحيث يكون تتبع النسب عن طريق النساء دون الرجال . فى حين يستخدم اصطلاح (ذوى الأرحام) للاشارة الى الأقارب الذين ينتمون الى مجتمع أبوى ، ويكون نظام الانتساب فيه عن طريق الذكور ، ولكنهم يرتبطون فيما بينهم بروابط قرابة عن طريق النساء .

وتحديد الأقارب بشخص معين يقتضى رد نسبه الى سلف أعلى قد يعود الى عدة أجيال مضت . وكلما بعد السلف اتسعت دائرة الأقارب بالنسبة لهذا الشخص ، فنظام القرابة نظام متسق من العلاقات يرتبط فيه الأفراد بعضهم ببعض بشبكة من الروابط والصلات .

وكما سبق أن ذكرنا عتبر الأسرة أبسط صور القرابة ، وعلى أساسها تقوم أشكال وصور العائلات الأخرى الأكثر تعقيدا وتركيبا .

ومن أهم الأشكال المعقدة :

١ ـ الأسرة المركبة COMPLEX FAMILY

وهى فى رأى الدكتور أحمد أبوزيد تقوم حيث يوجد تعدد الزوجات POLYGYNY . وهذه الأسرة ليست سوى عدد من الأسر البسيطة التى

ترتبط معاً لتؤلف وحدة قرابية نتيجة لوجود عضو مشترك يربط بينهما كلها وهو الزوج . وتتميز هذه الأسرة بوجود نوعين من الأخوة هما الأخوة الأشقاء الذين يشتركون فى نفس الأب والأم والأخوة غير الأشقاء ، الذين ينحدرون من نفس الأب ولكن من أمهات مختلفات ، وقد تظهر الأسرة المركبة مع وحدانية الزوج والزوجة وذلك عندما يتزوج الأرمل أو (الأرملة) وينجب أطفالا من زواجه الثانى .

٢ ـ العائلة الممتدة **EXTENDED FAMILY**

وهى توجد عندما يبقى الأبن فى أسرة أبيه بعد زواجه وانجابه أطفالا . وهنا نجد الأبن ينتمى لأسرتين مختلفتين يلعب فى كل منهما دورا مختلفا . فهو ابن فى أسرة أبيه ، زوج وأب فى الأسرة التى كونها بزواجه .

ويمكن أن يمتد التعقيد فى تركيب العائلة يتكون معها وحدات قرابية كبيرة قد تضم الأشخاص الذين يرتبطون معا بروابط القرابة وتعرف هذه الجماعات القرابية الكبيرة عادة باسم البدنة (أو الحمولة) LINEAGE وقد تعرف أيضا باسم (العيلة) . فالبدنة صتألف من أفراد يردون نسبهم الى جد واحد مشترك (رجل أو امرأة) وينحدرون منه فى خط واحد إما أن يكون خط الذكر فى حالة البدنة العاصبة PATRILINEACE أو خط الأناث فى حالة البدنة الأمومية MATRILINEAGE وهى لا تماثل فى درجة تعاونها وتماسكها فى الحياة اليومية نفس الدرجة التى نجدها فى الأسرة أو العائلة . ويقل التعاون ويضعف كلما زاد عدد أفراد البدنة الذى قد يصل أحيانا الى بضعة آلاف من الناس .

وتوجد مجالات يظهر فيها تماسك البدنة مثل المجالات السياسية وبعض المجالات الاقتصادية التى تعجز العائلة عن أن تلعب دورا فعالا فيها ، وكذلك وقت الشدة والأزمات وخصوصا عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن النفس ضد جماعات أخرى .

, وغالبا ما تسمى البدنه باسم الشخص الذى ينتسب اليه الأفراد . وكثيرا ما يكون الانتماء الى بدنة معينة من دواعى التفاخر . ولذا يحتفظ الأفراد فى المجتمعات القبلية وشبه القبلية بأنسابهم ، ويستطيعون ذكر تفاصيلها فى غالب الأحيان حتى الجد الخامس وأحيانا السادس . وهم لا يفعلون ذلك لدواعى الفخر وحده وانما لأن الانتماء لبدنة واحدة يفرض على جميع أعضائها حقوقا وواجبات إزاء بعضهم بعضا .

وهناك عوامل كثيرة تمنع البدنة من أن تكبر الى ما لا نهاية . فغـالبا ما تتشعب البدنة وتتفرع عندما يصل حجمها الى حد معين . ولعل أهم هذه العوامل الأيكولوجية لاسيما وأن نظام البدنة يشيع بصفة خاصة فى المجتمعات الرعوية والزراعية وكلاهما يتطلب تعاون كبير من الناس الذين تقوم بينهم روابط القرابة لتسهيل الحياة الاقتصادية ونظام ملكية الأرض أو ملكية حق الانتفاع بها وو راثتهـا يترتب عليه تقسيمهـا بين أفراد لا يلبثون أن يظهـروا ميلا نحو الاستقلال الاقتصادى بعضهم عن بعض بأسرهم الصغيرة التى لا تلبث أن تكبر بمرور الزمن لتصبح بدنات متميزة . فى حين نجد أن اتساع الأرض فى الصحراء وظروف الرعى لا تسمح بذكر جماعات كبيرة العدد فى منطقة واحدة لفترة طويلة ، الأمر الذى يترتب عليه توزيع المناطق الرعوية ومناطق الزراعة بشكل أو بآخر بين العائلات التى تنقسم اليها البدنة . وبمرور الـزمن تنمو الوحدات القرابية وتصبح بدنات متمايزة لا تلبث أن تنقسم داخليا وهكذا .

وقد يؤدى تزايد حجم البدنة الى أن يصبح من الصعب على أفرادها التعرف بدقة على درجة القرابة التى تقوم بينهم ، ويصبح من الأفضل انقسام الفدنة وقد يعجل بذلك ظهـور بعض الأفراد ذوى الشخصيات القوية والمكـانات المرموقة ، فيستقل كل بعائلته عن بقية البدنة . كما قد تكون بعض الخلافات والعـدوات سببا فى حدوث مثل هذا الانقسام . ومعنى ذلك أن البدنة يزداد حجمها حتى يصل الى حد معين يصبح الانقسام عنده ضرورة عملية لتسهيل الحياة ، فتظهر بذلك شعب مستقلة عن البدنة الاصليـة تنمو بدورهـا مؤلفة بدنات جديدة وهكذا وخاصية تفرع البدنة وميلها للانقسام تعتبر من الخصائص الأساسية الهامة التى تشترك فيها كل نظم البدنات تقريبا .

ونمط الانتساب الغالب هو النمط الأحادى UNILLINEAR وفيه يكـون النسب عن طريق أحد الأبوين فقط (الأب أو الأم) فى خط واحد مباشر بحيث يشمل الفروع والأصول الذين ينتمون الى نفس النوع (أى الذكور أو الاناث) ، والى جانب هذا النمط يوجد نمط الانتساب الثنائى الذى يجمع بين نظام النسب الأبوى ونظام النسب الأمومى . ويرى البعض أن هذا النظام على درجة من التعقيد نظرا لأن نسب الشخص الواحد يرد الى جميع أقاربه عن طريق التعرف على العلاقات القرابية التى تربطه بأجداده الأربعة (جدين للأم

وجدين للأب) ، فى حين نجد فى نمط النسب الأحادى أن الأهمية تعطى لجد واحد هو أبو الأب فى نظام النسب الأبوى أو أم الأم فى نظام النسب الأمومى . وبرغم ما يبدو من تعقد ذلك النظام فان الجماعات التى تتبعه تدرك بكل دقة العلاقات التى تربط كل عضو منها ببقية أفراد الجماعة القرابية الثنائية ، كما تدرك تماما الواجبات التى تقع على عاتق كل منهم ازاء الآخرين .

ولاشك أن النظام الثنائى فى الانتساب يؤدى الى توسيع دائرة القرابة بصورة لا تتوفر فى أى من النظامين الأحاديين . كما يجعل الأصهار أقارب مباشرين نظرا لأنه يجعل الفرد عضوا فى جماعتين قرابيتين مختلفين فى وقت واحد هما الجماعة القرابية التى ينتمى اليها الأب وتلك التى تنتسب اليها الأم . وهذا التكوين يؤدى دورا وظيفيا هاما حيث يساعد على تماسك المجتمع القبلى ككل .

النسق الاقتصادى

أغفل بعض العلماء الاوّل الكلام عن الاقتصاد فى مجال دراسة الحياة الاجتماعية فى المجتمعات البدائية اعتقادا منهم أن الرجل (البدائى) ليس له اقتصاد بالمعنى المحدد للكلمة . ويبدو أن مرجع ذلك ما لوحظ من تداخل النظام الاقتصادى فى المجتمعات البدوية مع غيره من النظم الأخرى . والواقع ان كلمة اقتصاد فى أبسط معانيها تشير الى توفير السلع المادية اللازمة لاشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية . وهذه أمور عامة تشترك فيها المجتمعات بمختلف مستوياتها الثقافية . ويتطلب تحقيق ذلك توفير درجة معينة من التعاون المنظم من أفراد المجتمع لاستغلال موارد الطبيعة ، باستخدام بعض الأساليب والوسائل الفنية والأدوات والآلات التى تكفل تحقيق نتائج اقتصادية معينة (مثل جمع الثمار أو قنص الحيوان أو زراعة الحبوب أو ما شابه ذلك) . وكذلك توزيع السلع المنتجة بعد ذلك .

وبرغم المعارضة الشديدة التى يبديها كثير من علماء الاجتماع بأنه يتأثر بصفة خاصة بالهيئة الجغرافية . ولذلك تتنوع النظم الاقتصادية للنظرية الجغرافية ، فانه فى مجال الاقتصاد البدوى لابد من الاعتراف فى المجتمعات البدائية البسيطة . ولا يمكن أن يصدق عليها نظام اقتصادى واحد . فبينما نجد أقزام أفريقيا يعيشون على الجمع والالتقاط ، نجد البوشمن فى صحراء كلهارى

يعيشون على القنص ، والقبائل النيلية تعيش على رعى الأبقار (النوير والدنكا والشيلوك وغيرها) ونجد البدو فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وغرب السودان يعيشون على الأغنام والأبل . كما تجمع بعض الجماعات بين أكثر من صورة من صور العمل ، ومن أمثلة ذلك النوير الذين يجمعون بين رعى الأبقار وزراعة الحدائق وصيد السمك فى موسم معين . وبرغم الجمع بين أكثر من نوع من الأعمال فان الاقتصاد فى مجموعه يتميز بالبساطة ويمكن تلخيص أهم خصائصه فيما يلى :

١ ـ يكون للمصادر الاقتصادية قيمة اجتماعية عالية . وترتبط بها الى حد كبير القيم الدينية والروحية . فالبقرة عند النوير وسيلة لتقديم القرابين والمهور وأساس اقامة الحفلات الهامة . ويبلغ من أهمية البقرة عندهم أنهم يحرصون على ذكرها فى ابتهالاتهم فيقدمون للآلهة قرابين مكونة من بعض الخضروات أو أى حيوانات أخرى ويرجونها أن تتقبل هذه البقرة برغم أن ما قدموه ليس فيه بقرة على الاطلاق .

٢ ـ يكون الأهتمام عادة بأحد مصادر الثروة واهمال باقى المصادر . وعلى ذلك يتميز الاقتصاد البدوى بعدم التنوع ، كما يتميز الانسان البدوى بعدم التخصص .

٣ ـ يكون مورد الطعام اليومى أو الفصلى هو محور حياة الناس . فاقامتهم ووظيفتهم يرتبطان تماما بهذه الموارد أكثر من الارتباط بأى أمور أخرى .

٤ ـ تتأثر الحياة الاقتصادية في المجتمعات البدائية بعوامل قد تبدو بعيدة عنها فتصطبغ بالسحر أو بصبغه دينيه ومن ذلك خضوعهم التام لآراء شخص يعرف باسم « شيخ الأرض » ويعتقدون أن له قوة دينية وسحرية تضمن لهم الحصول على محصول وفير عن طريق قيامه ببعض الأدعية والطقوس والصلوات الدينية قبل البدء بالزراعة . وهم يعتقدون أن بمقدوره حماية زراعاتهم من الآفات والأضرار المختلفة . ويعتبر توزيع الأرض عند كل موسم زراعى من مسئوليات شيخ الأرض الذى تقبل الجماعة توزيعه للأرض على أفرادها وجماعاتها .

وهناك صورة مشابهة « لشيخ الأرض » لدى بعض الأقوام فى أفريقيا وآسيا حيث توجد فئة ممن يعتقدون فى قدراتهم الروحية والسحرية ، وتعرف هذه الفئة باسم « صانعى المطر » .

ولازال لهذه الأمور الغيبية رواسب فى كثير من المجتمعات الريفية المعاصرة .

٥ ـ يعتبر النسق الاقتصادى من عوامل تماسك البناء الاجتماعى الكلى . وقد أثبت هنتنجفورد فى الدراسة التى قام بها لمجتمع الزاندى أن النسق الاقتصادى يخفف من حدة التنظيم الانقسامى للجماعة .

٦ ـ يلعب الحيوان دورا هاما فى حياة البدو وسواء كانوا من الصيادين أو الرعاة وان كان استخدامه يختلف من مجتمع لآخر .

٧ ـ يحيط المجتمع البدوى نفسه بسياج من القيم والأنماط السلوكية التى كان من آثارها ما يلى :

(أ) صعوبة الدخول أو الخروج من المجتمع .

(ب) تغلغل القيم والأنماط السلوكية فى النفوس وانتقالها عبر الأجيال مما نلحظ له رواسب فى كثير من المجتمعات البدوية التى تأثرت بكثير من الأنماط الحضرية أو التى قطعت شوطا لا يستهان به فى التحضر .

مورفولوجيا المجتمعات البدوية

يرى ايفانز برتشارد أن البناء الاجتماعى يتألف من جملة العلاقات الدائمة التى تقوم بين جماعات معينة يحتويها نسق متكامل . ومعنى ذلك أن البناء الاجتماعى يتكون من علاقات بين الجماعات وليست بين الأفراد .

أما ريموند فيرث ، فيرى أن البناء الاجتماعى لمجتمع ما يتضمن مختلف أنواع الجماعات التى يشكلها الناس وكذلك النظم التى يشتركون فيها .

هذا وقد اختلف العلماء فى تحديدهم لنماذج الجماعات التى يتكون منها المجتمع البدوى وأبسط الوحدات المكونة له .

وأيا كانت وجهة نظر العلماء ، فالملاحظ أن أكثر الجماعات شيوعا فى المجتمعات البدوية هى الأسرة ، والبدنة أو الحمولة أو الفخذ والبطن والعشيرة والقبيلة ، وسنعرض فيما يلى فكرة مبسطة مختصرة عن كل منها وان كان قد أشير الى بعض منها عند عرض نسق القرابة .

١ ـ الأسرة :

ذكرنا فيما تقدم أن الأسرة هى أصغر الوحدات الاجتماعية فى المجتمع البدوى وقد عرفها ميردوك بأنها : (جماعة اجتماعية تتميز بمكان اقامة مشترك وتعاون اقتصادى ، ووظيفة تكاثرية ، ويوجد بين ذكر وأنثى من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع) . وأشرنا فيما سبق الى صور من أشكالها وهى الأسرة النووية ، والأسرة المركبة ، والأسرة الممتدة . ومدلول الأسرة يكاد يكون واحدا فى مختلف المجتمعات البدوية وان اختلفت من حيث النطاق والشكل والوظائف وأدوار أفرادها ، ومايترتب على الانتماء اليها من حقوق وواجبات وهى فى كل هذا تخضع لكثير من الضوابط الاجتماعية والظروف البيئية .

وتزداد قوة الروابط الاجتماعية فى نطاق الأسرة لدرجة أن مجموع أفرادها يكونون شخصية معنوية واحدة تكون فيها المسئولية جمعية والملكية جمعية أيضا ، وقد أعطت الأعراف والتقاليد البدوية رب الاسرة سلطات واسعة على أفرادها لدرجة أن من حقه ـ بعد اقرار بقية أفراد الأسرة خلع أحد أفرادها اذا ما ارتكب هذا الفرد مايمس قيم الأسرة الخلقية وعاداتها وتقاليدها ، فاذا ماتم خلع هذا الفرد لاتصبح الأسرة مسئولة عما يرتكبه من أفعال ولايطالبها أحد بثأر يتعلق به . كما لاتطالب هى بثأر اذا ما قتل .

٢ ـ الفخذ أو البدنة أو الحمولة :

تتكون عادة من اتحاد مجموعة من الأسر التى يمكن أن يرد أفرادها الى جد واحد مشترك . ويرتبط أبناء الفخذ الواحد برباط وثيق من الحقوق والواجبات التى لكل منهم وعليه قبل الاخرين ، غير أن علاقاتهم أقل تماسكا فى الحياة اليومية من تلك التى تلاحظ فى نطاق العائلة ، اللهم الا فى ظروف خاصة مثل أوقات الشدة .

٣ ـ البطن :

وهى وحدة من وحدات البناء الاجتماعى فى المجتمعات البدوية أكبر من الفخذ سواء من حيث عدد الأسر الداخلة فيها أو من حيث العدد الكلى لمجموع أفرادها .

وعضوية الفرد فى البطن لاتختلف كثيرا عن عضويته فى الفخذ ، حيث يمثل فى كل منهما جزءاً من كل . وتكاد فرديته تذوب فى نطاق الجماعة .

٤ ـ العشيرة :

يرى ايفانز برتشارد من خلال تحليله للعشيرة لدى النوير أن العشيرة تتألف عادة من البدنات التى يصل عمق بعضها الى أكثر من عشرة أجيال ، وبذلك يمكـن أن تعـرف العشيرة على أنها اتحاد عدد من الأسر ـ وربما الأفخاذ والبطون ـ التى تشترك فى نسب واحد ويوجد بينهـم مجموعـة من الحقوق والواجبات المشتركة ، وغالبا مايسكنون متجاورين لتسهيل مهمة المدافعة وتنظيم أنشطتهم المختلفة .

القبيلة :

يرى الدكتور فيليب خورى خلال حديثة عن القبائل العربية أن القبيلة نظام ، وأنه الأصل فى المجتمع البدوى ، فكل خيمة تمثل أسرة ، والمعسكر المكـون من عدة خيام يسمى حيا . وأعضاء افحى الـواحد يكـونون قوما ، ومجموعة الأقوام القريبة النسب يكونون قبيلة ، ويعد أفراد القوم الواحد أنفسهم أبناء دم واحد يخضعون لرئيس واحد هو أكبرهم سنا ، ويدعون للحرب بصيحة واحدة ويضيفون كلمة بنى الى الاسم الذى يجمعهم .

ويرى فريق من العلماء ان القبيلـة وحدة اجتماعية تجمع عدة عشائر ولايشترط فى هذه العشائر ن تكون ذات سلاقة نسب احدة ، وقد يحدث أن تندمخ عائلة أو عشيرة فى قبيلة من القبائل أو تخرج منها لتندمج فى قبيلـة أخرى ، وتنطوى تحت ولاية قبيلة اخرى تمتاز بالقوة والمنعة .

وتضم القبيلـة عدة تنظيمات شكلية تعمل على تأكيد وحدتهـا وتماسكهـا الاجتماعى ، وبالتالى تحافظ على استمرار وجودها . وأهم تلك التنظيمات التنظيم السياسى ، حيث يمثل القبيلة رئيس يحظى باحترام الجميع ويعاونه مجلس يعرف باسم (مجلس القبيلة) ويتكون فى الغالب من رؤساء المعاشر اذا كانت القبيلة بدون عشائر .

والرأى السائد أن القبيلة تؤلف وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية متكاملة وتكاد تكون مجتمعـا مغلقا على نفسه فى كثير من الأحيان فلا يتصل ثقافيا بالعالـم الخارجى وغـالبا ماتكـون اتصالاته بالمجتمعـات المجاورة فى أضيق الحدود .

والمكانات الاجتماعية فى مختلف أنماط الجماعات البدوية منها مايورث ومنها مايكتسب ، الذى يورث هو كل مايتعلق بالخصائص العصبية والطبقية كالمشيخة ومراكز القضاء والامارة ، الا فى حالات معينة تمنع ذلك ، أما مايكتسب فهو كل مايمكن تحصيله والنبوغ فيه كالفروسية والحكمة والمهارات الخاصة فى المهن والحرف اليدوية وما اليها .

العصبية والنسب فى المجتمعات البدوية

ماهية العصبية :

ان العصبية فى أقرب تعريف لها هى : ميل الأفراد لأقربائهم وعشائرهم ووقوف الفرد مع أهله وعشيرته ضد كل مايريد لهم الضر وتجذب ذوى العصبية الواحدة وتكاتفهم مع بعضهم البعض ككيان واحد فى مواجهة ذوى العصبيات الأخرى .[١]

وتعتبر العصبية ظاهرة مميزة للمجتمع البدوى ، لأن العصبية أصبحت جزء لايتجزأ من حياة أفراد ذلك المجتمع ، ولذلك اعتبرت من خصائص البادية .

ويعتبر ابن خلدون أول من تناول موضوع العصبية بالدراسة ، وهو يرى أنها تعود الى الطبيعة البشرية ، وتتولد من القرابة التى تستند على وحدة النسب وهذا هو الأصل فيها ، وان كانت فى رأيه : تظهر فى صورة أخرى غير النسب كالحلف والولاء .[٢]

تاريخ العصبية :

ان هذه الظاهرة (ظاهرة العصبية) ليست بالظاهرة القريبة العهد وانما يرجع تاريخها الى ألوف السنين[٣] وذلك نتيجة انتقالها من جيل الى جيل منذ الزمن الغابر حيث أننا نجد أن العصبية قد امتزجت مع تكيف البدوى نتيجة لظروف البيئة البدوية ، حيث أخذ البدوى يحافظ على تناقلها والاحتفاظ بها ليضمن

(١) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ص ١١٣ ـ القاهرة ١٩٦٢م .

(٢) نفس المرجع ،

(٣) الطاهر ، عبد الجليل . البدو والعشائر ، ص ٣ .

سلامة كيانه وحياته وندرك من كل ذلك أن حياة الصحراء قد فرضت تلك العصبية على مجتمعاتهـــا لأن فى الصحراء لايوجد الأمان والاطمئنان الا بالتكاتف عن طريق العصبية .

الأدوار التى تلعبها العصبية فى حياة المجتمع البدوى :

لقد كان للعصبية اثار وأدوار أثرت بشكل كبير فى حياة المجتمع البدوى تمثلت فى [١]

١ ـ عملت العصبية على صهر المجتمع البدوى داخل اطار واحد حيث جعلت كل فرد من أفرادها يشعر بالأمن النفسى أو المادى داخل مجتمعه البدوى الذى يعيش فيه .

٢ ـ فرضت العصبية على المجتمع البدوى الحياة الانعزالية سواء اجتماعيا أو نفسيا أو جغرافيا .

٣ ـ يتم عن طريق العصبية تأسيس نوع من السلطة حول منطقة ما وكلما كبرت تلك العصبية اتسعت تلك السلطة وربما ما فسره ابن خلدون بأن الهدف الذى تسعى اليه العصبية هو الملك .

٤ ـ عملت العصبية بشكل كبير عفى ك ئ الافراد دون التباين فيها .

٥ ـ فرضت العصبية على كل قبيلة بما نعـرفه فى العصر الحديث سباق التسلح والتحالف لأن القبيلة التى يظهر فيها الضعف تكون معرضة للهجوم من ذوى العصبيات الأخرى حيث يؤدى ذلك الى فنائها واندثارها .

كما يرى ابن خلدون أن العصبية من خصائص المجتمع البدوى ، حيث أن النسب الذى هو مصدرها الأساسى يبقى محفوظا وصريحا فى الحياة البدوية ، ومن ثم تكون العصبية قوية ، ويرجع حفظ النسب فى الحياة البدوية الى أمرين :

١ ـ العزلـة التى تتصف بها الجماعـــات البدوية مما يحفظ الأنساب من الاختلاط .

٢ ـ الحاجة الى العصبية القوية لضمان الدفاع عن المجتمع حيث لا توجد هيئة أخرى لتتولى هذا الدفاع كما هو الحال فى المجتمعات الحضرية .

---

(١) عبد السلام ، د . فهمى . اثار العصبية فى الفرد والجماعة . بحث فى العربى ، ع ١١٥ .

ويمكن تلخيص الأدوار التى تلعبها العصبية فى حياة المجتمع البدوى فيما يلى :

١ ـ تمثل العصبية قوة ضغط اجتماعى تحفز الناس على التصرف وفقا لما يرى أن فيه مصلحة المجتمع حتى ولو كان هذا التصرف مكروها من الأفراد كالقتال مثلا .

٢ ـ تعتبر العصبية أساس التضامن الاجتماعى لاسيما فى مواقف الشدة كالمدافعة أو مواجهة جماعات أخرى .

٣ ـ تلعب العصبية دورا هاما فى تأسيس الملك وتكوين الدولة حيث أنها أساس التغلب على الغير ، وهذا التغلب انما يكون بالعصبية وذلك وفقا لرأى ابن خلدون .

والعصبية لا تؤدى دائما هذه الأدوار . وانما اذا تعددت العصبيات فى المجتمع الواحد فان ذلك قد يعرقل قيام الدولة أو استمرارها ، اذ ـ يغلب أن تتربص كل منها بالأخرى مما قد يؤدى الى انهيار الدولة .

العلاقة بين العصبية والنسب :

اذا بحثنا فى العلاقة بين العصبية والنسب لوجدنا أن النسب هو الأساس الأول للعصبية .[١]

وبما كان النسب هو المصدر الرئيسى للعصبية لذلك يرى ابن خلدون أن مراتب العصبية تختلف باختلاف مراتب النسب ، من الأسرة الى البطن ثم الحىّ ثم العشيرة ثم القبيلة .

أنواع العصبيات فى المجتمع البدوى

ويمكن تحديد أنواع العصبيات على الوجه التالى :

١ ـ عصبية الأقارب وذوى الأرحام :

يعتبر أفراد القبيلة أو العائلة الذين تجمعهم صلة الدم أو الرحم متضامنين فى العزم فى الدفاع عن بعضهم البعض فى مختلف الأحوال الاجتماعية حيث يكون

(١) البدو والعشائر ، مرجع سابق ، ص ٣ .

كل واحد منهم على أهبة الاستعداد للنصرة والتضحية عن الآخرين ، ونذكر الحديث الشريف : (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) أو كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

ولقد تمخضت هذه العصبية عن جوانب ايجابية وهى التعاون فى رد وصد أى هجوم خارجى . والتعاون لتحقيق المصالح المشتركة وتقديم المعونة ، ماديا أو معنويا ، لكل أفراد الأقارب والأرحام .

ويقصد بالعصبية العائلية الوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة والعائلة والفخذ ، حيث يتضامن جميع أفراد هذه الوحدات معا أن غنما أو غرما ، الى جانب تعاونهم جميعا لرعاية مصالح وحداتهم القرابية والدفاع عنها وعن سمعتها ، ويتلخص دور هذا النوع من العصبية فيما يلى :

١ ـ الدفاع ضد أى خطر مشترك .

٢ ـ التعاون لتحقيق المصالح العامة والمصالح الخاصة كذلك .

٣ ـ مساعدة كل من يحتاج المساعدة من الأقارب .

٤ ـ دفع الثأر وطلبة وفقا للتقاليد البدوية .

٢ ـ عصبية الولاء :

تعقد هذه العصبية عندما يلجأ فرد من الأفراد الى شيخ أو رئيس أو فرد من قبيلة أخرى فيتولاه حيث يكون فى منزلة ذوى الرحم لدى الشخص الملتجأ اليه ويكون ذلك بشرط موافقة قبول الشخص المدخول عليه حيث يقام هذا الولاء على عقد وابرام الميثاق والعهد ، ومثال ذلك قوله : (هدمى هدمتك ودمى دمك وثأرى ثأرك ... الخ) وليست هذه العصبية قاصرة على الفرد بل قد تلتحق قبيلة بأكملها الى قبيلة أخرى تحت ولائها ويلاحظ من هذا أن الملتجىء أضعف من الملتجأ اليه سواء أكان فردا أو قبيلة حيث يوجد الأمان والاطمئنان .

والولاء منذ أن يدخل شخص أو جماعة ما فى معية شخص آخر أو جماعة أخرى . وهنا يصبح من دخل فى معية أو ولاية غيره ، يصبح « مولى » له كما تصبح الجماعة « موالى » لغيرها .

ويقوم هذا النوع من العصبية على الرغبة والقبول بمعنى أن يكون دخول الفرد أو الجماعة فى ولاية شخص أو جماعة أخرى برضا وقبولا كل من الطرفين .

٣ ـ عصبية القبيلة :

فى هذه العصبية تتخذ كل قبيلة موقف التحالف تجاه القبائل الأخرى فى حالة الحرب والدفاع عن المصالح والمسئوليات حيث ينصرون بعضهم بعضا ظالمين أو مظلومين ، وان عدم اشتراك أفراد القبيلة فى مكان معين لا يعنى ذلك تقليل التعاون والتفاعل فيما بينهم ولا فقدان الرابطة التى تجمعهم أو لاتزال أحاسيسهم ومشاعرهم مشتركة اذ لو وقع اعتداء على أحد أفراد القبيلة فان هذا الاعتداء كأنما وقع على جميع أفراد القبيلة .

وتشبه عصبية القبيلة عصبية ذوى الأرحام والأقارب الا أن أدائها لوظائفها لا يتضح الا فى المواقف الأكثر شدة من سابقتها لمواقف الدفاع .

كما قد يحدث اشتراك أفراد القبيلة فى مكان واحد ويخفف البعد المكانى من تعاونهم وتفاعلهم المباشر ولكن هذا لا يعنى انعدام الرابطة التى تجمع أبناء القبيلة الواحدة ، اذ يظل الواحد منهم يدرك انتاءه للقبيلة ومشاركته وتضامنه فى أى عمل يستوجب الدفاع عن القبيلة ككل .

٤ ـ عصبية الجوار والحماية :

تشبه هذه العصبية الى حد كبير عصبية الولاء ، ولكن يوجد بينها بعض التباين ، وتتمثل عصبية الجوار عندما يطلب شخص من آخر أن يجيره أى يدخل فى حمايته حيث يذود عنه كل ما يسىء اليه أو يخاف منه حيث يصبح المستجير فى ذمة وجوار الشخص الذى جاره ، وقد تستجير قبيلة بقبيلة أخرى ضد عدو يهددها أو خطر يزعزع كيانها ، ويتمثل حق الجوار عندما يقول الشخص المستجير (أنا عائذ بك أو مستجير بك من فلان أو فلان من القبيلة الفلانية) ، وللمستجير الحق فى معرفة قبول اجارته أم لا اذ لا يريد أحد أن يورط نفسه باجارة شخص ضد خطر عظيم لا يستطيع مواجهته ولا قبل له به .

وتتمثل أهمية الجوار فى :

١ ـ ان هذه العصبية تمثل الخطر فيها فى الحياة والممات والكرامة .

٢ ـ تجعل القبيلة أو الفرد الذى أجار شخص ضد قبيلة أو شخص فى موقف عدائى .

٣ ـ ان القبيلة المستجيرة تتوقع الهجوم من الأطراف التى أجارت ضدها فى أغلب الأوقات .

ولكننا نستطيع أن نبرز أسباب وجود تلك العصبيات المتعددة بقدر ما أمكننا وهو عدم وجود قانون حاكم يشمل تلك القبائل المنتشرة فى أرجاء كبيرة فى الصحراء بل كان الخطر ضارب أطنابه فى ذلك الوقت ، لذا أرادت كل قبيلة أن تحمى نفسها من الخطر الذى يهددها سواء من القبائل المجاورة أو من عدو خارجى ، ومن هنا قامت تلك العصبيات ومنها عصبية الجوار والحماية .

٥ ـ عصبية التقاليد :

وهو نوع من التعصب لتراث الآباء والأجداد ونماذج السلوك المرعية التى يعتبرها المجتمع رموزا لفضائله ومثله العليا . وهذه العصبية من أجل وأجمل العصبيات التى سادت فى المجتمع البدوى ولو أنها من العصبيات المعنوية وهذه العصبية هى الميل نحو العادات والتقاليد والتمسك بها لما كان عليه الآباء والأجداد ولو أدى ذلك الى الحروب واراقة الدماء حيث أصبح ذلك جزء لا يتجزأ من حياة المجتمع البدوى . ولقد ساهمت تلك العصبية بجانب كبير لمعرفة ودراسة الناحية السلوكية والعادات والتقاليد القديمة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت حيث نراه مازال متمثلا فى بقايا تلك المجتمعات القديمة فى عصرنا الحديث .

٦ ـ عصبية الأحزاب والتحالف :

من خواص هذه العصبية انها ليست من العصبيات الدائمة وانما من العصبيات الطارئة[١]، حيث تعقد قبيلتان أو أكثر فيما بينها حلفا لتكون صفا واحدا متساندا ، وغرض هذه العصبية أنها تعقد لتحقيق مصلحة مشتركة حيث تكون القبائل متضامنة فى حالة الحرب ، وخير مثال لذلك عندما تحالفت قريش مع اليهود وبعض القبائل الأخرى ووقفت صفا واحدا لغرض القضاء على الدعوة الاسلامية فى المدينة فى موقعة الخندق أو الأحزاب ، فقد كان ذلك مصلحة مشتركة بينهم ولكننا لا ننسى ونقول أن العصبية قد فقدت الشيىء الكثير من قوتها وذلك نتيجة الدخول تحت ظل الحياة الحضرية التى كسرت طوق العزلة فى المجتمع البدوى وذلك بفعل التغير الاجتماعى الذى قلب المجتمع البدوى من حالة الى حالة جديدة .[٢] وكذلك من العوامل الأخرى التى ساهمت فى ذلك هى أن الدفاع عن الحى كان يقوم على أيدى أبنائها المتصفين

(١) البدو والعشائر ، مرجع سابق ، ص ٧ .
(٢) خفاجى ، د . حسن . التغير الاجتماعى . ص ٩٧ .

بالشجاعة والفروسية ولكن نتيجة لاختلاطهم واندماجهم فى الحياة الحضرية انتقل حق الدفاع عن المجتمع ككل الى الجهاز الحكومى الذى اختاره المجتمع[1] ، والذى من واجباته حماية الوطن ضد أى اعتداء خارجى والمحافظة على اقليمه وسيادته .

ولقد شغلت العصبية أفكار العلماء والمختصين الاجتماعيين فى وضع تعريف لها حيث عرفها بعضهم بأنها الأحاسيس المشتركة التى تظهر بين الأفراد المساهمين فى الوضعية الاجتماعية[2] حيث تعمل على اشاعة الولاء والاخلاص فيما بينهم . ولقد كانت تصاحب بعض العصبيات نوع من الطقوس اما بالقسم حيث يصبغ بصبغة دينية ، وقد يحدث أن يتعرض الأفراد من كلا الجانبين المتآلفين الى بعض الأخطار كمهاجمة نوع من الوحوش الضارية أو بجرح الأيدى لمزج الدماء مع بعضها[3] وربما يؤدى ذلك الى اعتقاد كل جانب بأن الجانب الآخر قد أخلص له القلب والنية حيث كانت هذه العملية عبارة عن طريقة امتحان واختبار نوايا وميول الطرف الثانى الداخل فى العصبية ، ولازالت الآراء والأفكار تخرج لنا بالجديد عن العصبية فى مجال الدراسات الاجتماعية القيمة .

الزواج فى المجتمعات البدوية

يعتبر الزاج أحد الموضوعات الرئيسية التى تدخل فى نسق القرابة ، نظرا لأنه يعتبر أصل الأسرة بأنواعها وأشكالها المختلفة . فالزواج يعمل على ربط جماعتين ـ قد تكونا مختلفتين ـ بروابط المصاهرة التى تعمل تدريجيا على تدعيم نسق القرابة . وقد عرف ميردوك **murdock** الزواج بأنه (ظاهرة اجتماعية معقدة) نظرا لأختلاف نظم وصور وعناصر الزواج بدرجة واضحة ، بل متناقضة أحيانا على الرغم من بساطة المجتمعات البدائية .

والزواج فى رأى وستر مارك **westrmark** تنظيم اجتماعى للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة يرتب قبلها التزامات متبادلة ومسئوليات اجتماعية .

---

(١) العمرى ، د . بكر ، درويش ، د . ابراهيم . علم السياسة . ص ١١٤ .

(٢) البدو والعشائر ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٣) كولبورن ، رشتون . أصل المجتمعات المتحضرة ، ص ١٣٤ .

ويمكن القول بأن الزواج بصفة اجمالية عقد وضع ليفيد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخر بصورة يقبلها المجتمع .

اولا : أشكال الزواج :

عرفت المجتمعات الانسانية أشكالا متباينة من الزواج . وقد يبدو بعضها غريبا بالنسبة لكثير من المجتمعات المعاصرة . وأهم صوره : الزواج المتعدد ، والزواج الأحادى .

١ ـ الزواج المتعدد :

عرفت بعض المجتمعات البدوية صورا من الزواج المتعدد ، أى الزواج الذى يتعدد فيه أحد طرفى العلاقة الزواجية أو كليهما .. ويرى بعض العلماء أن للتعدد ـ سواء بالنسبة للزوجة أو الزوج ـ أسبابا من أهمها عدم تعادل الذكور والأناث فى المجتمع بحيث يكون التعدد من حق العنصر النادر . كما تلعب الظروف الاقتصادية والجغرافية والطبيعية والحروب والأرث دورا هاما فى ظاهرة التعدد . والمرجح أن تكون ظاهرة تعدد الأزواج آخذة فى الانقراض ، ويرى البعض أن استمرارها محل شك كبير ، وبرغم ما يبدو من غرابة بعض صور التعدد ، فانه يؤدى فى المجتمعات التى تمارسه وظيفة اجتماعية معينة هى محاولة الأبقاء على الجماعة القرابية وتقوية الروابط القرابية القائمة فيها من ناحية ، والعمل على تقوية علاقات المصاهرة وتحويلها تدريجيا الى روابط قرابة من الناحية الثانية . ويتم ذلك فى الأغلب أما عن طريق تكرار حالات الزواج بالنسبة للشخص الواحد فى نفس الجماعة التى سبق له الزواج منها وذلك تأكيدا لعلاقات المصاهرة القائمة بالفعل ، واما عن طريق الاصرار على اعتبار علاقة الزواج والمصاهرة قائمة فى الوقت الذى ينهار فيه أحد أركان الحياة الزوجية مثل موت أحد الزوجين ، ويتخذ تكرار حالات الزواج بالنسبة للشخص الواحد فى بعض الحالات أشكالا قد تبدو لنا فيها كثيرا من التطرف نظرا لعدم ملاءمتها للأوضاع الاجتماعية السائدة فى مجتمعاتنا ، وأن كانت مقبولة بل ومفضلة أيضا فى تلك المجتمعات مثل الجمع بين الأخوات . وهو نظام شائع فى كثير من المجتمعات البسيطة مثل الزولو فى جنوب افريقيا . وكذلك الجمع بين المرأة وابنة أخيها كما هو الحال فى بعض قبائل استراليا الأصلية .

واتخذ تعدد الزوجات صورا مختلفة ، وأخذت به مجتمعات بدوية كثيرة ، ويعتبر أكثر صور التعـدد انتشارا ، الا أنه مر بمراحل متعـددة أباحت فيهـا المجتمعات التعدد بصور مختلفة فبعضها أباح للرجل أن يتزوج من النساء بأى عدد يريده ، وبعضهم قيده تارة بأربع نساء ، وتارة بعدد أكثر من ذلك بكثير قد يبلغ فى بعض الأحيان عشرات أو مئات .

ومن صور التعدد ما كان من حق الرجل أن يعاشر رفيقاته جنسيا مهما كان عددهن . ويعرف هذا بزواج (العشرى) . فى هذا النوع من العلاقات لا ترقى المرأة الى مرتبة الزوجة ، والأبناء المنجبون من هذه العـلاقة قد يعترف الزوج بهم وقد لا يعترف ، فان اعترف تصبح الأمة حرة بعد وفاة زوجها كما لا يجوز له بيعها فى اثناء حياته .(١) .

والتعدد كان معروفا لدى العرب دون حصر ، فقد أسلم غيـلان الثقفى وعنده عشر نسوة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتفظ بأربع ويطلق الباقيات . والاسلام لم ينشىء تعدد الزوجات انما قيده بقيود والتزامات وبعدد معين .. وبعض الآيات تشير الى التعدد وتؤكد عدم استطاعته . فكأنها بذلك تنهى عن التعدد الا للضرورة القصوى .

٢ ـ وحدانية الزواج :

ويقصد به ارتباط رجل واحد بأمرأة واحدة بعلاقة زواجية وفقا لقواعد معينة تنظم اجراءات اتمام هذه العلاقة وتحدد مجموعة الحقوق والواجبات المترتبة عليها والتى تتسع لتشمل أيضا كل ما ينتج عن هذه العلاقة من انجاب أطفال . ويستنتج بعض العلماء أن نمط الوحدانية فى الزواج كانت نتيجة لتغيرات متعددة تعرضت لها صور العلاقة بين الرجل والمرأة . وقد شجعته الأديان السماوية ولم تبح التعدد الا فى حالات االضرورة القصوى وطبقا لشروط خاصة .

ثانيا : أنماط الزواج :

يوجد فى نطاق الجماعات البدوية نمطان للزواج هما :

١ ـ الزواج الداخلى أو الزواج الأندماجى **endogamy** ويقصد به النمط الذى يسمح فيه للرجل أن يتزوج امرأة من عشيرته أو بطنه أو فخذه بشرط ألا تكون من أحد فروعه أو أصوله وطبقا لنظام معين للمحارم .

---

(١) أبو زيد ، د . احمد . البناء الاجتماعى ، الجزء الثانى ، الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٦٧ م .

٢ ـ الزواج الخارجى .. أو الـزواج الأكسوجامى **exogamy** أو الـزواج الاغترابى . ويقصد به ذلك النمط الـذى يعتمد فيـه الـزواج على نوع من التحريم الجنسى حيث يكون محظورا فيه على الرجال من عائلة أو فخذ أو بطن أو عشيرة ما أن يتزوجون من داخل عشيرتهم .

وكل من هذين النمطين يؤدى وظيفة هامة فى التنظيم القرابى ويعمل بطريقة خاصة على دعم الحياة الاجتماعية والمحافظة على البناء الاجتماعى الكلى .

فالزواج الداخلى يحافظ على تماسك الوحدة القرابية عن طريـق تدعيـم العلاقات القرابية القائمة بالفعل بخلق علاقات المصاهرة كما هو الحال فى زواج أبناء العمومة عندما يصبح العم صهرا لأبن أخيه . ومثل هذا الزواج يعمل على حفظ الثروة من أن تنتقل بالوراثة عن طريق النساء الى الجماعات القرابيـة الغريبة .

أما الـزواج الأكسوجامى فانه يؤدى وظيفته فى المحافظة على البناء الاجتماعى بصورة مختلفة حيث يهدف الى توسيع نطاق دائرة القرابة الى أبعد من حدود الجماعة القرابية المتعارفة كالبدنة أو العشيرة وبذلك فانه يربط البدنات والعشائر المختلفة بروابط المصاهرة ويقيم بينها علاقات اجتماعيـة واقتصاديـة وسياسية لم تكن موجودة من قبل .

والواقع أن الزواج فى جوهره علاقة خارجية أو أكسوجامية ، فهو يقوم فى كل المجتمعات على أساس اختيار القرين الآخر من غير أعضاء الأسرة والأستثناء الوحيد لذلك هو الحالات القليلة التى كان يباح فيها للرجل الزواج من اخته كما كان الحال بين ملوك مصر القديمة . فكان الزواج علاقة أكسو جامية ، وأن كانت هذه الأكسوجامية نسبية ، تبع للجماعة التى يمكن للرجل أن يختار منها زوجته . ولذلك يمكـن القول بأن الـزواج يهدف الى توسيع نطاق القرابة عن طريـق الارتباط بجماعة أخرى ، والى تدعيم الوحدات القرابية عن طريق العلاقات الاجتماعية المتشابكة التى تترتب على علاقة المصاهرة .

والملاحظ بصفة عامة أنه حيث يعتقد أن الزواج بين أشخاص تقوم بينهم قرابة من نوع معين قد يعرض البناء القرابى للخطر فان ذلك الـزواج يعتبر مكروها أو حتى محرما . وكلما زاد خطر ذلك النوع من الزواج كان التحريم الواقع عليه قويا وصارما . وعلى العكس من ذلك تفضل الزيجات التى يعتقد

أنها قد تساعد على تقوية وتجديد العلاقات القائمة بالفعل وبالتالى تقوية النظام القائم .

ثالثا : طرق الزواج :

عرفت المجتمعات البدوية عدة طرق للزواج . بعضها ما زال قائما حتى اليوم وبعضها الآخر انقرض وان كان له رواسب فى كثير من المجتمعات . والطريقتان الرئيسيتان للزواج هما طريقتا المهر والبدل ، والى جانبهما طرق أخرى مختلفة نعرضها باختصار :

(أ) زواج المهر :

تعتبر هذه الطريقة أكثر طرق الزواج انتشارا ليس فى المجتمعات البدوية وحدها ، وانما أيضا فى المجتمعات الريفية والحضرية . وتستوجب هذه الطريقة أن يقوم طالب الزواج وأسرته بدفع مهر نقدى أو عينى لأهل الفتاة التى يريد الزواج منها . وتختلف نوعية المهر فى الغالب باختلاف طبيعة الجماعة ونوع الاقتصاد السائد بها . ففى القبائل الرعوية تعتبر الماشية أساس المهر عندهم . وفى المجتمعات الزراعية يكون المهر بعضا من غلة المحصول السائد ، ويمكن أن تكون المهور عبارة عن مبالغ يتفق عليها من النقود .

وتختلف المهور من حيث الكم والكيف على حسب العرف السائد لدى كل جماعة بدوية ، فقد يكون المهر أحيانا أكثر من قدرة طالب الزواج ومن ثم يضطر لأن يلجأ لمساعدة الآخرين من جماعته . وليس كل ما يتضمنه المهر له قيمة اقتصادية حقيقية فى تلك المجتمعات ، وان كانت لها قيمة اجتماعية عالية مثل الخرز الملون أو بعض أنواع من الأسلحة النارية النادرة أو بعض القواقع الجميلة ، ولذلك يصعب أن يعتبر المهر ثمنا للعروس كما يتصور بعض الكتاب من الانجليز والأمريكيين حيث يترجمون لفظ المهر بكلمة **baidewealth** ويؤثر فى قيمة المهر عدة أمور أهمها المكانة الاجتماعية لكل من الرجل ولمرأة ، وتزداد قيمة المهر عادة كلما ارتفعت المكانة الاجتماعية لكليهما ، وبمعنى أصح كلما ارتفعت المكانة الاجتماعية لأسرتيهما . هذا بالاضافة الى عدد من الاعتبارات الأخرى الشخصية غالبا . فالفتاة التى لم يسبق لها الزواج ليست كالتى سبق أن تزوجت والصغيرة السن القادرة على الانتاج والانجاب ليست كالكبيرة

السن والتى تكون أقل قدرة على الانتاج والأنجاب والجميلة ليست كالأقل جمالا . أما بالنسبة للرجل الراس فى الزواج فتتركز أهم صفات الشخصية التى تميز واحدا على غيره فى مكانته الاجتماعية ومكانة الجماعة التى ينتمى اليها وقدرته على الانفاق وقدرته على دفع مهر أكبر .

ويتم دفع المهر وفقا لقواعد وطقوس تختلف من جماعة لأخرى . فبعض الجماعات تلزم طالب الزواج (واسرته) دفع المهر كاملا ومقدما وبصورة علنية امام شهود وبعضها يلزم دفع جزء من المهر مقدما والباقى على أقساط ، ومنها ما يلزم دفع مقدم للمهر والباقى يترك كنوع من التأمين يدفع فى حالة فض الزواج .

وفى معظم الأحيان لا تحصل المرأة على شىء مباشر مما يدفع لها مهرا وقد يكون المهر من حق الوالد الذى يلتزم فى هذه الحالة بعدةو التزامات تختلف من مجتمع لآخر . ففى بعض المجتمعات كمجتمع النوير توزع الماشية التى تقدم أصلا الى والد العروس على حسب أنصبه ونسب معينة بين الأقارب العاصبين وذوى الأرحام . وتنال كل فئة نوعا معينا من الماشية ، فالبعض يأخذ نصيبه من الثيران والبعض الآخر يأخذ نصيبه من العجول الصغيرة ، والبعض الثالث من الأبقار الأنثى ، وبطبيعة الحال فان من يكون لهم الحق فى المشاركة فى مهر العروس يكون عليهم الالتزام بالاسهام فى مهر الذكور من افراد الجماعة . وقد يعاد استخدام المهر مرة اخرى فى تزويج الرجال من نساء أخريات لتعويض ما فقدته الجماعة البدوية منهن . وقد يسترد المهر كله أو بعضه فى حالة هجر الزوجة لزوجها وانفصام عرى الزوجية أو فى حالة عصمتها أو انجابها للبنات دون البنين ، أو لفقدها القدرة على مزيد من الأنجاب وذلك برغم استمرار الزواج .

وظائف المهر :

يمكن تلخيص وظائف المهر فى النقاط التالية :

١ ـ يعتبر المهر وسيلة موضوعية لقيام علاقة زوجية شرعية يعترف بها المجتمع ، وقد اعتبره الدين الاسلامى شرطا لصحة الزواج .

٢ ـ يمكن اعتبار المهر نوعا من التعويض الذى يقدم لعائلة الزوجة عن تنازلها لعائلة الزوج عن حقوقهم على ابنتهم ، ولكنه لا يعتبر بأى حال من الأحوال ثمنا للعروس .

٣ ـ يمكن أن يستخدم المهر الواحد الذى يدفع لاتمام زيجة واحدة لاتمام أكثر من زيجة قد يصل عددها الى عشرات . ولذلك يمكن اعتبار المهر وسيلة لربط عدد كبير من العشائر والبدنات بروابط المصاهـــرة وما يتبع ذلك من حقوق وواجبات والتزامات ومسئوليات سياسية واقتصادية وقرابين متبادلة .

٤ ـ يعتبر المهر عامل أمان لكل من الزوج والزوجة . فهو من جهة يشعر الزوجة بأنها مسئولة قبل زوجها . كما أن أسرتها تضطر لاعادتها اذا ما تركت بيت الزوجية والا اضطرت الى اعادة المهر ، وفى بعض الحالات التى يكون المهر ماشية فأنها تعيد الماشية وما أنجبته أيضا كما يضمن المهر فى نفس الوقت حسن معاملة وكفالة ورعاية الزوج لزوجته .

(ب) زواج البدل :

عرفت المجتمعات البدوية هذه الطريقة ، ويقصد بها أن تتبادل جماعتان من الجماعات البدوية امرأتين أو اكثر لتتزوج كل واحدة منهن رجلا من الجماعة الأخرى .. والقاعدة العامة أن تتساوى الفتاتان محل التبادل وذلك من حيث القدرة على العمل وما ترثه كل منهما وغير ذلك من أمور يمكن أن تتضح قبل الزواج .. هذا الى جانب ضرورة تساويهما من حيث عدد الأولاد التى تنجبهم كل منهم ونوعهم . أما اذا تبين أن أحدهما عاقر فأن جماعتها تضطر الى تقديم بديل عنها اذ تعتبر فى هذه الحالة معيبة . ونفس الوضع فى حالة وفاتها والا أصبح الزواج من طرف واحد ومن ثم يلزم فصم عراه .

ويؤدى زواج البدل الوظائف التالية :

١ ـ التعويض عن كل أرملة تتزوج وتخرج من نطاق الجماعة .

٢ ـ تدعيم قدرة الجماعة على انجاب أعضاء جدد .

٣ ـ دعم الترابط بين الجماعات المختلفة من خلال علاقة المصاهرة المزدوجة وتأكيد بقاء هذه العلاقة بربط مصير كل زوجة بمصير بديلتها .

ولا زال لهذا النمط رواسب فى المجتمعات المعاصرة اذ كثيرا ما يتزوج أخ واخته مثلا من أخ واخته . وقد تكون عملية التبادل واضحة فى الأذهان من بادىء الأمر وقد تهيىء ظروف الاتصال الأسرى اتمامها فيما بعد .

(جـ) طرق أخرى للزواج :

١ ـ الزواج بالشراء :

وهو صورة من صور الزواج اعتبرت فيها المرأة سلعة تباع وتشترى ، ويجب التمييز بين هذا النوع من الزواج والزواج عن طريق المهر . والمهر لا يعتبر ثمنا للعروس بأى حال من الأحوال وانما يدخل فى تحديده كما سبق أن ذكرنا عوامل اجتماعية فى غالبها ، ويرتبط الزواج بالشراء بوجود ظاهرة الرق .

٢ ـ زواج الأسر :

وكان معروفا عند العرب قديما حيث كانت السبايا ممن يقعن فى الأسر عقب المعارك أحد المصادر الهامة للزواج ، اما بعد الأسر أو عن طريق بيعهن لآخرين .

٣ ـ زواج الميراث :

يوجد فى بعض الجماعات حتى الوقت الحاضر ، حيث تزوج المرأة التى توفى عنها زوجها لأقرب اقربائه ، أما اذا لم يكن يرغب فيها فانه يزوجها لآخر مقابل حصوله على مهرها ، أو يتركها تتزوج من تشاء بشرط أن تتنازل عن أى شىء حصلت عليه من زوجها المتوفى ، ولا زالت هناك رواسب لهذا النظام فى بعض المجتمعات المعاصرة . فكثيرا ما يرغب الأخ فى الزواج من أرملة أخيه وان اختلفت الدوافع . ولعل أهمها هو الحرص على تربية أبناء أخيه المتوفى فى كنف عمهم .

٤ ـ زواج الخطف :

كان زواج الخطف شائعا بين كثير من الجماعات البدوية ولا زال له صور حتى الوقت الحاضر . على الأقل بشكله الرمزى . كما أن له رواسب فى كثير من الآداب والعادات الشعبية لهذه الجماعات .

٥ ـ زواج الدية :

يقضى العرف لدى بعض الجماعات البدوية أن يكون التعويض عن القتل عن طريق الزواج ، فيقدم أهل القاتل لأقارب القتيل عددا من الفتيات بغير مهر ليتزوجوهن ويكون فيما ينجبن من الأطفال عوضا عن ما فقدته الجماعة ، ويعتبر الثأر مطلوبا الى أن تنجب الفتيات الذكور بصفة خاصة لأسرة القتيل .

٦ ـ زواج الصلة :

ويتم هذا النوع من لزواج لتدعيم العلاقات بين أسرتى كل من راغب الزواج والفتاة التى يريد الزواج منها ، ويبدأ محاولاته بتقديم الهدايا مدة قد تطول وقد تقصر الى أن يعبر الوالدان عن قبولهما لفكرة الزواج . وعند اتمامه يصبح الزوج فى غير حاجة لتقديم الهدايا لأسرة ﷺوجته .

٧ ـ زواج التبنى :

ويقوم على أساس تبنى أحد الأسر البدوية لفتى أو فتاة بغرض الزواج عند بلوغ السن الماسبة لذلك . وهذه الصورة توجد فى بعض المجتمعات البدوية فى اندونيسيا واليابان ، وتعدتها الى بعض المجتمعات الريفية الحضرية .

٨ ـ زواج الاستخدام :

ويصد به قيام راغب الزواج بالعمل فترة زمنية ـ تقابل المهر المتفق عليه لمصلحة أسرة الفتاة وفى مقابل تزويجها له . ولعل من أشهر قصص الزواج بهذا الأسلوب قصة زواج سيدنا يعقوب من زوجته راشيل فى مقابل اشتغاله سبع سنوات لدى أسرتها .

نظام الملكية فى المجتمعات البدوية

تتعلق فكرة الملكية بحيازة الاشياء التى اصطلح على تسميتها بالملك أو الممتلكات ، وهى فكرة ترتبط بوجود حقوق معينة ، لشخص ما أو جماعة معينة دون غيرها على هذه الممتلكات قد تتيح لها هذه الحقوق استخدام الممتلكات أو استهلاكها أو التصرف فيها . وهذه الحقوق تتخذ صورا متنوعة فى المجتمعات المختلفة .

وعلى أى حال يتضمن نظام الملكية ثلاثة أركان هى : المالك ، والممتلكات والعلاقة بينهما . كما يتضمن فكرة السيادة المستمرة على بعض الأشياء وحرية التصرف فيها سواء كانت هذه السيادة لفرد أو لجماعة .

أشكال الملكية العامة :

(أ) ملكية الأرض :

تعتبر ملكية الارض من اكثر الملكيات أهمية ، ومن أكثر النظم تعقيدا وذلك

لاتصالاتها الوثيق بالتنظيم الاقتصادى والقرابى والسياسى عى السواء ، بالاضافة الى تدخل الحكومات الاستعمارية بالنسبة لكثير من القبائل البدوية وفرضها نظما معينة من الملكية تناقضت وتعارضت أحيانا مع نظمهم التقليدية وأدت الى اصطدام مصالحهم فى الأرض مع مصالح الجاليات المختلفة الوافدة عليهم .

وتعتبر ملكية الأرض فى الجماعات التى تعيش على الجمع والالتقاط من ناحية ، وعلى الرعى من ناحية أخرى أبسط أشكال الملكية نظرا لعدم ارتباط مثل هذه الجماعات ارتباطا قويا ببقعة معينة بالذات . والأرض على ما يبدو أكثر من حاجتهم ولذلك يرجح أن تكون قيمتها الاقتصادية والأجتماعية عندهم أقل من قيمة ما ينمو عليها من نبات وما يعيش عليها من حيوان . وهذا لا يعنى عدم وجود حدود فكثيرا ما تنشب بين الجماعات المتجاورة مصادمات نتيجة للاعتداء على الحقول المتعلقة بأرض الصيد . فكل جماعة لها حدود تستطيع أن تتجول داخلها ولها عليها حقوق أقرب الى حق الانتفاع منها الى حق الملكية . اذ هى لا تملك حق التصرف فى الأرض وانما يمكنها الاستفادة بما فوقها من نبات أو حيوان .

أما جماعات الرعى فتكون علاقاتهم بالارض أقوى من علاقة جماعات الصيد والقنص بالأرض . فكل جماعة تختص بمنطقة معينة ولا يمكن لغيرها الاستفادة منها الا اذا حصلت على اذن منها بذلك .

ويقوم نظام الحيازة التقليدى فى مجتمعات الرعى وبخاصة فى الشرق الأوسط وشمال افريقيا على مبدأ التناظر بين التوزيع الاقليمى والتقسيم القبلى . بمعنى أن كل قسم من اقسام القبيلة يؤلف وحدة اقتصادية لها مناطق الرعى الخاصة بها واحتلال أرض القبيلة . واذا كانت تمارس الزراعة فلكل قسم أيضا أرضه الزراعية ، كما أن له موارد الماء والآبار الخاصة به . وعتبر هذا القسم ـ أيا كان ـ المالك الوحيد للحقوق الخاصة باستغلال الأرض والمراعى والمياه بالمنطقة التى يرتبط بها منذ أجيال طويلة . ولا يعنى هذا أن لأى فرد من هذه الجماعة الحق فى اقتطاع جزء لنفسه وبخاصة أراضى الرعى ، اذ هى فى جملتها ملك للجماعة ككل وليس لأى فرد فيها . وللملكية حق الانتفاع ولا تعنى امكانية التصرف فى الأرض .

والنظام القائم على مبدأ التناظر بين الأقسام الاقليمية والأقسام القبلية ليس جامدا ، وانما هناك درجة عالية من التعاون بين مختلف الأقسام التى تنتمى لعشيرة واحدة . وأيضا بين العشائر والجماعات التى تقوم بينها علاقات صداقة لا سيا فى اوقات الجدب والأزمات . فقد تضطر بعض الجماعات القبلية للهجرة وتنزل فى ضيافة جماعة أخرى تكون ظروفها أفضل . وترعى ماشيتها فى مراعيها . وقد تقتطع جزءا من أرضها تزرعه .

وبرغم أن الجماعات الرعوية تنتشر فى مناطق متسعة نسبيا فان كلا منها يرتبط بمنطقة معينة يعتبرها (وطنا) له . فتعود الجماعة الى هذا الوطن بعد الأنتهاء من رحلاتها .

أما فى المجتمعات الزراعية فللأرض قيمة اقتصادية واجتماعية لا نجد لها مثيلا فى مجتمعات الرعى أو القنص أو الصيد . كما أن علاقة الأنسان بالأرض تكون أقوى . ولذلك تكون حدود الأرض أوضح . وتكون ملكية الأرض من عوامل الأستقرار ، ولذا تظهر القرى والمساكن الثابتة ورد الفعل ضد اى معتد يكون أشد عنفا .

ويلاحظ وجود علاقة بين المكانة الاجتماعية والسياسية لأحدى الجماعات القبلية وبين الأرض التى تمتلكها . وكثيرا ما تتوقف سلطة رؤساء العشائر على مساحة الأرض التى يملكونها اذ يقومون باستغلالها .

وتتفاوت ملكية الأرض بين الملكية الفردية الخالصة والملكية الجماعية الخالصة التى تنحصر فى العشيرة أو القبيلة ككل ، وكثيرا ما تتواجد أنماط تجمع بين صور من الملكية الفردية وأخرى من الملكية الجماعية ، ومن أمثلة ذلك ما يعترف به فى بعض الجماعات القبلية من ان الفرد الذى يقوم بتطهير قطعة من أرض الغابات يصبح له الحق فى إستغلالها ولا يسقط حقه فيها اذا هجرها الا اذا طالت غيبته . ومع ذلك فهذا لا يمنع من وجود حقوق جماعية على تلك الأرض فى كثير من هذه المجتمعات حيث لا يستطيع الفرد أن يتصرف فى الأرض ذاتها الا بعد استشارة وموافقة كل أفراد الجماعة ممثلين فى رؤسائهم وشيوخهم .

(ب) ملكية الآبار والعيون :

برغم أن ملكية الأرض تعتبر من اهم أشكال الملكية فى المجتمع الزراعى ، فانه فى كثير من الأحيان لا يكون لها قيمة فى ذاتها . كما هو الحال فى الواحات

المصرية وواحات شمال افريقيا . وتكون القيمة للماء اللازم للرى نظرا لقلة المطر واضطرار للاعتماد على مصادر المياه الجوفية . وهى معرضة لمخاطر قد تؤثر فى نجاح المحصول . وغالبا ما تكون الملكية فى هذه الحالة مقصورة على ملكية الماء ، أما الأرض فتكون ملكا للدولة وللأهالى حق الأنتفاع بها فقط .

وتخضع ملكية الماء لمبدأ التناظر بينها وبين مساحة الأرض التى يسمح بالانتفاع بها ، والواقع فانه يمكن القول بأن الماء والأرض فى نظر الناس مظهرين لشىء واحد نظرا لشدة الترابط بينهما وميل الناس الى اغفال التفرقة بين الملكية ، وحق الانتفاع ، وفى الوادى الجديد مثلا يعتقد بأن لكل بئر منذ القدم زمام معين أى مساحة من الأرض تتناسب وامكانيات البئر فى الرى . وان الأجيال المتتالية توارثت هذه الآبار وما حولها من أرض بحيث يقوم ملاك كل بئر دون غيرهم بزراعة الأرض الداخلة فى زمام البئر .وقد يتصور البعض عدم وضوح الحدود الفاصلة بين زمام كل بئر فان الأهالى يعرفون تماما زمام كل بئر ، ولذلك تعتبر حوادث الاعتداء على الأرض أو محاصيلها نادرة الحدوث .

والآبار نوعان : نوع يمتلكه الأهالى .. ونوع تمتلكه الحكومة . وهى غالبا الآبار التى لا يعرف لها صاحب من الأهالى وتقع بعيدا عن المساكن والأرجح أن تكون مهجورة ومطموسة .

ويمكن القول بأن ملكية الآبار جمعية ، أما توزيع الماء فيمكن اعتباره ملكية خاصة بالبدنة أو القسم من القبيلة . ويمكن أن تتزايد ملكية العائلات للماء عن طريق حفر آبار جديدة أو تطهير عيون مطموسة اما بالعمل اليدوى أو بالمساهمة فى النفقات . ونظرا لنقص الأموال فان ملاك البئر يعهدون لشخص ذى خبرة فى عمليات الحفر والتطهير بالعمل نظير نصيب من الماء عندما يتفجر ويعرف هذا الشخص باسم (العهدة) وهو يجمع ممن يريد الاستفادة من البئر مقدما مبالغ للانفاق على العملية ، ويكون لهؤلاء أنصبة فى مياه البئر عند ما يتفجر الماء . كما يستخدم العمال أيضا نظير أنصبة فى مياه البئر . ويلاحظ أنه اذا ما توقف العمل لأى سبب من الأسباب فان ملكية البئر تعود تلقائيا للملاك الأصليين . وهذا الأسلوب يوضح الفرق بين نوعين من الملكية : ملكية الوراثة التى تكون للبئر ذاتها ، وملكية الحيازة التى تكون للمياه المتفجرة نتيجة العمل والانفاق .

وتنسب البئر عادة للملاك الأصليين وتظل مرتبطة باسم البدنة التى كانت تمتلكها فى الأصل . أما ملكية الحيازة فيطلق عليها اسم (المشتروات) .

وتضفى ملكية الماء بصفة عامة على صاحبها مكانة اجتماعية متميزة . غير أنه يلاحظ فارق كبير بين الملكية الموروثة والمشتراة . فالأول تدل على أصالة أصحابها وقدم حقوقهم . أما الثانية فتدل فقط على الثراء . ومن ثم تكون مكانة أقل . ولذلك يعتبر عارا يلحق بالبدنة أو العشيرة أن تبيع ما ورثته . فى حين لا يلحقها الخذى اذا ما باعت بالمال ما سبق أن اشترته به .

الملكية الخاصة :

غالبا ما تكون الأشياء التى من صنع الأنسان كالأدوات والآلات والملابس والمبانى من الممتلكات الخاصة فى المجتمعات البدائية ، وعلاقته بهذه الأمور تختلف عن علاقته بالأرض والماء التى تعتبر أشياء قدمتها له الطبيعة بصرف النظر عن الجهود التى يبذلها لاستغلالها ، ومن ثم يكون حقه فيها غالبا حق انتفاع وله الصبغة الجماعية ، أى انه حق للقبيلة أو للبدنة أو للبطن ككل وليست لأى فرد فيها .

ويكاد العلماء يجمعون على أن الأملاك المنقولة بكافة أنواعها تمتلك ملكية فردية . ومن صور الملكيات الخاصة الماشية التى تربيها الجماعة . وجرت العادة على أن رب الأسرة هو المالك لكل ما فى حوزتها من حيوانات ومن ثم فانه يستطيع التصرف فيما يمتلك ملكية خاصة . ولكن بشرط ألا يضر بحقوق الآخرين ممن لهم حق استغلالها من افراد العائلة .

ومن الملكيات الخاصة أيضا الأمتعة والأدوات الشخصية . وهى ملكية يعترف بها المجتمع ، غير انه فى بعض الأحيان يكون حق استغلال حتى هذه الأمور له صفة الشيوع . ويمكن القول بأنه فى المجتمعات البدائية يكون الاستعمال الفعلى هو اهم مبررات الملكية أما ما يزيد عن الحاجة فيمكن اعطاؤه للغير .

الملكية الخاصة برؤساء العشائر وشيوخ القبائل :

يخطىء البعض حين يعتبر حق رؤساء العشائر وشيوخ القبائل فى ملكية الأرض والماء ، يعنى امتلاكهم لها ملكية خاصة . والواقع أن المجتمعات القبلية فى معظمها درجت على أن مصادر الثروة ذات النفع العـام يكـون للمشايخ والرؤساء حقوق أقرب لحقوق الملكية عليهـا . وهــى فى غالـب الأمر حقوق تستخدم لمصلحة العشيرة ككل . وتصرفه مقيد بما يعود على الجماعة من قيم واعراف ، وهو فى غالبه لتنظيم عمليات استغـلال المصادر بما يحقق مصلحة الجميع ويصون مختلف المصادر من الأضرار والأستنزاف وذلك نظير امتيازات خاصة تبيح لهم الحصول على نصيب من انتاج الأرض أو الحيوان .

الفصل الخامس

البادية فى المملكة العربية السعودية
الاوضاع الجغرافية والاجتماعية والحضارية والاقتصادية
التى مرت بها البادية فى المملكة العربية السعودية

- الأوضاع الجغرافية .
- الأوضاع الاجتماعية والحضارية .
- الأوضاع الاقتصادية .
- التوزيع الجغرافى لبعض القبائل حاليا فى المملكة العربية السعودية .
- التوزيع القبلى لبعض القبائل العربية فى المملكة العربية السعودية .
- توزيع قبائل عسير .
- توزيع المراعى فى مناطق المملكة العربية السعودية .
- تصنيف الأبل وتسميتها .
- توزيع الأسواق فى عسير .
- الأوضاع الأجتماعية فى عسير .

الفصل الخامس

البادية فى المملكة العربية السعودية

كانت شبه الجزيرة العربية منذ القدم (ولا تزال) تعطى صورة صادقة خاصة بالمملكة العربية السعودية عن البدوى ، والحياة البدوية بما عرف عن هذه الحياة ، وعن هذه الشخصية من أنماط ومظاهر اجتماعية واقتصادية وثقافية .

فقد كانت هذه صورة الرجل العربى منذ القدم ، والجماعات البدوية التى تتكون منها اليوم غالبية سكان الجزيرة انما هى امتداد لتلك الحقب والمظاهر والأنماط . وقد كان النظام السائد يختلف عما هو عليه اليوم ، يختلف فى المنهج والأسلوب وكانت الجماعات البدوية ينضوى كل منها تحت اسم قبيلة معينة تنحدر من اصل عربى لها أغراضها ولها نظمها الاجتماعية التى تتفق أو تختلف من قبيلة لأخرى . كل قبيلة تشعر باستقلالها ووحدتها فى نظامها ، واعتمادها على ابنائها للذود عنها . يرأس كل قبيلة رجل أو مجموعة من الأفراد يحملون صفات معينة يمثلون السلطة العليا ، لهم الرأى وعندهم تحسم الخلافات ، ويهدفون جميعا الى الحفاظ على كيان القبيلة ورد الأذى والمخاطر عنها من قبائل اخرى تعتدى عليها رغبة فى ثأر أو نزعة لامتلاك مورد مياه أو الظفر بأرض لرعى الأبل والأغنام .

سارت الأمور على هذا المنوال حقبة طويلة من الزمن الى أن ظهر فجر جديد ظهر الاسلام بظهور سيد الأنبياء والرسل (صلوات الله وسلامه عليه) . وقد كانت الدعوة جديدة على العربى فى شبه الجزيرة ، فقد كانت القبائل لا يجمعها رابط ولا يوجد هدف ، فجاء الاسلام ، فكان الرابط وكان الهدف جمعت تحت رايته قبائل شتى ، وزالت فوارق شتى وأصبح المسلمون أخوة .

سار هذا المظهر الجديد من الحياة بعناصر وأنماطه يلعب دورا فى تغيير شخصية أبناء شبه الجزيرة العربية ويشكل مظهرا جديدا للبناء الاجتماعى والسياسى . لقد مثل سيد الكون محمد صلى الله عليه وسلم ،والخلفاء من بعده صورة السلطة الدينية والسياسية .

هذه الصورة الجديدة ، والتى استمرت فترة من الـزمن أخذت تنعـكس لأسباب واعتبارات تاريخية معروفة الى أن تجددت الدعوة الاسلامية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ومحمد بن سعود ، والتى لعبت دورها الاصلاحى المعروف ، والتى أخذت مظهرها الحديث بالتطور الشامل فى حيـاة البدو فى المملكة بظهور المغفور له الملك عبد العزيز وأنشأ المملكة العربية السعودية .

واذا بقيت جزيرة العرب محافظة على عزلتها وعاداتها عصورا طويلة فلم تكن تعبأ الا بحياتها الخاصة ، وبالأمطار وبالمواسم ، وبحوادثها الداخلية . فالحياة حياة بادية ، والسكان بدو الا فى أماكن معينة ، ولكن ما أن قدر للمملكة أن تظهر الا وظهرت تجربة جديـدة ، ونظرة جديـة جديدة ، فالقبائل تخضع للسلطة المركزية ، ومظاهر الحياة عند بعض الجماعات البدوية أخذت تتغير ، فظهر الاستيطان (فى تجربة الهجر) وأخذت المدنية بصورها المختلفة تتواجد فنظر الى البدوى كمواطن له دوره الفعال كجماعات فى هذا الكيان .

اذا كانت المجتمعات البشرية فى جميع بلاد العالم تقسم الى سكان مدن وحواضر ، وسكان ريف وقرى بحكم العامل الجغرافى وعامل التطور الحضارى الذى بلغته ، فأن المجتمع فى المملكة العربية السعودية لا يمكن اخضاعه لمثل هذا التقسيـم التقليـدى ، لأنه مجتمع يمتاز بوجود الباديـة والبداوة والبدو فى ارجائه ، بالاضافة الى وجود حياة الحضر وحياة الريف .

وترى المملكة العربيـة السعوديـة أن وجود البوادى فى ارجائهـا كظاهـرة جغرافية طبيعية هو الذى اوجد حالة البداوة وبالتالى أوجد البدوى وكون له مفاهيم ومثلا وتقاليد ونمطا معينا فى الحياة يختلف عن مفاهيم ومثل وتقاليد وحياة أبن المدينة وأبن الريف على السواء ، فاذا لاحظنا أن البوادى تشكل الجزء الأكبر من مساحة المملكة العربية السعودية وأن حياة البداوة والبدو تعم حتى الآن حوالى نصف سكان هذه الدولة الفتية ، أمكننا أن ندرك السبب الذى يجعل المملكة تهتم اهتماما خاصابدراسة هذا الموضوع ، كما فهمنا السبب الذى ساعد المملكة على أن تكون لها نظرة اجتماعية طليعية فى فهم المشكلة البدوية ومعالجتها .

وتقوم نظرة الدولة فى المملكة الى مشكلة البادية والبداوة والبدو على الأسس الآتية :

١ ـ أن البداوة ظاهرة اجتماعية وليست مجرد مشكلة سطحية تعالج بسذاجة ، وتقوم معالجة ظاهرة البداوة على أساس دمج المجتمعات البدوية فى المجتمع الوطنى للدولة .

٢ ـ أن ادماج البدو كأفراد فى مجتمعات كبرى تمتعهم معناه تحويل البدو الى مهاجرين الى مجتمعات جديدة تقاليدها غير تقاليدهم ومفاهيمها ومثلها غير مفاهيمهم ومثلهم ، وتحويل كهذا تنجم عنه مشاكل اقتصادية واجتماعية ، كما أن تنفيذه يحتاج الى وقت طويل للغاية .

ومن هنا كان من واجب المسئولين بالمملكة أن يولوا هذه الفئة الاهتمام الكافى لا سيما وهم يمثلون فئة كبيرة من المجتمع .

الأوضاع الجغرافية والاجتماعية والحضارية والاقتصادية التى مرت بها البادية فى المملكة العربية السعودية

ان الظروف والعوامل الاقتصادية . والبنيان والتركيب الاجتماعى ، ثم المظاهر الحضارية جميعا متعددة ومتداخلة تلعب دورا هاما فى حياة مجتمعات البادية ، ومن خلالها يمكن الحكم على الأشياء ، وتلمس الحلول للظواهر المختلفة .

أولا : الأحوال الجغرافية :

تبلغ مساحة المملكة العربية السعودية حوالى (٢,٢٤٠,٠٠٠) كيلو متر مربع ، طول سواحلها (١٥٠٠) كيلومتر ، والمناخ جاف بصفة عامة فهو رطب على الشواطىء وحار فى الجهات الأخرى . والفروق اليومية بين الحد الأقصى للحرارة فى النهار والحد الأدنى لها فى الليل تبلغ أحيانا ٢٠ درجة مئوية ، ونتيجة لهذه الفروق تظهر عوامل التعرية ومن ضمنها الرياح التى تعتبر من العوامل الفنية التى تعوق فى بعض المناطق استصلاح الاراضى . أما الأمطار فيلاحظ أن عدم انتظام هطولها يؤثر تأثيرا بعيدا فى الحياة الاقتصادية للبلاد . بالاضافة الى ذلك ففى حين أننا نجد بعض المناطق فى المملكة تسقط الأمطار فيها فى فترات مختلفة فى السنة ، والتى تختلف أيضا من سنة إلى أخرى ، نجد مناطق أخرى لاتسقط فيها الأمطار لمدة تتراوح بين ٦ ـ ٧ سنوات . ولما كانت الأمطار تهطل فجأة وبشدة فى بعض المناطق فهى لاتسبب فقط الأضرار بالنباتات فى البلاد ، بل ان معدل الأمطار التى تمتصها التربة هو معدل بسيط جدا . وبالتالى فان اختزان الطبقات الجوفية للمياه لايعد كافيا ، وهذا يظهر بعض جوانب مشكلة توافر المياه فى البلاد حيث ان غالبية المساحات التى استصلحت للزراعة تعتمد فى ريها على هذه المصادر ، لذلك فقد اهتم المسئولون جديا بالقيام على انشاء عدة محطات للرصد ، وذلك لمعرفة نظام هبوب الرياح معرفة علمية ومعرفة اتجاهاتها السائدة وسرعتها ، وذلك للاعتقاد بأن عامل المناخ يلعب دورا هاما اذ يتسبب فى ظواهر التعرية الضارة والعمل على تبخير موارد المياه ، ومن عوامل التعرية والرياح الناجمة عنها تبرز مشكلة زحف الرمال على المناطق الزراعية ،

فهناك واحة الخرج (جنوب الرياض) تتعرض وخصوصا فى أجزائها الجنوبية والغربية لأخطار تقدم الكثبان الرملية المضطرد ، وهذه ظاهرة تلاحظ فى عدة مناطق فى المملكة .

والمناطق التى يقيم فيها البدو تعتمد على ما أتاحته لهم الظروف الجغرافية من امكانيات ومقومات العيش والبقاء ، هم أقرب فى معظم الأحوال من الوديان التى تنبع أو تجرى فيها المياه . أومناطق أخرى تتجمع فيها المياه لفترات تطول أوتقصر على حسب كمية المطر وطبيعة التضاريس .

ثانيا : الأوضاع الأجتماعية والحضارية :

طوال العصور القديمة فى الجاهلية والاسلام ، والى وقت قريب كان العرب يعتزون ويتفاخرون بأصولهم القبلية الصافية التى تنحدر الى العربى الأصيل . كما نلاحظ حتى اليوم بعض القبائل يتفاخرون بأصالة نسبهم ، فالنسب يعتبر معيارا للمكانة الاجتماعية ، وتظهر القبيله كمجتمع تحدده بعض المعايير منها :

(ا) انتماء أعضاء الجماعة إلى أصل مشترك .

(ب) تضامنهم ، وشعورهم بوحدتهم ومصيرهم .

(ج) المشاركة الجماعية للأرض ، أو مورد الماء ، أوالمرعى .

(د) المشاركة والحفاظ للتراث والثقافة والتقاليد الواحدة .

(هـ) محاولة حفظ النسل العربى .

(و) اعتبار شيخ القبيلة ممثلا للسلطة فى القبيلة ، فهو المتحدث باسمهم المعبر عن رأيهم ، واليه ترجع الأمور لحسم الخلافات وذلك عن شعور بالثقة فيه ، والاحترام له والرضا بأحكامه طواعية .

واذا كانت هذه الصورة مازالت باقية لدى بعض القبائل فى المملكة ، الا أن هذا لايعنى انتشارها لدى جميع القبائل المنتشرة فى المملكة ، إذ أن بعض القبائل قد خفت فيها تلك الأواصر بالصورة القوية القديمة فأصبحت لاترضخ لقوانين القبيلة ولاتتحكم فيها ظروف اقتصادية متقلبة ، ونظرا لاستتباب الأمن وعدم الاعتماد الكلى على البيئة الجغرافية ، وعلى الوحدة التى تربط القبيلة والتى كانت تتطلب من كل فرد فى القبيله أن يبذل الكثير فى سبيلها .

لذلك فقد تغيرت بعض القيم والأنماط والمظاهر الاجتماعية التى كانت سائدة فانتشرت قيم وأنماط واتجاهات جديدة ، وبدأت تؤثر تدريجيا فى الحياة الاجتماعية للبدو .

فبعد أن كان المعيار للفرد أصالة النسب فقط فقد أصبح باب السبق أمام الفرد مرهون بكفاءته ونشاطه ، وبعد أن كان يحتقر المهن ويعتبرها تنقص من قدره ، أصبح الذى يعمل منهم تنظر اليه قبيلته نظرة تقدير واعزاز. بالاضافة الى ذلك يلاحظ أن الصراع القبلى الذى كان سائدا أخذ يتلاشى ، وقد ساهمت الظروف السياسية والاقتصادية فى التخفيف من هذا الصراع ، أضف الى ذلك أن سهولة المواصلات الآن تلعب دورا هاما فى التقريب بين هذه القبائل ، كذلك أستعمال أساليب حديثة فى التنقل ، فقد أصبحت المواصلات من النقاط الرئيسية فى اصلاح أوضاع البادية.

لذلك أصبحت تنظيمات القبائل البدوية ، وشبه البدوية ، قد بدأت تساير ركب التطور الذى طرأ على المجتمع السعودى ، ووصل الى أن بعض القبائل بدأت تتخلى عن التمسك ببعض القواعد والتقاليد المتعارف عليها ، فالزواج من ابن العم (وان كان سارى المفعول) أصبح أقل مما كان عليه فى الماضى .

مما لاشك فيه أن تمسك القبائل بالأهداف الدينية كان له أثره الواضح فى ايجاد الوحدة الاجتماعية فى المملكة ، فوحدة البلاد السياسية والجغرافية والتى قامت فى أوائل القرن العشرين بفضل جهود المغفور له الملك عبدالعزيز ، هذه الجهود وتلك السياسة التى اتبعت ، والتى نجحت فى انشاء (الهجر) ساهمت مساهمة فعالة فى ادماج القبائل بعضها فى البعض ، ثم أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ساعدت ايضا على انجاحها وعلى خلق مجتمع جديد متجانس .

ومايبشر بالأمل الطيب هو مانشاهده اليوم بظهور أبناء البادية من المجتمعات البدوية تشترك فى تحقيق أهداف الأمة كلها ، وتعمل لخلق مجتمع جديد .

ثالثا : الأوضاع الأقتصادية :

كانت الأحوال الأقتصادية للبادية فى الأزمنة السابقة أفضل مما هى عليه اليوم ، إذ كانت العوامل والظروف الطبيعية تعطى البدوى المجال لايجاد أحوال اقتصادية طيبة تعتمد على الأمطار ومصادر المياه المتوفرة فهذا جعله ينمى ثروته الحيوانية الى أن وصلت فى فترة من الفترات الى أعداد خيالية ، فهو يطعم نفسه من لحمها وألبانها ويكتسى من صوفها ، فهو فى بحبوحة من العيش يعد العدة

طوال العـام ليأتى الى السوق التى كانت - وماتزال - سوقا رائجة للثروة الحيوانية ، وخصوصا الأغنام ، هذه السوق هى : (الحج) حيث تباع فيها أعداد ضخمة من الأغنام يخرج بعدها وهو فى أحوال مادية أفضل تجعله أكثر قدرة على توفير عوامل المعيشة ، وتجعله فى مستوى معيشى أفضل . بالاضافة الى ذلك كانت بعض القبائل عند استقرارها لفترة من الزمن فى الوديان أو بالقرب من مواطن المياه تلجأ الى زرع بعض أنواع الزراعة التى بالتالى تعطيه الفائدة الغذائية الطيبة .

غير أن هذه الحالة لم تستمر فى السنين الأخيرة وذلك لتغيـير الأحوال المناخية ، فبعد أن كانت الأمطار الكثيرة تحيى مساحات شاسعة من الأرض وتصبح مراعى طبيعية ينتقل البدوى بأغنامه وأبله بين جوانبها ، أخذت هذه النسبة تقل تدريجيا الى ان وصلت فى وقت من الأوقات الى صورة الانعدام حيث مرت سنوات كان الجفاف طابعها ، وأتت على المراعى فلم يبق منهـا الاالشىء اليسير ، وأخذت الثروة الحيوانية فى الهلاك بأعداد كثيرة .

وبعد أن كانت هذه الثروة تحتل المرتبة الأولى فى البلاد ، أصبحت لاتفى بالحاجة ، كل ذلك كان له أكبر الأثر فى اقتصاديات البلاد .

وقد تنبه الى ذلك المسئولون فى المملكة العربية السعودية ، وبدأت جهودهم الكبيرة فى تنمية الثروة الحيوانية عن طريق انشاء مراكز خاصة ومزارع وتشجيع انشاء المراعى الفردية والمزارع الخاصة لتنمية الثروة الحيوانيـة وجلـب أفضل الطرق للتربية الحيوانيـة وتوزيعهـا بأرخص الأسعـار وسيؤدى هذا التشجيع بلاشك الى ايجاد حلول سريعة وفعالة لتحسين المراعى وبالتالى الى الاكتفاء الذاتى للبلاد من هذه الثروة فى سنين قريبة ان شاء الله .

الجدول الآتى يوضح لنا أسماء القبائل ومناطق اقامتها وأقاليمها فى المملكة العربية السعودية

الاقليم	الرقم	القبيلة	منازلها
الاحساء	١	آل مطير	من شعب مفر ، من حدود الكويت شرقا الى قرب القصيم غربا وجنوبا على طول وادى الباطن حتى هضبة الصمان
	٢	بنى خالد	من ساحل الخليج العربى شرقا حتى هضبة الصمان غربا ، وقد ترك جزء منها حياة البداوة واستقر.
	٣	بنى هاجر	بين عقير على الخليج العربى شرقا وواحة الهفوف غربا .
	٤	المناصير	بين خور العديد شمالا وحدود امارة ابوظبى شرقا .
	٥	العجمان	فى هضبة الصمان ويتوغلون أحيانا الى الغرب فى الدهناء وشرقى نجد.
	٦	آل مرة	من طريق الحساء الرياض شمالا الى داخل الربع الخالى جنوبا وواحة يبرين من أهم مراكزهم .
	٧	بنى ياس	يسكن بعض أفخاذها حول سنجة مطى فى نطاق المملكة .
	٨	العوازم	تسكن شمال الاحساء قرب حدود الكويت .
	٩	الرشايدة	تقع مساكنها فى هضبة الدبدبة شمال الاحساء .

الاقليم	الرقم	القبيلة	منازلها
عسير	١	مغير	حول أبها
	٢	علكم الهول	بين أبها وساحل البحر الأحمر .
	٣	ربيعة ورفيدة	الى الشمال الغربى من أبها مسافة ٣٥ ميلا .
	٤	بنو مالك	تسكن الحجاز .
	٥	قبيلة شهران	بين بيشه وضبيا .
	٦	بنى شهر	تهامة عسير بالقرب من القنفذة .
	٧	رجال ألمع	بين أبها وصبيا مايقرب من ٥٠ميلا .
	٨	زهران	غربى مرتفعات عسير حتى ساحل البحرالأحمر .
	٩	غامد	بالقرب من الظفير جنوب قبيلة زهران .
	١٠	بنى مروان	تسكن وادى جيزان .
	١١	بالأحمر	وادى صبح شمال أبها .
	١٢	بلحرث	تسكن تهامة عسير بين جيزان وميدى على حدود اليمن .
	١٣	جعدة	شمال ميدى بالقرب من تعز .
	١٤	وادعة	تسكن أقصى جنوب عسير على حدود اليمن .
	١٥	يام	تسكن مرتفعات نجران .
	١٦	حاشد	تسكن منطقة الحدود بين نجران واليمن .

الاقليم	الرقم	القبيلة	منازلها
الحجاز	١	الحويطات	بين تياء جنوبا والأردن شمالا ومن النفود الكبير شرقا الى العقبة غربا.
	٢	قبيلة حرب	فى سهول تهامة من ينبع البحر شمالا الى القنفده، وفى مرتفعات السراة بين مكة والمدينة وفى وادى
	٣	هزيل	فى الحجاز وخاصة جنوب وشرق مكة.
	٤	بنى عطية	من حرة العويرض حتى حدود الأردن.
	٥	بلى	جنوب منازل الحويطات حتى قرية الوجه.
	٦	جهينة	جنوب بلى حتى ينبع البحر والنخل .
	٧	هيتم	شمال خيبر.
	٨	عتيبة	تنتشر منازلها فى الحجاز ونجد.
	٩	البقوم	فىَ جبل حضن وأطرافه حتى تربة.
	١٠	ثقيف	فى مرتفعات السراة بين مكة والطائف.
	١١	قريش	فى منى وعرفات .
	١٢	بنوسعد	شرق مكة المكرمة .
	١٣	شمران	تهامة الحجاز من الليث الى القنفدة .

الاقليم	الرقم	القبيلة	منازلها
	١	عنزة	من نجد حتى الأردن وسوريا وهى من أكبر القبائل على الاطلاق.
	٢	شمر	فى جبال شمر وفى القصيم وفى الشمال بالقرب من رفحا .
	٣	الدواسر	فى وادى الدواسر واقليم الأفلاج .
نجد	٤	الهول	أطراف الرياض والمنطقة الجنوبية لجبل طويق .
	٥	سبيع	الاطراف الشمالية الشرقية لعسير وجنوب غربى نجد
	٦	تميم	يسكن أفرادها نجد وقراها .
	٧	قحطان	تنقسم الى بطنين كبيرين احدهما فى عسير والاخر فى جنوب نجد ومنازلها الى شمال ديرة الدواسر .
	٨	الظفير	فى هضبة الحجرة فى الاقليم الشمالى وتمتد منازلها الى العراق
	٩	الصلبة	شمال منازل قبائل شمر بالقرب من خط التابلاين عند رفحا.

التوزيع القبلى لبعض القبائل العربية فى المملكة العربية السعودية :

لدراسة توزيع القبائل البدوية بالمملكة ، يجب أن نراعى أن هناك مناطق ثابتة ومعروفة كوطن ومقر رئيسى لها ، ويجب أن نراعى ناحية أخرى اذ كثيرا مانجد القبائل تترك مواطنها الأصلية المتعارف عليها وتذهب الى مناطق أخرى .

والواقع أن البحث عن المراعى يفسر أسباب هذا الانتقال ، ولكن بصفة عامة نجد ان القبائل البدوية تكون أقرب ماتكون الى الوديان والمناطق التى تتوافر فيها المياه ، وخصوصا فى فترات الصيف شديد الحرارة .

فالجماعات البدوية تتفرق وتتوزع بحثا وراء الكلأ والمراعى ومياه الأمطار فى أثناء فصل الخريف والشتاء ، وتضطر الى الهروب راجعة الى منابع المياه الثابتة والى الواحات لتمضية فترة الصيف القائظ الشديد الحرارة .

وكما هو واضح من البيان السابق للتوزيع الجغرافى السابق للقبائل حاليا فى المملكة العربية السعودية أنه تم توزيع مناطق القبائل البدوية الى أربعة أقاليم كبيرة الاحساء ، عسير ، الحجاز ، ونجد ، ويتفرع من هذه القبائل الكبرى عدة قبائل تعتبر بطونها وفخوذها وعشائرها ولنأخذ مثالا لذلك ونذكر فروع قبائل عسير وبطونها وأماكن اقامتها ، بادئين من وادى (تربة) الواقع خلف الطائف الى نهاية الحدود الجنوبية قريبا من (صبيا) معتمدين فى ذلك على المعلومات الواردة فى كتاب الاستاذ (فؤاد حمزة) « فى بلاد عسير » وعلى الدراسة الواقعية الميدانية فى تلك المنطقة .

ونورد أمثلة فيما يلى لتوزيع قبائل (عسير) وتوزيع المراعى وتصنيف الابل وتسميتها لدى بعض القبائل فى المملكة العربية السعودية ، ثم نستعرض الأسواق الاسبوعية وتوزيعها على قبائل (عسير) ، وفى النهاية نتعرض لدراسة الأوضاع الاجتماعية السائدة التى تتميز بها هذه القبائل .

أولا ـ توزيع قبائل عسير :

من اهم قبائل عسير أربعة قبائل كبرى هم :

أ ـ قبيلة بنى مغير .

ب ـ قبيلة علكم ، ويقال لهما ولد أسلم ، وهاتان القبيلتان تعدان من اكثر القبائل عددا .

ج ـ قبيلة ربيعة ورفيدة .

د ـ قبيلة بنو مالك وتتفرع هذه القبائل الأربعة الى بطون عديدة وافخاذ كثيرة ، ويبلغ تعدادها على وجه التقريب حوالى اربعين فخذا يسكنون فى قرى متناثرة تقدر بنحو مائة وخمسين قرية .

وتعرف سلسلة الجبال التى تسكنها هذه القبائل الأربعة (بساق الغراب) وتمتد منازلهم شرقا الى منازل قبيلة شهران . وغربا بمنازل قبيلة المع ومشارف الجبال وجنوبا قحطان وبعضا من شهران وشمالا بمنازل قبيلة بالأحمر .

أ ـ وينقسم بطن بنى مغير الى عدة اقسام :

١ ـ فخذ آل ناجح وفيه اقسام كثيرة من اهمها : آل يزيد وآل تمام وآل فلاح ، وآل الحاج .

٢ ـ فخذ آل عبد العزيز وفيه أقسام أهمها : آل مفرح ، العرقة آل سكران ، آل القبعى ، آل ابو سراح ، وآل شيبه ، آل ضبعان ، آل ضحية .

٣ ـ فخذ آل وازع وفيه عدة عشائر اهمها : آل ويمن ، آل بدلـه آل العطاس .

٤ ـ فخذ مغير الوطى وفيه عدة عشائر اهمها : الشرف ، بنو جعفرى ، آل الشعف .

ب ـ بطن علكم من عسير ويتفرع الى ستة أقسام هى :

١ ـ بنو مازن . ٢ ـ أهل القصير . ٣ ـ بنو المقرن . ٤ ـ آل سعيدى . ٥ ـ تلاوة عبدل . ٦ ـ أهل عضاضه بقرب الشعف .

ج ـ بطن ربيعة ورفيدة :

ففى فخذ ربيعة أربع عشائر هى :

١ ـ تيهان . ٢ ـ آل شدادى . ٣ ـ بنو غنمى . ٤ ـ آل عاصم .

أما فخذ رفيده ففيه خمس عشائر هى :

١ ـ آل الحارث . ٢ ـ التلادة . ٣ ـ أهل البغال . ٤ ـ أهل طيب . ٥ ـ الرفقتين .

د ـ بطن بنى مالك :

هناك بنو مالك فى جبال تهامة بالقرب من العبادل وفيفا وبالحارث وهنالك بنو مالك جماعة ابن فاضل بين زهران والطائف ، وهنالك هذه القبيله من عسير واقسامها هى :

١ ـ آل المجمل . ٢ ـ بنو رزام . ٣ ـ بنو ربيعـة . ٤ ـ آل الحبشى .
٥ ـ آل رميان . ٦ ـ بنو منيه . ٧ ـ آل يعلى . ٨ ـ التلادة .

وهناك قبائل تابعة لقبيلة عسير وأفخاذها وأقسامها منها :

١ ـ البلاحطة مثل الغجر . ٢ ـ الكحلة . ٣ ـ الهتان . ٤ ـ الـدواسر . (خلاف الدواسر القبيلة الموجودة فى وادى الدواسر) . ٥ ـ الفيوض .

وفى الجنوب من بلادنا توجد ايضا قبيلة ربيعة اليمن ، وبعض افخاذها تتبع قبيلة عسير وبالتحديد تتبع بطن بنى مغير وبطن علكم وتبعيتها لبنى مغير أكثر فهى :

١ ـ المضيبون : وهم قريبون جدا الى بنى مغير .
٢ ـ أهل وادى قربه : ويتبعون علكم وبنى مغير .
٣ ـ أم نقله : ويتبعون علكم .
٤ ـ ربيعة اليمن : وتحسب من ملحقات بنى مغير .

ولربيعة اليمن خمسة فروع هى :

١ ـ آل رغبه . ٢ ـ آل غراب . ٣ ـ الفراحنة . ٤ ـ اليواح . ٥ ـ آل وائله .

وفى وداعة ظهران الجنوب تسكن قبيلة صغيرة هى قبيلة وداعة وتنقسم الى قسمين هما :

١ ـ آل حيان . ٢ ـ وداعة .

قبيلة قحطان وتنقسم الى خمسة اقسام هى :

١ ـ بطن رفيده ، وفى هذا البلد ستة أفخاذ :

أ ـ ذعى ، بنوقيس . ج ـ جارمه وخطاب . د ـ الحف . هـ ـ وقشه . و ـ آل الجمل ، وهم من وقشه :

ولرفيدة اتباع من القبائل فى تهامة منها :

١ ـ آل على . ٢ ـ آل الحلامى . ٣ ـ آل مفرح . ٤ ـ آل مفتاح . ٥ ـ آل السرى . ٦ ـ آل مكاذب . ٧ ـ الجهرة .

٢ ـ بطن بنى بشر وفيه العشائر التالية :

١ ـ آل غرمان . ٢ ـ الحيان . ٣ ـ آل محمد . ٤ ـ آل فرحان ولبشر اتباع فى تهامة هم :

١ ـ آل مسعود . ٢ ـ آل على . ٣ ـ آل محمد . ٤ ـ آل حسان . ٤ ـ آل سالم . آل الحسن .

٣ ـ سنحان الحباب وفيه العشائر التالية :

١ ـ الزربا . ٢ ـ الرشدة . ٣ ـ الغازى . ٤ ـ آل الشريف . ٥ ـ آل شوكان .

وأهم اتباعهم فى تهامة :

١ ـ آل حجل . ٢ ـ آل مسارى . ٣ ـ آل مداوى . ٤ ـ آل غائضه . ٥ ـ آل النعير . ٦ ـ حيان . ٧ ـ آل عمس . ٨ ـ آل مفتاح . ٩ ـ آل قعينه . ١٠ ـ آل مشاش . ١١ ـ آل سعيد .

٤ ـ بطن عبيدة ويمكن تقسيمهم الى فخذين هما :

آل الصفر وآل الحارث وفيه العشائر التالية :

١ ـ الفهد . ٢ ـ آل مهدى . ٣ ـ آل معمر . ٤ ـ العرجان . ٥ ـ ختاله . ٦ ـ المساردة . ٧ ـ الحرقان او آل سليمان . ٨ ـ آل سلمان . ٩ ـ آل على . ١٠ ـ آل زهير . ١١ ـ آل الكريمان . ١٢ ـ آل زيدان . ١٣ ـ آل الحرو . ١٤ ـ الحرابيع . ١٥ ـ العبس . ١٦ ـ آل عائذ . ١٧ ـ آل قريش . ١٨ ـ آل الجلده . ١٩ ـ بنو طلق . ٢٠ ـ الفرهابه . ٢١ ـ العرين . ٢٢ ـ البسام . ٢٣ ـ المناديه .

٥ ـ بطن شريف واقسامهم كما يأتى :

١ ـ آل سريع . ٢ ـ بنوزيد . ٣ ـ بنو هاجر . ٤ ـ آل عبد القادر . ٥ ـ بنو اوس . ٦ ـ آل داود .

وفى بلدة تربه والقرى المجاورة لها توجد قبيلة البقوم وهم اهل قوة و بأس كما انهم دخلوا فى حروب وتصدوا وصمدوا لجيرانهم من عتيبه وسبيع وقحطان كما تذكر كتب التاريخ .

وتنقسم قبيلة البقوم الى خمس بدائر وهى :

١ ـ الرازيق . ٢ ـ الوركه . ٣ ـ الكلبه . ٤ ـ الدواجح . ٥ ـ الفواصل .

وبعض افراد هذه القبيلة استقروا فى بعض بلدان نجد مثل قريد القصب والموارد ، وتنتهى حدود البقوم فى المكان المسمى (الفريض) من الوادى .

وفى وادى تربة (وادى تربه او وادى سبيع) احد الأودية الرئيسية الستة التى تتجمع فيها مياه الشعبان والسيول المتكونة من الامطار التى تهطل على السفوح الشرقية لسلسلة جبال السراه . والأودية الرئيسية الستة هى :

١ ـ وادى بيشه . ٢ ـ وادى تثليث . ٣ ـ وادى حبونه . ٤ ـ وادى رنيده .
٥ ـ وادى تر به . ٦ ـ وادى نجران .

وتوجد قبيلة سبيع وهى كما سبق القول تقيم فى وادى تربه او وادى سبيع المعروف باسمها ، كما تقيم فى وادى رنيه وفى اطراف حره سبيع وعرف سبيع .

وهى اهم القبائل فى هذه الجبهة ولها قسم آخر يقيم فى العارض المحسوب بادية نجد . كما أن كثير من افراد هذه القبيلة تحضروا وسكنوا المدن .

ويحيط بقبيلة سبيع فى ديرتها قبيلة عتيبه من الشمال والشمال الغربى وقبيلة البقوم من الغرب والجنوب الغربى ، وقبائل الحجاز و بيشه وغامد وزهران والكب من الجنوب ، والدواسر وقحطان من الشرق ، وتعتبر بلـدتا الخرما فى الشمال ورنيه فى الجنوب من أهم مراكز سبيع .

وتنقسم قبيلة سبيع الى أقسام عديدة هى :

١ ـ الذين فى الخرما من سبيع :

أ ـ القمله ، فى السلمية .

ب ـ القجرية ، فى الخرما .

جـ ـ بنو كور فى الخرما .

د ـ القريشان فى الخرما .

٢ ـ الذين فى رنيه من سبيع :

أ ـ المكاحلة .

ب ـ الصنادله .

جـ ـ المشاعته .

د ـ المفاحله .

هـ ـ الجهوم .

و ـ الملوح .

ز ـ المجامعه .

أما وادى بيشه ، فتوجد عدة قبائل من أهمها :

قبيلة « الكب » وتنقسم الى بطنين :

١ ـ عامر وهم خمسة أقسام : ١ ـ المزايده . ٢ ـ بحنبه . ٣ ـ الجبره .
٤ ـ آل قنيع . ٥ ـ ابن عطبان .

٢ ـ المخلف وينقسمون الى أربعة أقسام هى : ١ ـ بنوهزر ٢ ـ آل سحره .
٣ ـ بنو سعد . ٤ ـ الجياهين .

وجدير بالذكر أن وادى بيشه أحد الأودية الستة التى سبق الاشارة اليها وهو أكبرها على وجه التقريب . وينبع من سراة عبيده من قحطان الى الشرق الجنوبى (الجنوب الشرقى) من جبال عسير . ويقطع هذا الوادى حدود بلاد قحطان ويدخل فى بلاد شهران حتى يصب فى أودية فرعية كبرى مثل وادى (تنترحه) ووادى ابها ووادى (ابن شهبل) أو وادى شهران .

وكذلك من سكان وادى بيشه قبيلة ختعم التى تنقسم الى أقسام أربعة هى : ١ ـ المصعبين . ٢ ـ بنو خناس . ٣ ـ البطنين . ٤ ـ بنو واس .

وهذه الاقسام تنقسم الى أقسام أخرى هى :

بنو ميمون ـ ابن عيدان ـ أهل دقه ـ أهل باشوت ـ آل مره ـ السروان ـ المزارقه ـ السلمان .

وفى وادى بيشه توجد قبيلة شهران وتمتد بلادها على أطراف الوادى من منبعه الى مصبه . حيث تعتبر من القبائل الوافرة العدد والتى تنتشر منازلها فى عدد من أودية احدى المنطقة الجنوبية ويقطن معظم أفرادها فى الوادى العظيم والمسمى وادى شهران حيث تمتد عليه الكثير من القرى هذه القبيلة .

وينقسمون الى ستة أقسام هى :

١ ـ بنو واهب . ٢ ـ بنو منبه . ٣ ـ المحلف . ٤ ـ الرمنين . ٥ ـ الخبارشه . ٦ ـ آل السند .

أما الاقسام الرئيسية التابعة لعسير فهى تسعة أقسام هى : ١ ـ آل رشيد . ٢ ـ آل غمر . ٣ ـ ناهيس . وفيهم خمس بدائر وهم بنو على ـ المزارقه ـ بنى صغير ـ آل الذئب ـ حويز .

٤ ـ كود . ٥ ـ بنو بجاد . ٦ ـ بنو واهب . ٧ ـ آل سرحان . ٨ ـ آل ينفع . ٩ ـ بنو رشحه .

ويتبع شهران فى السقف بنو مالك والقرعا ، وابن جابره ، والسقى ، وفى تهامه يتبعهم فرع الجهره . ومن أهم بلدان شهران خميس مشيط وخيبر (ليست خيبر الواقعة فى الشمال الشرقى من المدينة) . ولكنها خيبر شهران وأهم قرى وادى خيبر : رغوه ـ البردان ـ القمار ـ خيبر ، الحامض ـ العمار ـ القفاص ـ المباريش ـ الحنفه ـ القوز ـ البغث الحرفيه . وكتب الامير تركى بن ماضى عن أقسام قبيلة ختعم فقال :

ان هذه القبيلة تنقسم الى حضر وبدو ، فأما الحضر من ختعم فهم :

١ ـ بنو ميمون . ٢ ـ أهل الفرقه . ٣ ـ أهل الهطبه .

وأما البادية منهم : ١ ـ بنو داس . ٢ ـ الفزع .

ومن قبائل وادى بيشه أيضا قبيلة بلحرث وهى قريبة من وادى ترح وتنقسم الى قسمين هما : ١ ـ الخشارمه وهم أربعة بدائر : العرمه ، آل الصمه ، الشحوف ، آل عيسى . ٢ ـ آل خالد وهم سبع بدائر هى الحرشه ، الخرمه ، القمله ، البطلان ، آل ربيع ، الحرامله ، آل مريم .

وهناك فى الوادى قبيلة بالقرن وتنقسم الى ستة أقسام هى : ١ ـ وحيم . ٢ ـ آل مشيب . ٣ ـ بنو رزق . ٤ ـ آل سليمان . ٥ ـ آل الحميد . ٦ ـ آل كثير .

وفيه أيضا قبيلة شمران وأقسامها التى تعيش فى هذا الوادى هى :

١ ـ العيوس . ٢ ـ سحاب . ٣ ـ آل مبارك .، ولها فرق تعيش فى تهامه .

وفى وادى خميس مشيط أو ـ بيشه ابن مشيط ـ توجد قبيلة قحطان وأفخاذها ومنهم : آل وهم قسم من رفيدة قحطان حيث ينبع الوادى . ومن أقسامها

أيضا (آل سالم وهم من عبيدة قحطان) وألحف ووقشه وذبحى والجمل وآل ستنير .

رجال ألمع ورجال الحجر

تقع بلاد ألمع الى الغرب من بلاد قبيلة عسير ، وتتاخمها فى منقلب السراه الغربى التى يسميها أهلها (الطور) وأهل البلاد ويسمون ألمع تهامة عسير .

وتنسب قبيلة المع الى (أزد شنوده) ويعتبرهم جيرانهم بأنهم محن بنى قريظه نظرا لتقلبهم وينضوى تحت لواء القبيلة الأصلية الافرديه فرقتان هما : أهل صلبر ، وبنو زيد ، وأصلهما من بكر مثل الدرب الا أن هذا التمييز فى الأصول فقط لا فى العادات والمعاملات .

ويختلف أفراد المع عن مجاوريهم من عسير بعدة صفات ويمكن حسبانهم من المخضرمين بين قبائل تهامه وقبائل عسير من حيث عاداتهم ومظهرهم ولباسهم .

وتنقسم البلاد الى سبعة قبائل وتنقسم الى قسمين ، قسم يقال له ألمع الشام وقسم آخر يقال له ألمع اليمن ، ويعنون بالشام من يسكن الجهة الشمالية واليمن من يسكن الجهة الجنوبية . وفيما يلى أسماء البطون مع أفخاذها :

أولا ـ بنو قطبه مركزهم الشعبين ولهم أربع فروع :

١ ـ آل موهوب . ٢ ـ فرع يسكن الشعبية . ٣ ـ فرع يسكن الشرفه . ٤ ـ فرع يسكن مجمان .

وينضوى تحت هذا البطن فخذ مستقل يعرف بفخذ « أهل العوص » .

ثانيا ـ بنو ظالم وأفخاذهم :

١ ـ آل جعيده . ٢ ـ آل السلمى . ٣ ـ آل حليا . ٤ ـ آل قلأية رجال . ٥ ـ آل ورقة . ٦ ـ القاصده . ٧ ـ أهل ذنب النقر . ٨ ـ مهمال . ٩ ـ آل جائز . ١٠ ـ آل عمقه .

ويتبع بنى ظالم بطن يسمى « البنعان » وفيه عشائر كثيرة أهمها :

١ ـ الحارث . ٢ ـ آل هبه . ٣ ـ المشهور . ٤ ـ آل سمعى . ٥ ـ آل رقصان . ٦ ـ الحلاويه .

ثالثا ـ بنو شحب ، وفيهم فخذان :

١ ـ بنو عبد ، وهم : آل السحم ـ آل زياد ـ آل راده ـ آل قفيل ـ آل قفوه .

٢ ـ بنو شديده ، وهم : الغمور ـ الصواقعه ـ آل مفلح ـ المخلوطه .

رابعا ـ بنو قيس ، وفيهم أفخاذ وهى :

١ ـ آل المتعالى . ٢ ـ آل يعلى . ٣ ـ آل الجرعه . ٤ ـ أهل المران . ٥ ـ آل الرصوب . ٦ ـ الصدر . ٧ ـ أهل الجرعة .

خامسا ـ بنو زيد ، ومنهم :

١ ـ آل حيان . ٢ ـ آل الملك . ٣ ـ آل الرويعى . ٤ ـ آل الشحطه .
٥ ـ أهل دبله . ٦ ـ آل النجعين .

سادسا ـ بنو حيونه ، ومنهم :

١ ـ آل العلا . ٢ ـ آل جندابو . ٣ ـ آل اللحجين وهم أربعة عشائر هى : آل الحسين ـ آل عبيد ـ آل المسبله ـ آل محلبه .

سابعا ـ أهل صلب ، وفيهم :

١ ـ آل عراف . ٢ ـ المحجره . ٣ ـ معلين . ٤ ـ آل السروه . ٥ ـ آل الشعبى . ٦ ـ أهل السرو . ٧ ـ حجره .

ويطلق أهل هذه البلاد اسم بكر على بنى زيد وأهل صلب ، كما يطلق اسم بن تغلب على بنى شعبه ويقيم بين قبيلة المع فريق من الساده يعرفون بالسادة الحفاظيه وأحدهم حفظى هم بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة .

وهناك مجموعة جبال ووديان فى بلاد ألمع وأهم الوديان التى تقوم حولها القرى أربعة :

١ ـ وادى حلبى : ويمر فى بلاد ثلاثة بطون من ألمع فعلوه لبنى قطع ووسطه لبنى ظالم وأسلفه للبنا .

٢ ـ وادى كسان : علوه لبنى ظالم ووسطه لقيس وأسفله لبنى جونه ومنتهاه لأهل صلب .

٣ ـ وادى ريم : ويصب فى كسان عند حدود أهل صلب .

٤ ـ وادى حسوه : وهو لقيس وبنى زيد ويطلع من الطور بقرب العوص .

رجال الحجر

يطلق اسم رجال الحجر على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد عسير وشهران جنوبا وبلاد بنى شهر وبالقرن شمالا ، وشهران وقبائل محائل وبارق غربا .

والقبائل الثلاث هى : بالأحمر ـ بالأسمر ـ بنى عمرو ، وهناك من يقول أن اسم رجال الحجر لا يشمل غير قبيلتين بالاحمر ، وبالاسمر ، وأن بنى عمرو ينسبون الى الشلاوه .

أولا ـ قبيلة بالأحمر :

تعتبر من قبائل المنطقة الجنوبية فى بلادنا ويعتبر وادى يعبل هو أول منازل قبيلة بالأحمر ، كما أن وادى « صبح » يخص قبيلة بالاحمر ويتميز هذا الوادى بالجبال المحيطة به . والتى تمتاز سفوحها بالخضرة مهما تكاثر عليها من نباتات وأشجار من أهمها شجر « العرعر » . وهذه القبيلة أقرب القبائل الى عسير وتبدأ حدودها اعتبارا من عقبة شعار وبلاد بنى مالك عسير الى أن تتصل بقبيلة بالاسمر وتقسم القبيلة الى الاقسام الآتية :

١ ـ المجنب . ٢ ـ بنو ثعلبه . ٣ ـ آل الأصلح . ٤ ـ آل القاسم . ٥ ـ آل الزيان . ٦ ـ أهل لعبان . ٧ ـ نازله . ٨ ـ أهل هبح . ٩ ـ آل عزام . ١٠ ـ أهل بهلوان . ١١ ـ آل محمد . ١٢ ـ الغاربين . ١٣ ـ آل مخلد . ١٤ ـ آل العلوى .

ويتبعهم فى تهامه فريق يسكن قرية قرشاطه الواقعة فى آخر ما يمتد اليه بصر الواقف فى أعلى عقبه شعار .

ثانيا ـ قبيلة بالأسمر :

ديرة هذه القبيلة فى الشمال من ديرة بالأحمر وفيها الأقسام التالية :

١ ـ ذبوب . ٢ ـ آل خريج . ٣ ـ سروان . ٤ ـ بنو قاعده . ٥ ـ أهل حوران . ٦ ـ أهل الفيح . ٧ ـ آل عياء . ٨ ـ بنو جناده .

وهناك فروع أخرى هى :

١ ـ بنو مالك . ٢ ـ أهل حزم . ٣ ـ القواعد . ٤ ـ آل الطير . ٥ ـ أهل الفاحتين . ٦ ـ أهل الشبين .

ثالثا ـ قبيلة بنى عمرور :

حيث تقع ديار هذه القبيلة الى الشرق من ديار بالأحمر وبالأسمر .

قبيلة بنى شهر

قبيلة بنى شهر من أهم القبائل العربية على السراه ويحدها من الشمال غامد وزهران وبالقرن ومن الجنوب رجال الحجر ومن الشرق بيشه وشهران ومن الغرب قبائل القنفذه . وقد اختلف فى تقسيم القبيلة وتفريعها فبعضهم يعتبرها أربعة أقسام والبعض الآخر يعتبرها قسمين :

أولا ـ بطن شهرة الأمين أو الكلاثمه :

وتتبعه الأفخاذ الآتية :

١ ـ بنو بكر . ٢ ـ بنو قشير . ٣ ـ بنو جبير . ٤ ـ آل ابن رياع .

ولهذا البطن أتابع فى تهامه هم فخذ تمبس وفيه من العشائر :

١ ـ أهل . ٢ ـ آل عبيد . ٣ ـ الحصنه . ٤ ـ آل عمار .

ثانيا ـ بطن العوامر :

وتتبعه الأفخاذ اتية :

١ ـ بنو مشهــور . ٢ ـ بالحصين . ٣ ـ آل بهيش . ٤ ـ آل سوره .
٥ ـ مليح . ٦ ـ دحيم . ٧ ـ كنانه . ٨ ـ بنو لام .

وأتباع العوامر فى تهامه هم أقرب وحيون وأقسامهم :

١ ـ آل يحمد . ٢ ـ آل يعلى . ٣ ـ آل مجحوبه . ٤ ـ آل محباش .
٥ ـ العصمة .

ثالثا ـ بطن بالحارث :

أهل الشعفين لاو أهل وادى تنومه وفيه الأقسام الآتية :

١ ـ أهل تنومه . ٢ ـ آل دحمان . ٣ ـ جيهه . ٤ ـ الجهاضمة . ٥ ـ آل الصعدى . ٦ ـ الحصون .

رابعا ـ بطن بنى التييم :

وفيه الأقسام الآتية :

١ ـ آل وليد . ٢ ـ آل ليلح . ٣ ـ آل زيدان . ٤ ـ خشرم .

وأتباعهم فى تهامة :

١ ـ بنو حسين . ٢ ـ بالمجدع . ٣ ـ بنو زهير . ٤ ـ المجارده . ٥ ـ بنو مخلد . ٦ ـ آل شغيب . ٧ ـ آل حميث . ٨ ـ آل الأملح .

وللقبيلة فريقان آخران يتبعانها هما :

١ ـ بنو شهر الشام وفيه ثلاثة أقسام : بنو ثابت وقريتهم السودة ، بنو الأوس ، أهل القبل .

٢ ـ قبيلة ثريان وهم بدو رحل ما زالوا على الفطرة يسكنون الكهوف .

قضاء محائل وهى من توابع عسير وفيه من القبائل خمس هى :

١ ـ قبيلة الريش . ٢ ـ قبيلة ال مشول ويحسبهم بعضهم من الريش . ٣ ـ قبيلة آل الدريب . ٤ ـ قبيلة آل موسى . ٥ ـ قبيلة بنى ثوعه .

ونجد قبيلة بنو شهر يشاركون الضيف فى الجلوس على المائدة وبعد أن يحضروا كامل الذبيحة يخرج الضيف قسما منها لأهل البيت ويسمونه (قسم المغربة) ثم يوزعون الباقى من الذبيحة على الحاضرين من الضيوف ومن شاركهم فى الجلوس من أهل البيت على المائدة .

قبيلة بنو شعبه

فى احدى القبائل المعروفة فى تلك المنطقة ويقال أنهم كانوا فى السابق من الزمن أولى بأس وشدة نزحوا من نواحى وادى الدواسر شرقى جبال الحجاز واستطابوا المقام فى هذا الوادى (الدروب) وتأصلوا فيه وكانت لهم شهرة فى اقتناء الخيل وكانوا أولى فروسية وشجاعة ، أما الآن فقد أمسوا مزارعين لا أثر مما عرف عنهم فيا سبق فقد اختلط بهم غيرهم وصهرتهم بوتقة الأقليم وهضمهم فتلاشوا فيا جاورهم وفقدوا ما كان لهم من خلال .

وهم الآن ينقسمون الى تسعة أفخاذ ، من اهمها :

١ ـ آل حذره . ٢ ـ آل نخلة . ٣ ـ الصبخة . ٤ ـ الصبانية ، نسبة الى صبيا . ٥ ـ الاشراف . ٦ ـ آل أياس . ٧ ـ الرهاوية ، نسبة الى سكنى الرهوة آخر منازلهم من جهة قبائل ألمع .

ويعتبر الغرب أكبر قراهم ، وقراهم التسعة هى عبارة عن منازل فى جوار الزارع على طول الوادى وامتداده وهذه القرى هى :

١ ـ الدرب . ٢ ـ الفرار . ٣ ـ النغبى . ٤ ـ قائم آل زيد . ٥ ـ قائم النعجة . ٦ ـ رملان . ٧ ـ القضب . ٨ ـ السداد . ٩ ـ الزبارة .

توزيع المراعى فى مناطق المملكة العربية السعودية

تصنف المراعى حسب البعد والقرب من مناطق الاستقرار ، فهناك المراعى البعيدة وهى مراعى الأبل وهذه المراعى تكون فى الغالب بعيدة عن موارد المياه وتمتاز بالحشائش الطويلة مثل الثام والنصبى ، وقد أدى بعدها عن متناول رعاة الأغنام أن تكون مراعى خاصة بالأبل حيث باستطاعتها الصبر على الظمأ لمدد تتراوح بين ١٥ يوم فى الشتاء و ٥ أيام فى الصيف ، ولكن هذه المراعى تشتد الحاجة اليها فى أوقات الجدب حيث تكون مرعى للأغنام . وهنا تبرز مشكلة الماء وقد استطاع بعض الرعاة من البدو التغلب على هذه المشكلة بواسطة (السقيا) وهو ناقل الماء من أطراف الوادى على ظهور الجمال قديما ، وحديثا يستخدموا السيارات التى هى اليوم وسيلتهم فى التنقل من مرعى الى آخر وتزودهم بحاجاتهم الأخرى ، وهناك المراعى القريبة من موارد الماء من أطراف القرى المنتشرة على جانب الوادى ، وهذه تكاد تكون وقفا على رعاة الأغنام لأسباب منها :

١ ـ أن الأبل لا تجد العشب الذى يلائمها عادة بالقرب من تلك القرى .

٢ ـ فالجمل يرغب فى ارتياد القفار البعيدة مبتعدا عن مناطق الأزدحام والفوضى .

٣ ـ أن الرعاة يبتعدون بالابل الى المراعى البعيدة توفيرا للمراعى القريبة للأغنام التى لا تستطيع الصبر على الظمأ أكثر من يومين الا فى فصل الشتاء ، وهناك المراعى المتوسطة بين الأولى والثانية وهذه تكون مجالا للابل والأغنام على حد سواء وتكون أعشابها خليطا من أعشاب المراعى الأولى والثانية ومياهها مالحة .

تصنيف الابل وتسميتها

الابل تتصف بصفات اعلتها تتحمل قسوة الطبيعة وقلة اعشابها أيام الجفاف . والجمل من أقوى الحيوانات بنية وأكثرها تحملا للجوع والعطش ، فهو يصبر لمدد تتراوح بين خمسة أيام صيفا وخمسة عشر يوما شتاء ، ومن ناحية الجوع فهو يتحمله لمدد طويلة جدا مستعينا على ذلك باستهلاكه كميات من

الشحم المختزن فى سنامه (حدبة ظهره) وكذلك فهو يستطيع العيش فى ظروف المناخ الصحراوى القاسية وتقلبات الجو ويتحمل الفروق العالية فى درجات الحرارة اليومية والسنوية لذلك المناخ .

ويعتنى الرعاة بالابل رعاية كبيرة وقد صنفوها حسب أهميتها وأطلقوا عليها تسميات مختلفة وسأستعرض أهم تلك التصنيفات والتسميات لأن ذلك يعطينا صورة واضحة لأهم أنواع الابل ومدى أهميتها فى حياة البدوى وتختلف تصنيفاتها حسب اساس التصنيف :

حسب الحالة والسن : التسمية العامة هى الابل وتشمل جميع الأنواع والأعمار ، فلو بدأنا التصنيف حسب القاعدة الهرمية من الصغير الى الكبير لكانت كما يلى :

١ ـ الحوار : وهو الولد حديث الولادة ويطلق على الأنثى الحوارة .

٢ ـ البكرة : وتلى الحوارة فى الترتيب وهى الأنثى الصغيرة السن ويطلق عليها المفرودة لانفرادها عن امها بعد تجاوزها السنة من العمر .

٣ ـ القعود : وهو أخ البكرة الأكبر منها ويطلق عليها أيضا المفرود لأنفراده عن أمه .

٤ ـ الناقة : وهى الأنثى البالغة من الأبل التى تنتج وتصنف حسب الحالة كما يلى :

البكر : وهى اللقحة لأول مرة وكذلك الوالد لأول مرة .

اللقحة : وهى الحامل فى أشهرها الأخيرة .

الخلفة : وهى الوالد حديثا وتحلب وتظل خلفه حتى تصبح عشراء .

العشراء : وهى الناقة التى حملت حديثا ولا زالت تحلب .

الحايل : وهى الناقة التى تجاوزن السنة ولم تلقح .

المسموح : وهى التى تحلب بلا ولد يتبعها بل يكفى لاضرارها المسح .

الغاطر : وهى الناقة كبيرة السن وتباع غالبا للذبح .

الجمل : ويطلق على ذكور الابل الكبيرة .

البعير : وتطلق على الذكور المعدة للذبح والحمل .

وهناك تسميات وتصنيفات أخرى مثل :

المهمل : وهى الأبل المهملة لأسباب منها عدم قدرة أهلها على رعايتها اثناء الجدب وتطلق تسمية المهمل كذلك على الابل اشاردة من اهلها .

الزمل : وهى الابل المروضة لحمل الأحمال والنقل .

المعاويد : وهى المخصصة لنقل المياه من الآبار ويطلق عليها كذلك السواقى .

التصنيف حسب الجودة : تصنف الابل حسب الجودة عند الرعاه على أساس اللون وكل نوع من الابل لها لون خاص بها :

المجاهيم : وتصنف الى :

أ ـ الملحاء : وهى الناقة السمراء الضاربة الى السواد وهى من أطيب الابل من حيث كبر الحجم وكثرة الحليب .

ب ـ العفراء : وهى الناقة البيضاء ولا تقل جودة عن الملحاء .

جـ ـ الزرقاء : بين اللونين الأحمر والأسود وهى فى مستوى الملحاء .

د ـ الصفراء : بين الأبيض والأحمر وهى كالملحاء جيدة النوعية .

النياق الحمر : وهى أقل جودة من الملح وأصغر حجما ولكن النياق الحمر تمتاز بأنها اكثر صبرا وأشد تحملا للصعاب من المجاهيم ولذلك تنتقى الزمل والمعاويد عادة من النياق الحمر .

معلومات عامة عن الابل :

تلقح الابل عند ما تحل فترة الأخصاب وهى اواخر الصيف وأوائل الشتاء وينطلق الجمل الهادر عادة فيمسك الناقة من الرقبة بفمه ويجبرها على أن تبرك ثم يقوم بعملية التلقيح وهى باركة ، وان تعذر على الجمل اجبارها على الجلوس فان الراعى يساعده على ذلك بأن ينيخها عنوة له ، والناقة (الميسر) وهى القابل للتلقيح تبرك فى بعض الأحيان للجمل دون تدخل أحد وحتى دون أن يكلف الجمل نفسه عناء اناختها ، وتمتد فترة الحمل عند الابل لمدة سنة كاملة . وترد الابل موارد الماء متقاطرة فى صف واحد الواحدة وراء الأخرى وتكون فى المقدمة (القائدة) وهى الناقة التى تكون اكثر من غيرها فى معرفة المسالك المؤدية للماء لأن الراعى عندما يركبها ليرد الماء هو وقطيعه من الأغنام ، وعندما ينام فانها لا تضل الطريق وتتخذ عادة فى ورودها وصدورها مسالك معروفة

تسمى بالجواد (جواد الابل) ويبقى أثر هذه الجواد عشرات السنين وهى لم تندثر ، والمرض الرئيسى الذى يصيب الابل هو الجرب ، وهو تقرح الجلد وتقشره ويعالج عادة بالقطران .

توزيع الأسواق فى اقليم عسير

للقبائل السالفة الذكر وبطونها وأفخاذها وبعض فروعها أسواقا أسبوعية . ويختلف اليوم الذى يعقد فيه السوق بين قرية وأخرى وبين قبيلة أو فخذ وقبيلة أو فخذ وآخر . وهذه الأسواق معروفة منذ القدم . وعلى الرغم من التطور والتغير الذى تعيشه هذه الجهات وهذه القبائل وفروعها فان الاسواق لا تزال تعقد حتى يومنا هذا . ولم تتغير الأيام التى تعقد فيها ، فمثلا السوق الذى كان يعقد فى يوم الخميس منذ القدم لا يزال حتى الوقت الحالى يعقد فى يوم الخميس ، وهكذا بالنسبة لباقى الأيام وبقية الأسواق . وكثيرا ما نجد أنه فى يوم واحد - كيوم الخميس أو غيره من أيام الأسبوع - يعقد أكثر من سوق .

وليس هناك غرابة فى ذلك ، فالمدقق فى الموضوع والباحث عن الأسباب يجد أن مرد ذلك اما أن يكون هناك بعدا شاسعا بين السوقين المنعقدين فى نفس اليوم ، من حيث المسافة التى تفصل بينهما ، وأحيانا يكون مرد ذلك الى انعقاد السوق فى نفس اليوم - الخميس مثلا - عند قبيلتين مختلفتين ، كقبيلتى رجال ألمع وشهران أو قبيلتى عسير وقحطان .

ومن اهم الأسواق التى تعقد بين قبائل الجنوب : سوق الخميس فى خميس مشيط . وسوق الثلاثاء الذى يعقد فى أبها .

أولا - سوق الخميس فى مدينة خميس مشيط :

يقام فى مدينة خميس مشيط سوق اسبوعى فى يوم الخميس من كل أسبوع وتستعد القرى المجاورة لهذا السوق قبل يوم انعقاده بيوم أو يومين ، ويحضر أهل هذه القرى اليه ببضاعتهم من المواشى والخضروات والحبوب والمصنوعات البسيطه التى يقومون بصناعتها يدويا فى قراهم مثل القبعات المصنوعة من الخصف والمختلفة الأشكال والأحجام وغير ذلك .

وأكثر ما يحضر الى سوق خميس مشيط أهل القرى المجاورة كبلاد قحطان

وفروعها مثل ربيعة ورفيدة ، ويحضر كذلك آفراد من بلاد عسير ويحضره أيضا الشهارنة وغيرهم .

وينعقد السوق اعتبارا من ضحى يوم الخميس فى برحة متسعـة ، والى سنوات قليلة مضت لم يكن فى هذه البرحة دكاكين او مخازن لوضع البضائع وعرضها فيها بصورة دائمة ، بل ان الأمر لم يكن يتطلب أكثر من بضعةأعواد تغرز على ابعاد متناسبة وتغطى من فوقها بقطعة من القلع أو الخيش فى خطوط متوازية أو متقابلة . ويجلس اصحابها فى ظلالها فيبسطون بضائعهـم أمامهـم ويعرضونها على المارة والمتسوقين . وهذا الوضع لا يزال حتى يومنا هذا .

وفى الوقت الحاضر ، توجد فى ناحية أخرى من البرحة بعض الصناديق المصنوعة من الأبلاكاش وهذه الصناديق ، أو الدكاكين أن صح القول ، مقامة بصفة دائمة ، فهى قائمة سواء فى يوم السوق أو غيره من الأيام . وفى هذه الصنادق تعرض الملابس والأقمشة ، وبعضها يعـرض ويبيع المـواد الغذائيـة والبعض الآخر يباع فيه مختلف أنواع الفواكه .

أما الباعة الذين لا يستطيعـون أن يعملـوا ـ عشة ـ أو خيمة لعـرض بضائعهم فانهم يكتفون برقعة من الأرض العراء ، يبسطون فيها سلعهم .

وليس لأحد من البائعين موضع محدد فى السوق ، فأينما وجد الواحد متسعا من الأرض يكفى لوضع بضائعه ، فانه يجلس فيه وينصب عشته أو يعرض ما لديه فى الأرض العراء . وتارة تجده فى هذا المكان وتارة أخرى فى مكان آخر من السوق ، لأن احتكار موضع معين لفرد على طول الوقت لا يجوز . والذى يفوز بالمكان ـ الاستراتيجى ـ فى السوق هو الذى يبكر فى الحضور الى السوق . بل أن بعض العارضين يأتى الى السوق ببضاعته من يوم الأربعاء فى الليل من أجل أن يحظى بالمكان الاستراتيجى فى السوق ولا سيما اولئك الذين تكون قراهم بعيدة جدا عن موضع السوق .

وهناك موضعان داخلان فى حدود السوق برغم بعـدهما عنه أحدهما لبيع الحطب والفحم والبرسيم والقصب الخاص بالحيـوانات وأعـلاف الحيـوانات ، والآخر لبيع المواشى والغنم . وعلى الرغم من وجود الكثير من الدكاكين الدائمة والحديثة وخاصة فى السوق الحديث ، للبيع والشراء اليومى ، الا أن الأهمية العظمى للسوق الأسبوعى . نظرا لكثرة العارضين والمشترين فيه .

وجدير بالقول أنه تعرض فى السوق الاسبوعى جميع السلع المختلفة وخاصة تلك التى يحتاج اليها أهل القرى والبادية من طعام ولباس وأدوات منزلية وغير ذلك .

وعلى الرغم من التغيرات الحضارية الكبيرة التى دخلت الى خميس مشيط فحولتها من قرية صغيرة الى مدينة كبيرة وهامة . فان السوق الأسبوعى يعتبر عيدا لا سيا عند اهل القرى والبادية كما هو يوم البيع والشراء .

وقبل عشرين عاما تقريبا كان يوم السوق الى جانب أنه يوم عيد ويوم بيع وشراء يوما للمقاضاة والمحاكمة ، وابلاغ اعلانات الحكومة للناس وتأديب المجرمين . وعلى الأجمال كان يوما جامعا تقضى فيه الحوائج وتقضى فيه المنازعات وتحل المشكل .

ثانيا ـ سوق الثلوث (يوم الثلاثاء) :

يعقد هذا السوق فى مدينة أبها فى كل يوم ثلاثاء من أيام الاسبوع . وهذا السوق لا يختلف كثيرا عن سوق الخميس الذى يعقد فى خميس مشيط السالف الذكر ـ غير أن البرحة فى أبها حيث يعقد السوق أصغر من تلك الموجودة فى مدينة خميس مشيط . ويحيط بالسوق بضع عشرات من الدكاكين ، مفتوحة على الدوام ، وهذه الدكاكين بسيطة جدا فى بنائها فهى لا تخرج عن أن تكون مصنوعة من اعواد وخيش أو قلع لحماية البائعين فيها من اشعة الشمس ووقاية معروضاتهم . وفى هذه الدكاكين تعرض الفواكه والخضروات والأمتعة والمعروضات التى يحتاج اليها أهل أبها طيلة أيام الأسبوع وما يحتاجه أهل القرى المجاورة .

وحتى يومنا هذا لا تزال هذه الدكاكين موجودة على حالها ، غير أنها انتقلت من مكانها عندما بدأت التوسعة ، فأقيم فى ناحية من مكان السوق مبنى يضم البريد الحديث واللاسلكى ، ونقل السوق الى المنخفض المسمى ـ البحار ـ قريبا من الموضع السابق . ويتقدم الكثير من الدكاكين الدائمة سقائف على اعواد خشبية للتضليل من الشمس تتمدد على طول صف الدكاكين .

ويلاحظ أن معظم البائعين فى الدكاكين الدائمة هن من نساء أبها حيث يمارسن البيع والشراء ، أما اللواتى يشاهدن يوم السوق الأسبوعى فهن من نساء القرى المجاورة لأبها ، حيث يأتين بما لديهن من منتجات وبضائع ومصنوعات يدوية لبيعها وشراء ما يلزمهن بأثمانها .

ومعظم القادمات بالمنتجات من القرى هن من نساء يحملن بضائعهن على الحمير ، فيكون الحمل فوق الحمار وتسير المرأة خلف الحمار وتحثه على السير . وهن عادة يحضرن مبكرات فى صباح يوم الثلاثاء ، وتفترش الواحدة منهن الأرض وتعرض بضاعتها ـ دون اقامة عشة ـ واذا اشتدت حرارة الشمس فانها تضع فوق رأسها شمسية .

ولا تستعمل البائعة القادمة الى السوق الميزان فى البيع وانما تعمل بضاعتها على شكل اكوام وخاصة اذا كانت البضاعة فواكه أو خضروات ، ويكون الكوم الواحد بريال وهناك سماسرة أو محرجين لكن سوقهم غير رائج لأن القروية تعرض بضاعتها على شكل أكوام أربح لها . ومن المصنوعات التى يحضرها نساء القرى القبعات المصنوعة من الخصف وكذلك القطران ، ويستعمل لشفاء الحيوانات المصابة بالجرب وكذلك يستعمل فى طلاء أبواب المنازل مثل البوية ، لكن فائدته أكبر ومفعوله اعظم فى حماية الأبواب الخارجية للمنازل من اشعة الشمس ومن الأمطار وسائر الأنواء . ويباع القطران بالمكيال وهو عبارة عن علبة ، الى جانب الأدوية المصنوعة من الأعشاب وغير ذلك ..

وفى ناحية اخرى من السوق يباع الحطب واعلاف الحيوانات وفى ناحية أخرى تباع الماشيــة كما هو الحال بالنسبة لسوق الخميس فى مدينة خميس مشيط .

ولأن بعض القرى بعيدة عن السوق بعدا كبيرا وزيادة الانتاج ورغبة فى السرعة فى نقل البضائع من القرى الى الاسواق ، فقد أخذ بعض القرويين يستعمل السيارة ، فاذا كان ثريا اشترى سيارة ـ جيب أو ونيت ـ لوعورة الطرق لنقل محاصيله ونقل محاصيل الآخرين من أهل قريته أو القرى المجاورة أو القرى التى يمر عليها لقاء أجرا يتقاضاه عن ذلك . ومن المألوف أن نشاهد بعض (القرويين) أو القرويات يبعن الفواكه بالجملة ، كأن يبعن التفاح الأصفر الصغير بالكيس أو الطماطم أو الكوسة أو الباذنجان بالصفيحة ، وعادة ما تباع الصفيحة الكبيرة من الطماطم بثلاثة ريالات ، وقد ينقص السعر أو يزيد حسب العرض والطلب وموسم الانتاج .

كذلك فان بعض القرويات يبعن الحطب ، فاذا تم الاتفاق على السعر ولم يكن لدى المشترى سيارة لنقل الحطب من السوق الى حيث يقيم ، فانه يزيد

البائعة ريال أو نصف ريال لتنقل له الحطب الى حيث يقيم ، فتنقله على المار الى منزله .

وهناك فروق بين سوق خميس مشيط وسوق أبها ، فسوق خميس مشيط كما سبق القول يبدأ مں الضحى ، أما سوق الثلاثاء بأبها فيبدأ من الصباح الباكر ، كما أن معظم البائعات فى السوق بأبها هن من النساء أما فى السوق بخميس مشيط فمعظم البائعين من الرجال ولعل مرد ذلك انما يعود الى خوف النساء الى المعاكسات والمشاكل الاجتماعية التى جرت من قبل من جراء ذلك . وفرق آخر هو أنه لا يأتى وقت الظهيرة على السوق فى أبها حتى يكون قد انتهى نهائيا ، أما فى خميس مشيط فانه يظل حتى قبيل المغرب تقريبا .

وتذكر بعض الكتب أن عدد الأسواق الواقعة بين الطائف والحدود اليمانية كانت فى السابق تزيد على مائة سوق .

ورغم التقدم والتغير الحضارى الذى تمر به الجهات الجنوبية من مملكتنا خاصة ، والمملكة كلها عامة ، فان هناك أسواقا تعقد حتى يومنا هذا .

وهذا الجدول يوضح أهم هذه الأسواق وأيام انعقادها والقبائل التى تعقدها .

الرقم	اسم السوق	القبيلة	يوم انعقاد
١	سوق الدرب	شهران	الخميس
٢	سوق مدينة أبها	عسير	الثلاثاء
٣	سوق ابن حموص	شهران	الاثنين
٤	سوق بنى رزام من بنى مالك	عسير	السبت
٥	سوق ابن سالم	قحطان	الأحد
٦	سوق عبيدة	قحطان	الخميس
٧	سوق رفيدة ابن عامر	قحطان	الخميس
٨	سوق أم زهران من ربيعة	عسير	الخميس
٩	سوق الحرجة	قحطان	الاثنين
١٠	سوق ظهران	وداعة قحطان	الخميس
١١	سوق صلب	رجال ألمع	السبت
١٢	سوق الغاربين	بالأحمر	الخميس
١٣	سوق آل خريم	بالأسمر	الاثنين
١٤	سوق ابن مطير .	بالأحمر	الخميس
١٥	سوق الشعبين	رجال ألمع	الاحد
١٦	سوق كساف	رجال ألمع	الخميس

والى جانب الاسواق السابقة ، فان لقبيلة بنى شهر الكثيرة الفـروع أسواقا أسبوعية شهيرة أهمها :

الرقم	اسم السوق ومكان انعقاده	يوم انعقاد السوق
١	سوق تنومة ـ فى قرية صفوت .	السبت
٢	سوق عيسى	الاحد
٣	سوق المجازة .	الاثنين
٤	سوق النماص ـ فى قرية العابلة .	الثلاثاء
٥	سوق شهرة الأمين فى السرو .	الاربعاء
٦	سوق بنى التيم فى قرية الخضرة .	الخميس
٧	سوق	الجمعة

والى جانب الاسواق الخاصة بقبيلـة رجال المع المشار اليهـا فى الجدول السابق والتى تعقد فى يوم السبت ويوم الاحد ويوم الخميس هناك اسواق اخرى تعقد فى كل يوم جمعة وكل يوم اثنين من كل اسبوع .

الأوضاع الاجتماعية لدى قبائل عسير

أ ـ مراسم الزواج

من الأمور الملفتة للانتباه فى الجهات الجنوبية من المملكة ، سفور النساء واختلاطهن بالرجال . ولا فرق بين أن يكون هؤلاء الرجال من الأقارب أو من الغرباء ، وخاصة يوم السوق . وكما سبقت الاشارة فان أكثر البائعات فى الحوانيت الدائمة وحتى البائعات فى يوم السوق هن من النساء . وقليل ما يلاحظ مثل هذا فى سوق الخميس بمدينة خميس مشيط وأكثر ما يشاهد فى سوق أبها وبقية الأسواق الاسبوعية السالفة الذكر .

وفى القرى وبين البادية يكاد يكون السفور ظاهرة اجتماعية فى جميع أنحاء عسير وشهران وقحطان .

ومن غير شك فان الاختلاط بالغرباء يسبب مشاكل عديدة ومآسى فى بعض الأحيان ، لذلك فقد عملت الحكومة السعودية جهدها للقضاء على هذه الظاهرة دفعا لمضارها واتقاءا لمفاسدها ، غير ان هذه الظاهرة موجودة وان كانت قد خفت كثيرا الآن .

والواقع أن أسباب هذه الظاهرة ترجع الى أن النساء فى هذه الجهات قد اعتدن عدم الاحتراز من مخالطة الغرباء بفضل الزمن والعادات المتوارثة فهن لا يرين فى ذلك بأسا وكأنهن متمثلات قول الشاعر العربى :

بيض حرائر ما هممن بريبة
ويصدهـــن عن الخنائن الاسلام

ويروى اهل عسير أنه لما أرسل الملك عبد العزيز رحمه الله جيشا بقيادة عبد الله بن مساعد لأدخال هذه الجهات تحت الحكم السعودى فى المرة الاولى ، وفى المرة الثانية عندما أرسل جيشا آخر بقيادة أبنه الأمير فيصل ـ الملك فيصل رحمه الله ـ قتل كثير من الرجال وزاد تعداد النساء .

لذلك أخذ أهل عسير وغيرهم يزوجون بناتهم من الجنود برغم علمهـم بقصر مدة اقامتهم بين ظهرانيهم ليقضوا على الفساد الذى كاد أن ينتشر وكان

المعول الأول فى الزواج واختيار الأزواج هو المال .

وحتى عهد قريب ـ ويوجد الى ذلك الحين ـ كانت المجالس لا تخلو من الأحاديث عن الزواج ، فهم لا يجدون غضاضة فى طرق هذا الموضوع فى أية مناسبة .

وكان مهر الفتاة البكر قبل عشرين عاما لا يتجاوز غالبا الخمسة عشر ريالا فرنسيا . وكان هذا المهـر يقسم الى ثلاثة أقسام : الثلـث الأول لولى العروس والثلث الثانى ينزل عنه ولى أمر العروس مقابل الضيافة التى يقدمها للعريس ، والثلث الباقى يقدمه هدية للعريس .

ولكن عندما زاد اقبال الجنود فى الزواج ولا سيا أنهم أغراب فقد ارتفع المهر ارتفاعا خياليا ـ بالنسبة لتلك الأيام ـ فقد حدثوا أن بعض كبار الجند قد دفع مهرا مقداره مبلغ خمسمائة ريال نقدا .

وكان اختيار العروس ـ لا سيا القرويات والبدويات ـ يقع فى أحد مكانين ـ السوق أو البئر ، فما على الراغب فى الزواج الا أن يرتدى أحسن ثيابه يوم السوق ـ فى أى سوق من الأسواق الأسبوعية التى تعقد فى مختلف الأنحاء ـ ويسير فيه ذهابا وأيابا الى أن يقع نظره على فتاة تعجبه ، فيتقدم اليها ويسلم ثم يقول لها (أنا ميدك) ويعنى أرغب فى زواجك . فاذا كانت تريد الزواج أو غير متواعدة مع احد لتتزوجه كأبن عمها أو غيره فانها تجيب بدون حياء (أنا ميد) يعنى أنا موافقة .

أما اذا كانت لا تريد الزواج لسبب أو لآخر فانها تجيب (أنا ليس ميد) يعنى أنها لا تريد الزواج . ولا تخبره عن الأسباب . وما عليه الا أن يذهب ويبحث عن اخرى . أما اذا قالت له (أنا ميد) فانها تدله أو يستدل هو بنفسه على بيت ولى الفتاة كأن يتبعها من بعيد أثناء رجوعها الى منزلها من حيث لا تعلم . فيتقدم الى الولى بمفرده ويخطب منه الفتاة . فاذا وافق تمت الخطبة فى نهار واحد ، ويعود بعد الاتفاق على المهر مع نفر قليل الى بيت ولى الفتاة ومعهم المأذون ، ويقدم الزوج المهر لولى الفتاة ثم يبدأ المأذون فى عقد العقد فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان من حلل النكاح وحرم السفاح .. الخ ..
ثم يباركون للعريس . وخلال يوم وليلة وتناول وجبة غذاء واحدة ـ تكون غذاء

فى الظهر ـ ورقص وغناء يتم كل شىء وينتهى الزواج .

وقبل عشرين عاما يروى أهل عسير أن التنافس على العرائس بين الجنود خاصة كان على اشده ، فكان الراغبون فى الزواج يخرجون لتصيد الفتيات من بعيد وهن فى طريقهن الى السوق ولكن قبل أن يصلن اليه ، لئلا يزاحمهم مزاحم أو ينافسهم منافس .

وكما كان الزواج سهلا وميسورا ، كذلك كان الطلاق ميسورا ، فاما وفاق واما فراق .

أما البئر فيعد المكان الجامع لفتيات لحى ـ كما فى مدينة أبها ـ أو القرية ، يقصدنها حاملات القرب على الظهور ، لأن عملية تزويد المنازل ـ البيوت ـ بالمياه من اعمال النساء . وقد تطول عملية رفع الماء بالدلاء ، وهذه فرصة حسنة للحديث فيما بينهن أو مع الشبان الراغبين فى الزواج .

وهكذا نشاهد أن الاتفاق الضمنى بين الشاب والفتاة يتم فى السوق أو فى الطريق اليه . أو على البئر ثم يعقب ذلك اجراءات الخطبة الرسمية فى منزل ولى الفتاة كما سبقت الاشارة .

ومن مراسم الزواج فى قبيلة رجال المع : بعد اللقاء الذى يتم بين الشاب ومن يريدها زوجة له وبعد قبولها واتمام الاجراءات من عقد وقبله تسليم المهر وتوزيعه ، يخرج العريس ومن معه بعد تناول القهوة فقط .

وفى يوم الزواج تتوك العروس من بيتها الى بيت زوجها ويكون ذلك بعد العصر من يوم الخميس ، فتسير بين عدد من النساء من قريباتها وهى فى أبهى حلة . وكذلك بقية النساء ، فكل واحدة منهن ترتدى ثوبا مزركشا ، ويضعن على رؤوسهن الخمر ذوات الاهداف المختلفة الألوان . والعروس فى الوسط تتهادى . ولكنها الوحيدة التى تركب السيارة ، ان السيارة التى اعنيها هى حمار من نوع (حمار ليت) معتمدة من جانب على احد اقربها الرجال أما الجانب الآخر فتستند على احد قريباتها . وتكون المرأة عن يمينها والرجل عن يسارها .

ويقود الحمار رجل غالبا ما يكون كبيرا فى عمره . ويسبق الموكب العظيم أقارب العروس من الرجال وهم فى أكمل زينة واتم سلاح .

وهكذا يسير الموكب على مهله بين ضجيج الزغاريد من النساء وقلاع الطبول من بعض الرجال ورنين الهاون ـ الهوند ـ ودويه . فاذا ما اقتربوا من

بيت الزوج ، يزاد قرع الهاون ، فيسمعه آل العـريس وأقاربه ومن معهـم ، فيصطفون منشدين أناشيد الترحيب والاستقبال وتترجل العروس عندما تقترب من المستقبلين صامتة لا تتكلم ولا ترد أو تجيب على اسئلة آل العريس بكلمة واحدة . فيختطف احد الحاضرين ـ من اقارب الزوجة ـ ملحفة العريس الذى يكونَ واقفا مع المستقبلين من أهله وذويه رجالا ونساء من على كتفه ويفرشه على الارض أمام العروس التى تكون فى المقدمة . عندئذ تتوك العروةس وتسير على هذه الملحفة خطوة خطوة . وبعد أن تتجاوز الملحفة تقف ، فيسأل آل العريس عن سبب وقوفها ـ طبعا هو يعرف السبب ـ فيجيب أحد أقارب العروس بأنها تريد قهوة لها ولمن معها ، وفى لمح البصر تقدم القهوة ، وبعد أن يأخذ كل من حضر معها فنجانا تسير . وتعلو الزغاريد ويتعالى صوت الهاون وعند ما تصل الى باب الدار الخاص بالزوج الذى يكون فى نهاية الموكب تظهر أم العريس وتجلس العروس بجانبها ، وتدور الألسنة بعبارات وكلمات الترحيب والتبجيل من الجانبين .

وبعد ذلك تقوم اثنتين من أقارب الزوج بوضع طست تحت قدمى العروس وتقوم واحدة منهن بصب الماء والأخرى بغسل قدمى العروس .

وبعد أن يتم هذا توضع الموائد للعشاء على أنوار القناديل ، والموائد عبارة عن صحاف عليها خمير الذرة الممزوج بالمرق ، بعد خبزه ، وعليه قطع اللحم المسلوق ، والى جانبه اطباق الخضر المطبوخة .

وبعد الأكل وشرب القهوة يبدأ الرقص والـطبل والغناء بالشعـر النبطى والأهازيج والأغانى الوطنية التى تشيد بالعروسة وآلها والعريس وآله وتتخللها زعقات وقفز وضرب الارض بالأرجل حتى الفجر ، عندئذ يدق الهاون دقا عاليا جدا ايذانا بانتهاء اللعب والطرب ، ويعود الحاضرون الى دورهم ، ويخلى بين العروسين ، فيمد العريس ليلمس عروسه التى تتهرب وتقول له (لا وربى ما حللت وزرتى الا بعد أن تهب لى عشرين ريالا) . وبعدمساومات ومفاوضات بينهما وبيع وشراء يتم الاتفاق على مبلغ ترضاه العروس ، ويسمون ما يدفعه الزوج عندئذ (حل الوزرة) ثم يتم كل شيء كحال الزواج عندنا .

وفى ضحى يوم الجمعة تأتى النساء للتهنئة والغناء واللعب وتناول الطعام للغذاء وقبل المغرب ينصرفن ، وهكذا يتم الزواج .

واعتقد أن مبلغ (حل الوزرة) الذى يدفعه الزوج قد ارتفع فى هذه الأيام لأن كل شىء غالى .

وزواج نساء البلاحطة ـ قبيلة البلاحطة من القبائل التى كانت تابعة لقبيلة عسير ـ لا يختلف كثيرا عما سبق ، غير أن الزواج يتم فى الغالب بين أفراد هذه القبيلة بعضهم بعضا .

ومن مميزات بنات البلاحطه جمال الوجوه واسترسال الشعور الفاحمة على الرؤوس . وعلى الرغم من أن قبيلة البلاحطه يقطن معظم افرادها فى مدينة أبها ومدينة خميس مشيط الا أنهم شبه منعزلين عن بقية النتاس ، وتعرف احيائهم بأحياء البلاحطة . وفى الغالب لا يسكن معهـم أحد ولا يسكنون مع احد ، وتعرف منازلهم عن بقية المنازل لأنها مبنية من الخشب أو الزنك على شكـل صناديق .

وتبدو منازل البلاحطة واضحة جلية للمسافرين من خميس مشيط الى أحد رفيدة وبالتحديد قبل مدينة الملك فيصل العسكرية ـ بن مدينة الملك فيصل والمطار ـ . وتلك النظرة الى البلاحطة لا زالت حتى الآن ومما يدل على تأصلها أن الرجلين اذا اختلفا وتخاصما وقال لأحدهما للآخر : أنت بلحطى . فانه ربما تقوم بينهما معركة بالسلاح وتذهب فيها أرواح ودماء .

أما زواج بنات أبها فانه لا يختلف كثيرا الا فى أن العريس وأهله يذهبون الى ولى أمر العروس ويطلبون يدها ، ثم يتحدد المهر . ولكنه يوزع أيضا بين أهل العروس على حسب قرابتهم وعلى العريس أن يكسى أرباء العروس من اخوة واخوات وخالات وعمات وأعمام . وهؤلاء يكثرون عندما يكون العريس أجنبيا .

وهكذا نشاهد أن المهر الذى يدفعه العريس لا تنال منه العروس الا الشىء اليسير جدا ، حتى أنه لا يكاد يذكر ، لأن معظمه بل كله عند قبائل الجنوب يذهب الى اهل العروس . وهكذا فهى تذهـب الى بيـت زوجهـا (ربى كما خلقتنى) .

وعادة ما يقوم أهل العريس وذويه واصدقاءه ورفقاه فى العمل بمساعدة كل واحد يدفع على قدر حالته وعلى قدر صله أو قرابته أو محبته للعريس . وهذا عندنا فى المنطقة الغربية يسمى (الرفد) .

ولوقت قريب فى ابها كان المهر بسيطا اذا كان لأبن العم فهو لم يتجاوز الألف ريال أو بين القبائل المتصلة ببعضها بصلة النسب فانه يصل الى ثلاثة آلاف ريال واأكثر . أما المهر بالنسبة للأجانب ، كأن يكون العريس من قبيلة أخرى لا ترتبط بقبيلة العروس بصلة النسب ، أو يكون غريبا ـ أى من خارج المنطقة الجنوبية ـ فيكون المهر عشرة آلاف ريال وزياده . وأعرف أشخاص جذبتهم نساء الجنوب فتزوج أحدهم بخمسة عشر الفا .

وللمرأة مطلق الحرية فى اختيار الزوج فى الجنوب ، فاذا تقدم احد لخطبتها ـ وغالبا تراه ويراها فى السوق او فى الطريق اليه أو على البئر ـ ولم يعجبها فانها ترفضه وتخبر أهلها ووليها بكل صراحة برأيها . ولا تقع أية محاولة من ذويها لحملها على القبول والاستجابة فهى حرة فى الاختيار . ونساء الجنوب صريحات فى قول : لا ، أو نعم .

وحتى لو حصل الرضى من المرأة وتزوجت ولكنها لم تستطب معاشرة الزوج فانها تتركه وتترك بيت الزوجية وتعود الى بيت أهلها .

فاذا تعنت الزوج وتعنتت هى ولم يكن سبيل الى الاصلاح ، ولم يوافق الزوج على تطليقها ، وهى بدورها لم توافق على الرجوع الى بيت الزوجية فان الزوج يعملها ـ ناشزا ـ ويكون للزوج الحق فى المطالبة بما دفع فى مهرها ، فان رد اليه والا جعل ذمة له عليها . ويكون على حد تعبير أهل الجنوب (فى رأسها كذا) يسدونه من صداقها فى زواجها الجديد .

وحتى الوقت الحاضر ومنذ القدم يوجد فى الجنوب نوع من الزواج يسمونه (زواج السر) ومعناه أن يقع فى اشد خفاء ـ أى بدون اعلان وتشهير بالعقد والزواج ، وهو اكثر ما يقع عندما تكون المرأة ثيبا ، واذا كان الزوج يخشى نفور زوجته الأخرى التى لديه أو خوفه من ابنائه الكبار . وكان فى السابق يضاف سبب آخر لزواج السر وهو قصر المدة التى يقيمها الزوج فى القرية . وكانت منتشرة بين الجنود . فكان أشبه ما يكون بالزواج المؤقت . ولكن هذا السبب

الأخير تلاشى نهائيا .

والنساء فى الجنوب لا سيما فى القرى يقمن باعمال المنزل فضلا عن الاحتطاب وسقاية الماشية ورعايتها ونقل المـاء فى القرب الى المنازل الخاصة بهن . وحمل منتجات مزارعهن على ظهور الدواب أو فى سيارات الأجرة الجيب والونيت ، الى الاسواق الاسبوعية وبيعها فضلا عن مشاركة بعضهن فى حراثة الأرض وزراعتها ومساعدة ازواجهن أو آبائهن فى الزراعة . وقليل من النساء من تعرف خياطة الملابس فى الجنوب . والى عهد قريب ـ بل الى اليوم ـ كانت هذه الصناعة وقفا على الرجال .

وليس غريبا أن نجد فى وسط السوق العام فى مدينة ابها أو مدينة خميس مشيط خياطا من الرجال يخيط ملابس النساء ، نعم ملابس النساء فقط ، من أثواب وسراويل وصديريات وغير ذلك . ويعرضها فى حانوته للبيع . وكثيرا من نساء القرى والبدويات ـ وخاصة العرائس يشترين ثيـاب العـرس من هذه الحوانيت مفصلة جاهزة . أو تعطى العروس للخياط مقاساتها فيقوم بتفصيلها كالمطلوب .

لكن وبعد انتشار المدارس فى كافة انحاء الجنوب ، والتحاق الفتيات بها ، فان الكثيرات منهن استطعن اتقان مهنة الخياطة واتخذتها مهنة للكسب والثراء .

ورغم كل ما سبق ورغم التغيرات التى طرأت على الجنوب ، الا ان القرى لا زالت على حالها كما كانت فى عاداتها وتقاليدها وطريقة حياتها ، وأن ما تغير فيها شىء قليل وقليل جدا .

ومن عادات قبيلة رجال ألمع البارزة فى الزواج والتى يجب الأشارة اليها هى أن أهل العروس يعرضون ملابس العروس وكذلك بقية الامتعة والأثاث التى تأخذها الى بيت زوجها بعد زواجها ، فتنتشر هذه الأشياء فى مكان من المنزل ليراها كل من يحضر قبل موعد الزواج . ومثل هذه العادة موجودة فى المدن الساحليـة كضباء والـوجه وأملـج حيـث يسمونها (العـدة) مع وجود بعض الاختلاف البسيط .

ب ـ اللهجة عند قبيلة عسير

الواقع انني خصصت الحديث عن اللهجة عند قبيلة عسير لأنها اهم اللهجات واكثرها انتشارا وشيوعا بين القبائل الأخرى ، لا سيما تلك القبائل التي كانت ولا زالت تتبع قبيلة عسير . كما ان بقية اللهجات عند بقية القبائل في جنوب المملكة العربية السعودية لا تختلف كثيرا جدا عن لهجة قبيلة عسير .

وحتى الوقت الحالي لا يزال افراد وعشائر وبطون وافخاذ قبيلة عسير يعرفون الاسماء بـ « أم » بدلا من « آل » . والحقيقة ان التعريف بأم من لهجات العرب ، وقد ورد في الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس من امبر مصيام في اسفر) أي (ليس من البر الصيام في السفر) .

كذلك فانهم يقلبون النون راء فيقولون (وادي بريعقوب) يعني وادي (بن يعقوب) . وهم ايضا يقلبون الجيم ياء ، فيقولون (صليت في المسيد) يعني (صليت في المسجد) . و (رأيت الريال) يعني (رأيت الرجال) .

وتنتشر عندهم لهجة اللشكشة او البشبشه وخاصة بين نساء قبيلة عسير فتقول الواحدة منهن (كيف حالش) و (ايش لونش) يعني كيف حالك ، وماذا بك ؟

كما ان الجمل المعترضه تكثر في حديثهم ، فعندما يكون مخاطبك مسترسلا في الحديث اذا به يقول لك (ايه ونا فداك) أي (ايه اللي يسلمك) . وقد تبلغ المحبة ان يقول لك الزيادة تأكيد محبته لك (ربي يأخذني قبلك) أي (ربي يديمك ويبقيك) .

ويقولون (ارقه) بمعنى انظر . ويسمون البهيمه من الماعز (زغابة) ، كما أنهم جميعا ينطقون تاء التأنيث في الاسم سكانه فيقولون : عشرات ، وخاصمت ، وساعت ، وفاطمت ، كما انهم يستعملون كلمة (ميد) بمعنى أريد ، وكلمة (وأهريت) بمعنى بعثت وارسلت .

ولا يقولون للمرأة امرأة وانما يقولون (أم مكلف) .

جـ - ألعاب عسير

لقبائل المنطقة الجنوبية من المملكة خاصة ألعابا ورقصات رائعة ، مثلما لأهل نجد وقبائل المناطق الشمالية والشرقية من المملكة عامة .

ومن أهم تلك الالعاب ما تعمله قبيلة ربيعة وقبيلة عسير فى المناسبات كالأعياد ومناسبات الزواج ومناسبات أخرى .

وسأترك الحديث عن العاب قبيلة ربيعة وقبيلة عسير فى المناسبات كالأعياد ومناسبات الزواج ومناسبات اخرى .

وسأترك الحديث عن العاب قبيلة ربيعة ، لأنه سوف يأتى الحديث عنها عندما نتكلم عن عادة الختان فى هذه القبيلة ، وما يقومون فيها من ألعاب ورقصات .

اما اهل عسير فلهم العاب تسمى (الزيفه) يرقص اثناءها المشتركون رقصات جميلة ، ويغنون خلال ذلك اغنيات منظومة بأشعار نبطية من نظم شعرائهم الذين يشاركون فى هذه الرقصات .

والغريب عن المنطقة لا يستطيع ان يفهم شيئا من تلك الاغنيات وذلك الشعر فى معناه . والعسيريون اثناء رقصة (الزيفة) يصطفون صفين متقابلين - (مثلما هو الحال فى العرضة النجدية) او رقصة (الدحبه) عند قبائل المنطقة الشمالية وكذلك رقصة (الحايوما) عندهم ايضا .

لكن الاختلاف فى هذه الرقصة (الزيفه) عن (الدحبه) و (الحايوما) هو ان حملة الطبول والدفوف يتوسطون الصفين ، بينما يكون حملة الطبول فى رقصتى (الدحبه) و (الحايوما) فى طرفى الصفين .

ويبدأ الشاعر فى القاء البيت الشعرى ، فيقوم المشتركون بترديده مرارا وهكذا عندما ينتقل الى بيت آخر .

اما عند قبائل الشمال فان الشاعر يلقى الصدر الاول من البيت الشعرى على صف ، ويلقى البيت على الصف الآخر . وكذلك عند قبائل الشمال فى اغلب الاحيان يكون هناك اكثر من شاعر ، فيلقى الشاعر الأول البيت كله على الصف الذى هو فيه ومسئول عنه ، ويفعل الآخر مثله مع الصف الثانى .

وتقرع الطبول على ترجيعه ويردد اللاعبون فى الصفين ما يقوله الشاعر مع القفز والنط وضرب الارجل بالارض . مرة وهم وقوف واخرى وهـم سائرين خطوة واحدة . واحيانا يبرز فى مواجهة احد الصفين رجل مستلا جنيه ويقفز بها فى حركات بهلوانية وزعقات عالية .

ومن ابيات قبيلة عسير المشهورة فى رقصاتهم هذين البيتين :

بديت ذا فى العرش حاكم　　　متوحـد بالمـلك منفـرد

ماكـرت الديسرة لحـــاكم　　　يكون فى تدبير ابو فهد

د ـ الزى

أولا ـ ملابس العسيرى فى أبها :

يلبس العسيرى الثياب مثله فى ذلك مثل اهل الحجاز تماما ، ويغطى رأسه بالشماغ أو العقل السوداء ، ولكن ذلك طارىء عليه ، فلم يلبس العسيريون الشماغ الا بعد ان دخلت عسير تحت سلطة الدولة السعودية اما فيما سبق فكانوا حاسرى الـرؤوس . ويحلى العسيرى وسطة بالجنيه ومن أهـــم الجنابى ثلاثة أنواع :

١ ـ نوع يخرج طرفه عن محيط الوسط ، وينتهى ببيت الشفره منه بكتلة من سيور رفيعة من الجلد ويسمونه (مصيرة)

٢ ـ ونوع قصير من الشفره ، معكوف طرف غلافها الى الأعلى ، ومحلى بالفضة ، ويسمونه (قد) .

٣ ـ ونوع لا يخرج عن محيط الوسط فى الغالب ، وغلافهـا محلى بالفضة بخلاف المعيرة ، فان غلافها مكسى بالجلد دائما ويسمونه (شامية) .

وفى الشتاء يلبس العسيريون العباءة (الشملة) وهى تتخذ من اصواف الضأن ، ومنها الجيد الغالى ، وهى تحاك عادة قصيرة الى ما تحت الركبة بقليل لئلا تعوق الحركة . وغالبا ما تكون سميكه فى صنعها .

ثانيا ـ نساء أبها :

يلبس السراويل الطويلـة والقمصان ، وبعض هذه القمصان فضفاضا وغالبا ما يكون اسود اللون ، ويحلى صدر القميص بأشكال من التطريز اليدوى

بالحرير المختلف الألوان . اما الأبكار منهن فانهن يلبسن فى اكثر الأحيان على رؤوسهن منديلا اما أصفر اللون أو احمر منقطا بالسواد ، يربطنه أسفل الرقبة .

اما المتزوجات فلزاما أن يضعن على المنديل طرحة يسمونها (مقلمة) او (مسفع) وهى تشبة الخمار ، لكن لها أهداب وكتل من الحرير المختلف الالوان ، محلى اطرافها بحبكة الحرير ايضا ، وغالبا ما تكون سوداء ، ومصنوعة من القماش الخفيف .

ويحتزمن على القميص بحزام من الجلد ، مزركش ومحلى بخيوط من الجلد يسمونه (السبته) . وهكذا تبدو العسيرية فى ثوبها الفضفاض كما ان النساء العسيريات يلبسن فوق اثوابهن رداء كالفرو مصنوعا من الجلود المدبوغة وهى تربط من اطرافها العليا حول العنق ، ويتدلى بقية الرداء على الظهر الى ما فوق الكاهل . وهذا الرداء على نوعين :

١ ـ المزر او المزار : وهو عبارة عن مجموعة من جلود الحملان تدبغ ويخرز بعضها ببعض بسبت ذى لون يختلف عن لون الجلد ، ويحيط بهذه المجموعة (كنار) من لون السبت وغالبا ما يكون أحمر ، وطريقة لبسه أن يكون مقلوبا ، اما الشعر من الباطن ، والجلد يكون من الظاهر ليقى لا بسته من المطر ، فهو كالمشمع لا يخترقه المطر ، وليكون الشعر وجاء من البرد فى الشتاء .

٢ ـ النطع أو المقر : وهى عبارة عن ثلث المجموعة الاولى من الجلود المدبوغة اللينة الكثة الشعر وهو اقل عرضا من النوع الأول فهو لا يستر الا بعض الظهر .

ومن عادات النساء العسيريات أن يضفرن شعورهن على شكل تسريحة بسيطة ، ويسرحن خصلة من الشعر ويتركنها فوق الجبين ، واحيانا يقصصنها فتبدو على شكل التسريحات الحديثة ، لا سيما عندما يلبسن الثوب الفضفاضى الذى يشبه (الكلوش) الطويل عند نساء المدن المستحدثات .

أما غطاء الرأس عند نساء منطقة تهامة فانهن يستعملن (الطفشه) كتلك التى تستعملها النساء فى قبيلة ربيعة ، ولكن تختلف عنها فى انها غير بارزة الوسط .

واما نساء الجبال فانهن يضعن الخمار على رؤوسهن ، اما الأبكار من النساء فى تهامة يلبسن نوعا من القبعات المصنوعة من القماش ، وتكون على شكل مثل مفتوح القاعدة ، كى يدخل فى الرأس ويستقر عليه وقد يضعن خمارا او نقابا فوق هذه القبعة . وكذلك فان نساء تهامة يستعملن (النسعة) التى تشبه حبل من الجلد المجدول تستعملة النساء كالحزام ، وهناك من تستعمل السبته كالتى عند نساء عسير ، وهى حزام من الجلد المنقوش ، تضعة المرأة فوق ثوبها من الخارج .

اما رجال تهامة فانهم يستعملون الاكليل وهو محبوك من الخصف والاعشاب البرية العطرية ، ويوضع فوق الرأس من اجل ان يسمك شعورهم الطويلة لئلا يلعب بها الريح .

كما ان نساء تهامة ورجالها ايضا يستعملون الشملة ، وهى عبارة عن عباءة من صوف الغنم ، وقصيرة جدا ، توضع على الكتفين ، وهى لباس الأغنياء والأعيان ، وتفيد فى الشتاء .

اما نساء قبيلة ربيعة ـ وهى من القبائل التابعة لقبيلة عسير ـ فان المرأة تغطى رأسها بقبعة من الخص ، يطلقون عليها (طفشه) كما هو الحال عند نساء تهامة . وهى على نوعين :

١ ـ ذات كنار عريض

٢ ـ ذات كنار رفيع . تتوسطها اسطوانه بارزة تجعلها أقرب فى شكلها الى القبعات الاسبانية ـ الاندلسية ـ او قبعات (السيلندر) لولا ان هذه مصنوعة من الحرير وتلك من الخوص .

اما الرجال فى قبيلة ربيعة فلا يغطون رؤوسهم ، بل يضفرون شعورهم الطويلة او يتركونها على طبيعتها منغوشه ، ويربط بعضهم شعرة بسبته تمسكه من تلاعب الريح به . ويتقلد الرجال فى هذه القبيلة خناجر طويلة تسمى (جنبيه) وتختلف اشكال هذه الجنابى ، فبعضها طويل جدا يشبه السيف القصير ، وبعضها كالحربة المحدبة ، وبعضها كالخناجر الحجازية او اليانية ، اما اكبر الخناجر فتلك التى يتقلدها افراد قبيلة رجال المع .

أما نساء تهامة الساحل فانهن يلبسن الثوب الرصاصى اللون ، اشبه بأثواب بنات المدارس الابتدائية فى المنطقة الغربية ، ولكن هذه الثياب تتميز بانها فضفاضة وعلى موضة (المقور) .

هـ ـ الطعام

إن المدقق لأنواع الطعام وبالأحرى الطعام الرئيسى عن قبيلة عسير وقبيلة قحطان وقبيلة شهران وربيعة ، يجد أن البر والسمن ، وهما من منتجات المنطقة الجنوبية ، فهذه القبائل تقوم بعمل ما تحتاجه من طعام فتزرع القمح والشعير وفى بعض الأحيان الدخن كما أنها تستخرج السمن من الحيوانات التى تقوم بتربيتها ، فهى تكاد تكون مكتفية ذاتيا ، ولكنها تبيع الفائض عن حاجتها فى الاسواق السابقة الذكر . ولكنها لا تفعل ذلك الا بعد ان تعمل عمليات جمع وطرح وقسمه لمحصولها ، فتدخر ما يكفيها لمدة عام أو نصف عام ، بل ما يكفيها حتى الحصاد القادم . وتتخذ احتياطيات للامور الطارئة كقلة الامطار او زيادتها او هلاك المحصول او اصابته بجسائمه وغير ذلك .

أما استعمال هذه القبائل للحم ، وخاصة فى القرى ، فانه يكون وقفا على المواسم والضيافات ، لكن بعض اهل القرى ولاسيما ـ الشيوخ ورؤساء القبائل ـ يتوفر عندهم اللحم بشكل دائم تقريبا ، وحيث انهم لا يعرفون الكهرباء والثلاجات الكهربائية ، فانهم لكى يحفظوا اللحم بشكل جيد بعيدا عن الضوء يقومون بتنشيفه ويضعون عليه الملح من اجل حفظه من التعفن ، ويعلق اللحم فى سقف غرفة ، ويقطع منه على قدر الحاجة .

أما اذا جاءهم ضيف فانهم لا يقدمون له من هذا اللحم وانما يذبحون له على قدر مكانته ، فتكون الذبيحة ما بين ثور أو جدى أو جمل ، لكن ذبح الجمال قليل عندهم ، فأكثر ما يذبحون الثيران .

لكن الانسان فى المدن مثل مدينة أبها ومدينة خميس مشيط يستطيع أن يحصل على اللحم يوميا ، لأن هناك اسواقا حديثة لبيع اللحوم كما هو الحال عندنا فى المنطقة الغربية .

وتعتبر العصيدة الطعام الرئيسى فى القرى ، بل هى أم المأكولات وطريقة

صنعها تكون بأن يعجن الدقيق ثم يوضع فى اناء عميق ويكون وسط الدقيق المعجون مجوفا ثم يوضع فى تنور حتى ينضج ، ثم يخرج ويوضع السمن فى التجويف ثم يقدم .

وقريبة من ذلك الطعام نوع يسمونه العريكة غير انها تصنع من القمح لا من الشعير مثل العصيدة ومن الدقيق - دقيق القمح بالذات - يصنع نوع من الخبز ، يشوى على النار فى الفرن المنزلى ويكون اما بدفنه فى الرماد أو بوضعه فى اناء مثل العصيدة ولكن لا يكون وسطه مجوفا . ثم يصب عليه السمن والعسل ، ويعتبر من أشهى المأكولات وألذها .

أما اللحم فانه يعمل سليقا ، ويقطع قطعا صغيرة ، وأما مرق اللحم فيوضع فى قصعة ثم يقدم .

وتناول الأرز نادرا جدا ، وحتى فى الضيافات لا يقدم الأرز الا قليلا جدا وخاصة فى القرى .

وفى القرى يفطر القروى - وحتى فى الكثير من المنازل فى المدن - يتناول الواحد القهوة مع التمر أو يتناول الحليب المستخرج من البان البقر التى يقومون بتربيتها ، وبيع الحليب فى القرى وعند قبائل عسير خاصة يعتبر من العار بل هو العار كله .

هـ وأفراد قبيلة ربيعه طعامهم العريكة والعصيدة والخبز والسمن الى جانب اللحم . ويصنعون الخبز والعريكة من الشعير أو الذرة أو الدخن الذى يزرع فى مزارعهم . ويعصد الدقيق بعد صحنه على الرحى بالماء على النار ثم يسكب فى الماعون . وتحفر حفرة صغيرة فى الدقيق ولكن يكون ذلك بعد أن ينضج الدقيق ، وتملأ بالذبدة السائلة او السمن السائح .

و - عادات غريبة فى قبيلة ربيعة

كما سبقت الاشارة فان قبيلة ربيعة من القبائل التى كانت تابعة لقبيلة عسير . وكانت هذه القبيلة الى عهد قريب تعيش حياة بدائية غاية فى البساطة ، طعامها خشن ولباسها بسيط ، ومساكنها مبنية من الطين (اللبن) على هيئة الابراج ، وعادة ما تكون منازل هذه القبيلة قريبة من موقع المزارع الخاصة بها

من أجل حماية المحاصيل من اللصوص ، الذين كانوا يأتون فى السابق من أماكن بعيدة عندما يعلمون أن محصول الذرة أو القمح والشعير والدخن قد نضج ليسر قوه ليلا . ولكن أصبح الأمان يعم هذه المناطق واختفت هذه السرقات ، لأن الحكومة أصبحت تضرب بيد من حديد على كل من يفعل ذلك .

وبقيت المنازل على حالتها وفى نفس مواقعها حتى يومنا هذا ، وقد عرف أفراد قبيلة ربيعة خاصة وأفراد القبائل التى تعيش فى المناطق الجنوبية من بلادنا عامة ، أن الطين لا يستطيع تحمل الانواء ، فعملوا رفوفا من الأحجار الرقيقة من خارج المنازل أثناء لنائها لتدرأ عنها الامطار وسائر الأنواء ..

ومن أبرز عادات هذه القبيلة :

١ ـ اكرام الضيف الى أبعد الحدود .

٢ ـ الشهامة والمحافظة على الوعود والعهود والمواثيق وعدم النكث بالعهد مهما كان المبرر .

٣ حفظ جميل المحسن والاشادة الطويلة والدائمة بذكره والاعتراف بجميله .

ولكن عادة الختان فى قبيلة ربيعة غاية فى الغرابة والوحشية ، وان كانت هذه العادة قد تلاشت نهائيا تقريبا او تكاد ، وان كانت تمارس فهى تمارس بشكل خفى جدا ، لأن الحكومة قد منعتها وحرمتها نهائيا وتعاقب من يعملها عقابا شديدا .

فقد كان الختان عند هذه القبيلة يعد عيدا بل أعظم الأعياد والمواسم ، وكان لا يختن الفرد الا بعد ان يبلغ الحلم ، وكثيرا منهم يؤخرون ختانهم الى سنوات بعد ذلك تصل الى أن يبلغ احدهم سن العشرين اواكثر .

ومن غرائب ما يروى فى هذا الصدد ، أن بعض عمليات الختان للآباء كانت تتم امام ابنائهم ، أى بعد أن يتزوج وينجب أولادا ثم يبلغوا الحلم .

وطريقة الختان تكون بأن يقف الفرد المراد ختانه فى وسط القرية على دكة مرتفعة فى محضر من النساء لاسيا الأبكار الراغبات فى الزواج ـ خاصة اذا كان أعزبا ـ ولا يكون عليه من الثياب الا ما يغطى صدره وبطنه ، أما عورته فانها تكون بارزة أمام الجميع من الحاضرين والحاضرات .

ويقف الشاب متكئا بيده اليسرى على رمح قصيرا أو عصا ، يتخذها عكازا يستند عليه عند شدة الألم ، أما فى يده اليمنى فيحمل جنبية كبيرة .

ويرفع الشاب رأسه مناديا معتزا بأهله ، بينما سكين الجراح تعمل فى جلده ، تقطعه شريحة اثر أخرى .

فاذا اختلج أو بكى أو صاح أو حتى أظهر التألم اصابة العار وأصابته سبة الى الأبد . وان من اختلجت اطرافة أو ظهرت عليه علامات الخور والضعف يكون جبانا رعديدا لاكرامة ولا مكانة له بين الناس وليس هو بالرجل البطل الذى يستهوى قلب الفتاة فتعتز به وباتخاذه زوجا لها من دواعى فخرها واعتزازها بين أترابها .

ومن شدة ايغالهم فى اختيار جلد الشاب ، فانهم يقومون بذر رملا ناعما فوق رجله ، فاذا ثبت الرمل عليها ولم يتساقط اعترفوا ببطولته أما ان اهتز أو انتثر الرمل أو سقط من فوق رجله فذلك دليل الخوف والرعب والاحتلاج من الألم . والعار كل العار لمن كان هذا شأنه .

ويجب على المختون اثناء العملية الرهيبة الا يسكت ويظل صامتا بل عليه ان يفتخر بأهله وأخواله وينتمى الى قومه ان كان أصيلا .

وقد يطلب الشاب المختون اثناء اجراء عملية الختان شريحة من جلده ليمسكها عندما يذكر قوم لهم عليه يد أو منة .

أما موقف البنات فانهن يقفن أمام الشاب المسلوخ أثناء العملية يشجعنه ويقوين عزمه ، بينما سكين الجراح تقطع وتسلخ دون توقف . وقد ينادينه بكلام مشجع مفرحا الى أن تنتهى عملية الختان ، وكثيرا ما يموت الشاب قبل أن تنتهى العملية ، أما من طال عمره وسلم منها وعاش بعد ذلك فهو البطل الشجاع والعالى المقام ، ترغب وتتمنى كل فتاة ان تكون له زوجة .

وبعد انتهاء العملية الختانية أو بالأحرى عملية السلخ ، فان للشاب كل الحرية فى العويل والصياح والتألم والنحيب مثلما يريد . أما عملية مداواة موضع السلخ فتكون بذر ملح الطعام عليه ، أو بذر مسحوق مستخرج من حجارة خاصة تخرج ببعض الأعشاب البرية ، وقد يستمر العلاج عاما .

ز ـ الختان عند قبيلة رجال ألمع

وكما أن عادة الختان غريبة كما رأينا فى قبيلة ربيعة ، فهى غريبة أيضا فى قبيلة رجال ألمع وبطونها وأفخاذها وعشائرها .

ان عادة الختان فى قبيلة رجال ألمع يتفق بعض مايجرى فيها مع نفس العادة فى قبيلة ربيعة ، ولكن تختلف فى كثير من مجريات أحداثها من أجل ذلك فاننى سأتناولها بالشرح والتبيان .

غالبا ماتعمل قبيلة رجال ألمع الختان لأفرادها فى أول يوم من أيام عيد الأضحى ، وليس من الغريب أن تجد أكثر من عملية ختان فى هذه القبيلة فى هذا اليوم . ففى القرية الواحدة قد يكون هناك عمليتى ختان أو ربما أكثر ، وكذلك الحال بالنسبة للقرى التى تقيم فيها هذه القبيلـة وبطونها وأفخاذهـا وعشائرها .

وقبل موعد الختان بأيام يبدأ الرجل أو الشاب الذى يرغب فى الختان فى لبس الملابس الحريرية ، وغالبا مايلف مئزرا حريريا مخططا حول وسطه وهذا المئزر قصير لايصل الى أسفل الركبة ، أما صدره والجزء العلوى من الجسم فيغطى بصديرى من الحرير الأخضر ، ويضع على كتفه شالا . ويرجل شعره ويضع عليه أنواعا من الأعشاب البرية المعطرة ، ويحمل فى يده سيفا مفضضا ذى حمائل حريرية .

وأفراد قبيلة رجال ألمع لايعتبرون الفرد رجلا يسرى عليه مايسرى على الرجال الا اذا ختن ولو بلغ سن خمسين سنة .

وقبل موعد الختان أيضا يدعى أخوال المختون ، ويقوم بهذه المهمة والد المختون أو من ينوب عنه ويقوم بها المختون نفسه .

وفى مساء اليوم الأول من ذى الحجة وقبل وصول أخوال المختون وأهله من القرى القريبة والبعيدة تقرع الطبول وتكون أمام بيت المختون ، وعندما يسمع الطبول يبرز فى زيه ـ السابق الذكر ـ من بيته وينضم الى الحاضرين ويشاركهم ألعابهم .

ثم يذهبوا الى ميدان فسيح فى القرية ويأخذوا فى الرقص واللعب فيقفزون قفزات بهلوانية ويركضون فى الميدان ويضربون الأرض بأرجلهم .

ويظل الحال كذلك تسعة أيام ، وبعضهم يقلل هذه المدة فلايبدأ اللعب والرقص من بداية الشهر وهذا راجع الى مكانة المختون ومنزلة أهله وذويه . وقبل أن يصل اخوال المختون يرسلون من يخبر أهل القرية بوصولهم - وهم يصلون باكرا فى صباح اليوم العاشر من ذى الحجة يوم العيد الكبير - فيخرج أهل القرية وأهل المختون فى المقدمة يتبعهم الأعيان ثم بقية الحضور . وهكذا لايزالوا سائرين على الاقدام لمسافة نصف ميل تقريبا حتى يصلوا الى وسط الوادى ، فيصطفوا صفا طويلا وهم فى أكمل زينة وأتم سلاح . وعندما يبرز أخوال المختون والمدعوين معهم تبدأ الطبول فى الدف وهى محمولة على الأكتاف ، وبينما البعض لايزال يقرع الطبول تبدأ مراسم الاستقبال والتحية

ثم بعد ذلك يتقدم واحد من أخوال المختون الى ابن اخته المراد ختنه فيقول له على مسمع من الحاضرين (ان ماجينا به شيء مايذكر فأحملونا على السلامة) . ثم يتقدم شخصان ويمسكا ازار حريرى وينشراه عند ئذ يبدأ أخوال المختون يلقون فى هذه الازار عشرة ريالات يرفع شخص يكون واقفا قريبا من الازار صوته عاليا - يطلقون عليه مصيح القرية - ويستمر الحال كذلك حتى يبلغ عدد الريالات الملقاة فى الازار ثلاثين ريالا ، عندئذ يطوى الازار ويسلم للمختون فيذهب ثم يعود بالازار فارغا .

وينشر كما سبق فى المرة الاولى ، ولكن المتقدم فى هذه المرة جد المختون لأمه ، وبعد عبارة طلب التجاوز السابقة والمسامحة ولكن يزيد فيعبر عن ان ماجاؤا به ليس بالشيء المذكور وانه لايساوى حتى قيمة ثور ويقول أنهم أرادوا اخفائه لولا العادة والتقاليد .

وبعد أن تبلغ الريالات ثلاثين ريالا يطوى الازار ويسلم للمختون وبذلك تكون مراسم الاستقبال قد تمت وانتهت .

ثم يعود الجميع الى القرية وسط قرع الطبول ، وفى صباح اليوم التالى - ثانى أيام العيد - يبرز الشاب فى زيه الكامل ولكنه فى هذا اليوم يكون مستلا فى يده جنبيه لاسيفا . ويبدأ يلعب بالجنبيه ويرقص ويقفز عاليا ويزعق ويسير محفوفا بأهله واخواله وذويه وهم يحملون السيوف ويتمطون الجنابى والمعيرات . وعلى أكتافهم البنادق . واثناء ذلك يرتفع صوت الزغاريد من النساء عاليا وتقرع الطبول ، ويحملن النساء بأيديهن المناديل والرايات يلوحن بها ، الى أن

يصل الجميع الى ربوة فى أحد شعاب الوادى . عند ئذ يتسلق الشاب أوالمختون ربوة عالية عما حولها من أرض بحيث يراه جميع الحاضرين والحاضرات أيضا ، ويبدأ يحدق فى الجميع وهو واقف وحيدا ويحاول ذوو المختون وأهله أن يبعدوا بقدر الامكان جميع الموجودين عن الربوة . ثم يتقدم أحد أخوال المختون اليه على مرأى من الجميع ويصعد الربوة ويقشع المئزر الحريرى الذى يرتديه الشاب عنه ويلحفه بقطعة من الدوت .

ثم يأتى الخاتن الذى يكون واقفا وقفة عظيمة بين أخوال المختون ويتقدم نحو الربوة . عند ئذ تعلو صيحات الحاضرين من حولـه بكلمات التشجيع ، ويهزون فى وجهه السيوف وعندما يصل الى المختون يقوم الاخير بالاخراج عما بين فخديه ويجمد فى مكانه جاحظ العينين مأخوذا بما حوله وبما يجرى له .

ويكون الخاتن ممسكا بيده مديه طولها شبر ، ثم يقبض على جلدة نحو ثلثى القضيب من الاعلى فيجتزها بسرعة فائقة لأن المدية حادة جدا ثم يتناول بعد ذلك مثل القطعة الأولى ولكن من الأسفل ويجزها أيضا والـدم يتدفق ، أما المختون فيقف بلاحراك يحملق فى عينيـه اظهـارا لثبات جنانه وجلـده وقوة احتماله .

واثناء ذلك كله تتعالى صيحات الحاضرين ولاسيما الحاضرات وزعقاتهن لتقوية عزيمته . وبعد أن ينتهى الخاتن من عمليته يضع المدية فى جرابها فى وسطه وتتعالى ويدوى صوت البنادق بطلقات الرصاص وينزل المختون من فوق الربوة ويسير مع الحضور بين صيحاتهـم وزعيقهـم ويسير الجميع صوب القريـة ، والمختون يرقص غير مهتم بالدم المتدفق منه وتقرع الطبول عاليا ويستمر الحال كذلك حتى يقتربوا من مشارف القرية عند ئذ ينادى المنادى من أهل المختون بدعوة كل من حضر لحضور المأدبة . ثم يسيروا بعد ذلك وعند مشارف منزل ذوى المختون يتجدد الرقص ولكنه يكون فى شكل دائرى ، ويرقص المختون فى وسط الدائرة المغلقة ويشاركه والده فى الرقص ، وفى أحيان أخرى يشاركهم جده لأمه ، أويرقص المختون مع جده فقط اذا لم يستطع الأب أن يفعل ذلك . وبعد فترة يؤخذ المختون الى حيث الحريم . ويذهب المدعـون الى المـائدة ، ولأن عددهم كبير فانهم يدخلون على المائدة زمرة بعد زمرة ، كلما انتهت زمرة من الأكل دخلت غيرها وهكذا .

وبعد ذلك يذهب الجميع لشأنهم ، وأول الذاهبين هم أخوال المختون ثم جده ثم باقى الحضور . وبذلك تكون مراسم الختان قد انتهت .

لكن الحكومة منعت هذه العادة كما فعلت مع قبيلة ربيعة فى هذه العادة . أما بقية القبائل كقبيلة عسير وقحطاناوبنى شهر وشهران وخثعم فانهم يختنون مثلما يفعل أهل المنطقة الغربية ، ويبدأوا هذه العملية والطفل صغير وان كانوا يقيمون أفراحا ورقصات فى هذه المناسبة كما يفعل أهل المنطقة الغربية حيث أنهم يعملون مايسمى (الرب الرحمانى) فى المنطقة الغربية .

ح - الخرافات

رغم التقدم الكبير الذى تعيشة بلادنا كلها من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها ، ورغم العلم ، فانه تنتشر الكثير من الخرافات لا سيما فى الجنوب ، ومع شديد الأسف فانها تجرى فى نفوس اهلها مجرى الدم ، ولها أثر شديد فى تكييف امزجتهم ، فأكثرهم يعتقد بالسحر والتنجيم وكتابة الحجب ، والطلاسم . الأمر الذى يجد المشعوذون معه سوقا رائجة لشعوذاتهم واباطيلهم ، وهم يتوسلون بذلك لسلب البسطاء أموالهم أو لسلب أموال النساء الجاهلات .

ورغم انتشار مبدأ التوحيد وقضاء الحكومة على مثل تلك الأباطيل الا ان بعضها لا يزال موجودا .

ومن تلك الخرافات اعتقاد البعض ان ابناء عم العروس اذا فضلت أن تتزوج الغريب من الأزواج عليهم ، فانهم يستطيعون منع العريس من مساس عروسه بعدة وسائل نذكر منها :

١ - عقد خيط أو شريط أو طرف الغترة أو الثوب .

٢ - خلع الخاتم من الاصبع ثم اعادة لبسه رويدا رويدا كلما قرأ المأذون جملة أو آية .

٣ - سل الجنبية من غمدها ثم اعادتها اليه اثناء قيام المأذون بعمله دون أن يلحظ أحد ذلك .

٤ - قلب النعال حين اجراء العقد .

٥ - عقد بعض شعرات من صوف ذبيحة العروس حين اجراء العقد .

٦ ـ عقد مصران الذبيحة .

٧ ـ غمس مسمار فى دم الذبيحة ودقة فى الأرض

٨ ـ خلط صوف الذبيحة بماء حين اجراء العقد .

وهناك طرقا أخرى كثيرة . ولذلك فان أهل العريس يكونوا يقظين منتبهين حين اجراء العقد ، لئلا يحدث شيئا من ذلك .

والحقيقة ان مثل هذه الخرافات منتشرة بشكل عظيم فى المناطق الشمالية من المملكة ولا سيما بين أهالى مدينة ضباء ومدينة الوجه الساحليتين كذلك يوجد مثل ذلك فى المنطقة الغربية وهى ما يطلق عليه (الربط) .

ومن اعتقادات أهل الجنوب الخرافية أيضا اعتقادهم فى القبر الذى كان قائما والذى يقولون انه قبر ذى الغرتين ، وموضعة هام عندهم لأن النجديين عندما استولوا على الجنوب هدموه . ويقع فى الوقت الحاضر هذا الموضع بين قرية جومان ومدينه أبها ـ على طريق خميس مشيط ـ يبعد عن أبها بثمانية كيلومترات تقريبا .

وهذا الاعتقاد يتمثل فى ان هذا القبر يمدهم بالقوة والشجاعة اذا طلبوا من صاحبة ذلك .

وكذلك من الخرافات الاعتقاد السائد بينهم بشأن الكهف المجاور لجبل « تنميه » فهم يزعمون أن فيه ثلاث جثث كبيرة لأناس ماتوا منذ قرون غير أن اجسادهم تجمدت وظلت على حالها ، وان كل من رأى هذه الجثث أصيب بشىء لا يستطيعون أن يقروه أخير هو أم شر .

وأعجب من ذلك كله اعتقاد بعضهم أن فى امكان أهل تهامة استنطاق الموتى الذين يقتلون غدرا . ويزعمون ان فى امكانهم معرفة القاتل وتطبيق الجزاء عليه ، لأن ذلك اثبات عليه . فاذا أغتيل انسان وأريد معرفة قاتله ، قام أهل القتيل بمعاونة بعض السحرة والكهان الى سلم فربطوا القتيل اليه عرضا ، وحملوه الى مكان بعيد بين الجبال حيث لا يسمع نباح الكلاب ولا الأصوات المزعجة ، ثم يعلقوا السلم على الشجرة . ثم يقف أهل القتيل بعيدا عن الشجرة ، ويتقدم السحرة وفى هدوء تام يسألوا القتيل عن قاتله . ويرون أنه يخبرهم بالقاتل .

وكذلك اعتقادهم بصاحب القبر ـ الموجود فى طريق السوده ـ فهم يتبركون به . وغير ذلك من الخرافات والخزعبلات .

وللقضاء على هذه الاعتقادات الفاسدة لا بد من تنوير عقول هؤلاء الجهلاء ونبذ كل الافكار الخرافية من عقولهم . وهـذا ما يحدث بالفعـل منذ سنوات . وكثير من أبناء الجنوب أنفسهم يقومون بجهود جبارة بمساعدة هيئة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحكومة لكن لا يزال الطريق طويل وشاق والجهود لا تزال تبذل .

الفصل السادس

التوطين والتحضر والتنمية الاجتماعية للمجتمعات البدوية
فى المملكة العربية السعودية

- نظرة الدولة الى مشكلة البادية والبدو
- البداوة فى المملكة العربية السعودية
- توطين البدو فى المملكة العربية السعودية
- المحاولات الحديثة لتوطين البدو بطريقة مباشرة
- مجالات التوطين فى المملكة العربية السعودية
- أثر اكتشاف البترول فى حياة البدو
- التخطيط العلمى لتوطين البدو
- مشروعات وجهود الدولة لتنمية البادية والمجتمعات البدوية فى المملكة العربية السعودية.
- طرق وأساليب تنمية البادية

الفصل السادس

التوطين والتحضير والتنمية الاجتماعية للمجتمعات البدوية

فى المملكة العربية السعودية

ان أبرز مميزات عصرنا الحاضر مانشاهده من اهتمام بالغ وعمل دائب متواصل من جانب حكومات الدول فى سبيل تحقيق نهضة اجتماعية واقتصادية، تيسر لشعوبها كل أسباب الرخاء، وتهيىء لأفرادها فرص الخلق والابداع.

ونحن فى المملكة العربية السعودية لانبالغ اذا قلنا أن سمة البداوة هى البارزة على المجتمع السعودى اذا استثنيا بعض المدن الكبيرة التى حظيت بوسائل الاستقرار والتحضر، بل ان بعض هذه المدن لاتخلو من بعض سمات البداوة.

قد تعتبر البداوة مظهر من مظاهر التخلف الاجتماعى، ولكنها فى الحقيقة ظاهرة اجتماعية مركبة ظهرت نتيجة لأثر البيئة الطبيعية وتكيف الانسان لها، ومع اكتشاف موارد جديدة لكل دولة توجد عندها بداوة أن تضع معظم امكانياتها للنهوض بهذا القطاع من المجتمع بتقديم الخدمات ووسائل الاستقرار والتحضر.

ونظرا لكل هذا فقد بادرت المملكة العربية السعودية منذ فجر بذوغها بوضع برامج لرعاية البدو وتحضيرها وتوفير أهم عوامل الاستقرار لهم، وتطويره من مجتمع مشتت دائم الترحال الى مجتمع مستقر يشارك فى تطور الحياة الزراعية والصناعية على أرض الوطن، بغية الوصول الى ايجاد مجتمع عربى متكامل القوى يسعى الى حياة أفضل.

ومن بين الحقائق الهامة التى وعتها المملكة ان التطور لايمكن فرضه قسرا على مجتمع ما، وان كل مايمكن عمله هو تهيئة فرص التطور بتوفير الدوافع والحوافز، وبالتجربة الرائدة التى تفتح الطريق، وتمهده أمام كل تغيير يؤدى الى حياة

أفضل . واستغلال الاستعداد النفسى والفطرى والتاريخى للمجتمعات كى تطور نفسها بطريقة طبيعية نابعة منها .

نظرة الدولة الى مشكلة البداوة والبدو

تقوم نظرة الدولة فى العربية السعودية الى مشكلة البادية والبدو على الأسس التالية :

١ ـ ان البداوة ظاهرة اجتماعية وليست مجرد مشكلة سطحية تعالج بسذاجة وهى موضوع حيوى يتصل اتصالا مباشرا وعميقا بصميم التكوين الوطنى للمملكة ، كما يتصل بصميم تكوين المجتمعات الاخرى فى بقية البلاد العربية . ولهذا لايجوز الاتجاه كلية الى الأخذ بالنظرية القائلة ان معالجة مشكلة البداوة تكون بتوطين البدو أو انتقالهم الى مجتمعات أكبر تمتصهم لتصفيتهم ، وانما تكون بمعالجة ظاهرة البداوة على اساس دمج المجتمعات البدوية فى المجتمع الوطنى للدولة ، واشراك هذه المجتمعات فى نشاط المجتمع العام .

٢ ـ ان ادماج البدو كأفراد فى مجتمعات كبرى تمتصهم ، معناه تحويل البدو الى مهاجرين الى مجتمعات كبرى تمتصهم ، معناه تحويل البدو الى مهاجرين الى مجتمعات جديدة ، تقاليدها غير تقاليدهم ، ومفاهيمها ومثلها غير مفاهيمهم ومثلهم ، وتحويل كهذا تنجم عنه مشاكل اقتصادية واجتماعية معقدة للغاية ، كما أن تنفيذه يحتاج الى وقت يصعب تحديده مقدما ، بالاضافة الى أنه يحول أفرادا يشعرون بالسعادة فى عيشهم التقليدى الى أفراد لايندمجون فى المجتمعات الجديدة بسهولة ، ولاتمتصهم هذه المجتمعات، وتشركهم فى حياتها بالرضا والطواعية . فى حين أن دمج البدو كمجتمعات من الكيان الوطنى للدولة ، وتطوير هذه المجتمعات وتنميتها وتجنيد امكانياتها يحول البدو الى مواطنين سعداء ، ويجعلهم يؤدون واجباتهم نحو مجتمعهم الكبير ، فيساهمون فى زيادة الانتاج القومى ، وهم يحافظون على كيانهم وشخصيتهم وكرامتهم ومثلهم ، مما يساعد على وصل البادية بكيان الوطن ، فتتخلص من عزلتها ، وتدمج مواردها البشرية والطبيعية فى موارد مجتمعها الكبير . [١]

---

(١) احمد عسر ، معجزة فوق الرمال ، ص ٥١٢ ، ٥١٣ . الطبعة الثانية .

يعيش فى مناطق البادية فى المملكة العربية السعودية حاليا عدد غير قليل من السكان متنقلين فوق مساحة متسعة من شبه الجزيرة العربية ، وهم فى تنقلهم هذا يتصلون اتصالا محددا بمدن وقرى المملكة حيث يتأثرون بما يشاهدونه من تغير فى الحياة الاجتماعية ، كما ينتفعون بمختلف الخدمات العامة التى تقدمها الدولة حاليا بالاضافة الى الخدمات المباشرة التى تعمل حكومة المملكة على تقديمها وزيادتها والتوسع فيها تدريجيا لتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم .

وسنحاول فى هذا المجال أن نعرض الخطوط الرئيسية لموضوع رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم فى المملكة على ضوء البيانات والمعلومات والاحصاءات المتاحة عن هذا الموضوع .

اولا ـ البداوة فى المملكة العربية السعودية :

يقيم البدو عادة فى المملكة العربية السعودية بصفة مؤقتة أو دائمة بمناطق الوديان ، سواء التى تنبع منها ، أوتجرى فيها المياه . ففى المنطقة الغربية حيث ينبع وادى الرحلة من قرب المدينة المنورة ، وتخترق سهولة نجد ثم ينتهى الى كثبان الدهناء الرملية توجد قبيلة حرب ، كما توجد بعض أفخاذ هذه القبيلة الكثيرة العدد فى وادى الخمس ورضوى وفى المنطقة الشرقية حيث يوجد وادى المياه توجد قبيلة العجمان وفى وادى جيزان ووادى النبق توجد قبيلة بنى بللى ، وفى وادى الدواسر توجد قبيلة الدواسر حيث يرحل أفرادها الى الأفلاج وتحتل مجموعة الوديان التى تنحدر من سلسلة جبال طويق . وفى وادى بيشه توجد قبيلة وادى شهران وفى الجنوب الشرقى من المملكة حيث يوجد وادى الهسباء توجد قبيلة المرة .

وتتوزع الجماعات البدوية عادة على المكان الذى ينبت فيه الكلأ فى أثناء الخريف والشتاء ثم تضطر للرجوع صيفا للواحات حيث تستقر هناك بجوار المياه لشدة الحر ، وتسمى مجموعة الأراضى التى تستقر فيها فى أثناء الصيف بديار القبيلة .

ويكون البدو حوالى ٣٠٪ من سكان المملكة العربية السعودية وتتفاوت نسبتهم من منطقة الى أخرى ، فنسبة البداوة فى منطقة نجد ٥٠٪ ـ (تتفاوت بين ٢٢٪ كما هو فى بيشه ، و ٨٦٪ كما هو فى العسيرة) وتبلغ نسبة البدو فى المناطق الساحلية ٢٠٪ (ومن ٢٤٪ فى المدينة المنورة الى ٢٪ فى جيزان) وتحتل

كل من قبيلتى عجمان والدواسر أكبر مساحة أرضية أو تحتل كل منهما ديارا دائمة تبلغ مساحتها ٣٠٠ كيلومترا مربع . (١)

وتضم القبيلة عادة جماعات داخلية تدعى : البطن ، والفخذ ، والعشيرة والفصيلة والرهط ، وتعتبر القبيلة جماعة متماسكة تتصف بالتضامن ، وبالشعور بروح الجماعة ، ولكل فرد أو مجموعة من الأفراد فيها دور معين تقوم به ، فهى عبارة عن مجموعة من الأفراد المتكاملة . وتتميز بدرجة القرابة العالية وادراك أفرادها لوحدة ماضيهم ، ومصيرهم كذلك تعتبر ملكية الأرض جماعية ، فالأرض عادة ملك لجميع أفراد القبيلة ، وعلى أفراد القبيلة مجتمعين مسئوليات كثيرة اهمها : المحافظة على سلامة الأرض ومواردها من أى اعتداء خارجى ، واستتباب الأمن والنظام بين أفراد القبيلة ، وكذلك المحافظة على التراث الاجتماعى للقبيلة ، وحفظ صفاء نسلها بقدر الامكان .

وللبدوى صفات مميزة عن سكان الحضر ، اهمها : الاخلاص لقبيلته والأمانة والصدق فى القول ، وعدم تقبل الاهانة ، وعدم الخضوع للجير وحرية الكلام ، كما أنه من صفاته الواضحة : الانتقام ، الأخذ بالثأر ، وحب حرية الانتقال من مكان الى اخر ، ويعتز البدوى اعتزازا خاصا بأصله ، ونسبه ، فكثيرا مايحفظ البدوى أصله من أجداده ، ويفتخر به وبأصله .

ثانيا : توطين البدو فى المملكة :

أ ـ توطين البدو فى المملكة قديما :

الواقع أن المملكة العربية السعودية قد سبقت كل الدول العربية الأخرى فى القيام بمشروعات توطين البدو بها وسميت مواطن البدو بالهجر . وانشئت أول هجرة عام ١٩١٢م على أراضى الارطاوية الواقعة على الطريق بين الزلفى والكويت . وقد كان الأساس الأول لتوطين دينى بحت ، وسمى أهلها بالمهاجرين (كما يذكر فؤاد حمزه فى كتابه « قلب جزيرة العرب » ص ٩٣ وصفحات ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، لهجرهم الضلالات القديمة الى حيث يتعلمون دينهم ويتركون بدواتهم الى معيشة دينية هادئة . ولهذا باع البدو ابلهم وأهملوا

(١) من واقع ماذكره المؤتمر التاسع للشئون الاجتماعية والعمل للأمانه العامة لجامعة الدول العربية ـ القدس ١٣٨٥ (١٩٦٥) ص ٣٧٨ .

أمرها وشرعوا فى دراسة الدين فغضب بهم المساجد فأصدر العلماء فتوى شرعية بضرورة الكسب من التجارة والزراعة ، فأقبل أهل الهجر عليها وقد دعوا أنفسهم « الاخوان » دلالة على رفع الفروق من بينهم وصيروتهم اخوانا فى الله بعد أن كانوا بالأمس أعداء ألداء .

وقد بلغ عدد الهجر ١٢٢ هجرة عام ١٣٤٧هـ (١٩٤٨م) وهذه الهجر معسكرات منتشرة فى البادية ولها دور فى الحرب والسياسة .

إذاً فالهجر من حيث الاستقرار تدخل فى نطاق توطين البدو ولكن الهدف منها يختلف فى أوجه كثيرة عن الأهداف الحديثة التى يرمى اليها توطين البدو التى سبقت الاشارة اليها . إنما هى على كل حال مجرد محاولة لتوطين البدو واستقرارهم .

ب ـ المقصود بسياسة الاستيطان :

يقصد بسياسة الاستيطان الخاصة بالعشائر الرحل مجموعة الخطط التى تستهدف تغيير الحياة الاجتماعية لهذه الجماعة ، ونقلها من حالة البداوة والعزلة التى يسودها عدم الاستقرار والتنقل ، الى حالة الاستقرار بالاستيطان فى منطقة جغرافية ، والاندماج مع بقية قطاعات المجتمع ريفية أو فردية أو مدنية .

وهذه الخطط تتطلب برامج معينة ، واجراءات خاصة تتم بها عملية التغيير والتحول الاجتماعى بشكل تدريجى بأقل جهد وأبسط اجراء بحيث يمكن لهذه البرامج أن تسير فى تحقيق أهدافها فى عملية التغيير الاجتماعى دون حدوث مشاكل ، تحول دون تنفيذ الأهداف الرئيسية أثناء سير عمليات التحويل الاجتماعى .

واستنادا الى هذا التعريف سنحاول استخلاص سياسة التوطين فى المملكة العربية السعودية لهذه القبائل الرحل ، والاجراءات المتخذة المباشرة وغير المباشرة التى لها علاقة بالتوطين . ولأجل توضيح المقصود بالتوطين SEDENTARIZATION فان التعريف لابد وأن يتحدد فى نطاق القبائل الرحالة فى المنطقة العربية ، وعلى ذلك لابد وأن يقتصر التعريف على الاجراءات الخاصة والاجتماعية معا ، وذلك بنقلهم من الحالة البدائية التى يسودها عدم الاستقرار بالتنقل المستمر الى حياة فيها الاستقرار ، وعمل منظم يمكن بواسطة هذا الاستقرار تقديم الخدمات العامة الى هذه المجموعة من المجتمع ، كالخدمات

الصحية والتعليمية وجعلهم جزءاً متصلا بالمجتمع وغير منعزل عنه .[1]

لا تعد مسألة توطين البدو وتحضيرهم موضوعا جديدا فى المملكة العربية السعودية ، ففى الامكان التأكيد بأن فى منطقة نجد ـ ذات الظروف الجغرافية والاجتماعية الصعبة ـ بدأت منذ (٤٧) سنة احدى التجارب الأولى فى العالم المعاصر لتوطين الأهالى واستثمار الأراضى .

واذا ما أخترق اليوم المسافة المنطقة التى تقع بين صفرة وسرار ، أو بين عين دارة وعرطوبة ، يقع نظره فى قراها الكبيرة على بيوت ومساكن مبنية ثابتة ، ولو أنها تبدو وقد هجرت بعض الشىء ، ففى هذه المراكز السكنية التى شيدت على وجه السرعة ، سكنت فيها منذ أكثر من (٤٥) سنة عشرات الآلاف من أفخاذ قبائل بنى خالد وعجمان وبنى هجير ومطير وعتيبه وشمر ، كل ذلك يعد دليلا قاطعـــا على ارادة الانسان ورغبته الأكيدة فى وضع حد لحياة البداوة والترحال والتوطن والاستقرار .

ولكن ونحن فى صدد مرحلة هامة من مراحل تطور البدو الاقتصادى فى المملكة يجدر بنا أولا مناقشة الأسئلة الآتية :

١ ـ هل يحسن العمل فورا على توطين البدو فى المملكة .. أو يكون ذلك تدريجيا كمرحلة من مراحل التطور الحضارى ؟

٣ ـ ما هو العمل الذى يمكن أن يقوموا به عند التوطين ؟ .

٣ ـ هل التوطين معناه تقدم اقتصادى واجتماعى للبدو ؟.

وللاجابة على ذلك تجدر الاشارة الى أنه يوجد كثيرا من الآراء المتضاربة فى هذا الموضوع ، فبينما يرى البعض التوطين السريع ، ويرى الآخرون أن يكون هذا العمل تطوعا وتدريجيا ، أى بعد اقتناع البدو بأهمية التوطين لهم ، وقيامهم بذلك مختارين ، ولا يمكن أن يأتى ذلك الا باقتناعهم بأن موارد أخرى عن طريق التوطين تساعدهم على الحصول على دخول أوفر .

ومن الواضح أن عدم انتظام سقوط الأمطار فى مواسمها يؤثر تأثيرا واضحا على المرعى .. ففى مواسم كثيرة يكون سقوط الأمطار شحيحا جدا مما يسبب نقصا واضحا فى الانتاج وهزات كبيرة لاقتصاديات البدو ويجعلهم يتطلعون الى حياة أكثر استقرارا من الناحية الاقتصادية ، كما أن استخدام السيارات كوسائل

---

(١) رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم ، الجزء الثانى ، ص ١١١ ، ١١٢ .

للتنقل قلل كثيرا من أهمية الجمال كأداة للتنقل . كما أن الحكومة السعودية تقوم بتحضير الكثير من وظائف القبيلة ، فالأمن والنظام أصبح من أهم واجبات سلطة الدولـة ، كل ذلك أنقص من كيان القبيلـة كوحدة سياسية اقتصادية متماسكة ومتكاملة .

ويتضح من ذلك أنه لابد من توطين البدو .. ولكن يشعرون هم أنفسهم بالحاجة الى التوطين .. إلا أن التوطين يجب أن يكـون تدريجيا ، وعلى أسس مدروسة تكفل الابقاء على التضامن وعلى الشعور بروح الجماعة وعلى الاحتفاظ بصفات البدوى الحضارية التى احتفظ بها على مر الزمن : كتصوراته الخاصة بالنسبة للعرض والشرف ودور المرأة فى حياته والكرم والنخوة ، وتسلسل السلطة فى القبيلة ، كذلك يجب مراعاة الأعمال التى يجيدها والتى تعود عليها ، وتفادى الاعمال التى يأنف منها أو التى لا يأنفها ويعتقد أن ـ ممارستهـا عيب مثل العمل اليدوى : كالصناعات اليدوية والميكانيكية ان هذا العمل يحتاج الى فترة من الاقناع والتعليم حتى يتعود عليه ويألفه .

جـ ـ الصعوبات التى تواجه عمليات التوطين :

أن الترحال من طبائع البدو ، فرضتها عليهم ظروف الحياة فى الصحراء ، واضطروا اليها اضطرارا تحت ضغط العوامل الآتية :

١ ـ عدم توفر الماء والعشب فى المناطق التى يعيشون بها على مدار السنة ، مما يدفعهم الى السعى وراءها حيثما وجدت ، وهذا يترتب عليه انتشارهـم فى الصحراء قسرا عنهم ، ودون أن يستطيعـوا التجمع فى أماكـن ثابتة يسهـل الوصول اليها لتقديم الخدمات اللازمة لهم .

٢ ـ أن النظام التقليدى المتوارث لحياة البدوى فى الصحراء ، وحبه لها واعتزازه بالحرية الـطليقة ، جعلته يتنقل فى أرجائهـا حيثما شاء ، بلا قيود ولا حدود ، فالبدوى معروف بكرهه التقليدى للأعمال اليدوية والحياة المـدنية التى تقيده بقيود تتنافى مع عاداته وتقاليده .

٣ ـ أن تفشى الأمية ، وانتشار الجهل ، وانعدام الاتصال الثقافى فى حياته وخبراته المحدودة ضربت حوله ستارا من العزلـة ، وأضعفت ثقته فى المجتمع القومى الذى ينتمى اليه .

٤ - ان التقاليد المتوارثة عند البدوى تمنعه من التزاوج من خارج القبيلة وهو يشعر بأن استقراره فى بقعة بعينها يتيح له هذا التزاوج وايجاد علاقة بينه وبين المجتمع فينفر من هذا الاستقرار ، ويخاف من النتائج المترتبة عليه .

٥ - عدم سرعة الاستجابة عند البدو للتغيرات المطلوبة بسبب وقوف العادات والتقاليد حجر عثرة فى سبيل تنفيذ علميات التوطين .

٦ - قلة اقبال البدو على الأعمال اليدوية ، أو التدريب على الأعمال الفنية فى المصانع والشركات ، بالاضافة الى عدم اهتمامه بتوفير مسوغات التعيين .

٧ - عدم إقبال الموظفين والفنيين على العمل بالصحراء لقسوة الظروف والأحوال المعيشية التى يجدون أنفسهم وعائلاتهم فيها دون أن يسبق لهم التعود عليها .

٨ - عدم كفاية الموارد الطبيعية فى بعض الأماكن بالقدر الذى يحقق توفير موارد العيش الثابتة لتوطين البدو .

د - ما تهدفه الحكومة من وراء التوطين :

تهتم الحكومات العربية التى تشغل الصحراء جزءاً من أراضيها بتوطين البدو واستقرارهم ، وتهدف الحكومات من وراء هذا التوطين الى :

١ - تفتيت العصبية القبلية .

٢ - تحويل ولاء أفراد القبيلة الى الوطن عامة وتقوية روح المواطنة عند أفراد القبيلة .

٣ - زيادة الانتاج القومى .

٤ - القضاء على الروح القبلية التى تعوق التطور الاجتماعى والانماء الاقتصادى لأن القبلية تميل للحفاظ على القديم .

٥ - تسهيل عمليات تقديم الخدمات العامة من صحية وتعليمية ومحو أمية .. الخ حتى يمكن النهوض بهم اجتماعيا واقتصاديا .

وتجدر الاشارة أن الالزام والقسر لن يفيد البدوى المستوطن ولن يزيد من الانتاج القومى ولن ينتج عنه خلق روح المواطنة عند هؤلاء البدو وذلك لأن البدوى الذى ينزع من بيئته وديرته الصحراوية فجأة بين يوم وليلة الى بيئة زراعية لم يعتد عليها سيضر بصحته ويسبب له آلاما نفسية وفى الوقت ذاته

اشتغاله بحرفة لا يجيدها سيضعف انتاجه الزراعى الى الحد الذى لا يكفى معاشه ، ومثل هذا الانتاج لن يزيد من الانتاج القومى فى شيء ، وهناك نقطة أخرى كبيرة الأهمية ، وهو أن تجميع البدو فى القرى ، وعندئذ سيقوم بينهما حاجز .. وتواجد هؤلاء البدو كمجموعة مستقلة بذاتها يساعدهم ولا شك على الاحتفاظ بتقاليدهم . وبذلك لن تتحقق الأهداف التى قصدت اليها الحكومات من وراء توطين البدوى .

المحاولات الحديثة لتوطين البدو وبطريقة مباشرة :

استمرت الدولة فى اقامة الهجر الجديدة على أساس اشتغال البدو فى الزراعة وربطهم بالأرض وقد كانت المنطقة الشرقية والمنطقة الشمالية مسرحا لتوطين البدو .

١ ـ المنطقة الشرقية :

أ ـ مشروع حرض :

يعتبر هذا المشروع من المشاريع الهامة فى توطين جزء كبير من البدو فى المملكة عن طريق تعليم البدو حياة الاستقرار والزراعة ، وتوطينهم واستغلال طاقاتهم لتهيئة فرص العمل الجديد أمامهم ، لرفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى ، واستثمار الامكانيات الطبيعية المختلفة فى منطقة المشروع وتنميتها وتطويرها لتصبح قوى انتاجية مجزية ، وتمكين المملكة فى مواجهة نمو سكانها ، والاسهام فى تنفيذ برنامج للوصول الى الاكتفاء الذاتى فى حقل المواد الغذائية ، بالاضافة الى الافادة من هذا المشروع لتدريب العدد اللازم من الفنيين السعوديين على أعمال الارشاد الزراعى ليكونوا الادارة المقبلة الفعالة فى نقل تجارب الدراسات ونتائجها الى المزارع ، والقيام بالأبحاث الزراعية المختلفة والافادة من نتائجها لتطبيقها فى المنطقة .

وتقع المنطقة المقترحة لتنفيذ المشروع فى وادى السهباء قرب محطة حرض للسكة الحديدية والتى تقع على مسافة ٣٦ كيلومتراً طولاً و ١,٥ كيلومتر عرضاً .

وعلى ضوء الامكانيات المخصصة للمشروع يبدأ باستصلاح ٤٠,٠٠٠ دونم من أراضى الوادى لتستوعب هذه المنطقة ١٥,٠٠٠ نسمة ، يؤلفون أكثر من ألفى عائلة ، ليتم توزيع هذه الأراضى على البدو الراغبين فى الاستيطان وأن

تخصص قطعة من الأرض مساحتها ٢٠ دونم لكل عائلة مستوطنة ، على أن تزود كل قطعة من هذه الأرض بما يلزمها من ماء عن طريق شبكة مركزية قوامها ٥٠ بئرا ارتوازية وعادية متصلة بشبكة من القنوات تضمن تزويد كل مزارع بحاجته من الماء ، على أن تقوم وزارة الزراعة بتقديم الخدمات اللازمة لمكافحة الآفات الزراعية .

ب - مشروع وادى جبرين :

بالاضافة الى مشروع وادى حرض ، تجرى الآن دراسات وأبحاث لاقامة مشروع مماثل ، ولكن على نطاق أوسع فى واحة جبرين ، التى تقع جنوب منطقة حرض . وقد دلت الأبحاث الأولية أن فى وادى جبرين منطقة تبلغ مساحتها زهاء ١٠٠,٠٠٠ دونم قابلة للاستصلاح الزراعى ، ولذلك فان الدراسات الحالية منصبة على تقدير مدى توفر المياه وصلاحيتها للزراعة فى هذه المساحة الكبيرة نسبيا .

وبما أن تنفيذ هذا المشروع يحتاج الى دراسات فنية وهندسية واسعة قبل البدء بعمليات الاستصلاح للاراضى وتوطين البدو ، فقد تقرر أن يتم تنفيذ المشروع على مراحل ، وأن تكون المرحلة الأولى مرحلة دراسات وأبحاث فنية مختلفة ، وأن تكون المرحلة الثانية مرحلة استصلاح للأراضى الزراعية بمعدل ٥٠٠٠ دونم فى السنة الأولى ، ثم يعقب ذلك استصلاح مساحة قدرها ٧٠٠٠ دونم سنويا ، الى أن يتم استصلاح ٤٠,٠٠٠ دونم وقد انجزت عدة مشاريع من مشاريع المرحلة الأولى ، من بينها انشاء مزرعة للتجارب ، وحفر بئرين ارتوازيين ركبت عليها المضخات اللازمة وزراعة صفين من مصدات الرياح حول الزارع ، وزراعة الأرض بالمحاصيل المنمية للتربة لأول مرة ، وقد عهد الى شركة استشارية ذات خبرة عالمية بمهمة اجراء بعض الدراسات الفنية . وتشمل تحليل التربة وتصنيفها وتحديد المساحة الاجمالية للاراضى القابلة للزراعة فى المشروع ووضع خرائط طوبغرافية دقيقة للمنطقة تساعد على تصميم شبكتى الرى والصرف ، وتقسيم المنطقة الى مزارع تتراوح مساحة الواحدة منها بين ٣٠ الى ٤٠ دونم ووضع مخطط عام يتمشى مع أهداف المشروع الرئيسية .

٢ ـ المنطقة الشمالية :

لقد عملت الدولـة على استصلاح الأراضى فى وادى السرحان وتبوك وأسكنت البدو فى قرى أو هجر .

وقد دفع الدولة الى توطين البدو فى هاتين المنطقتين استغلال الجفاف فى هذه المنطقة وقسوة الحياة التى عاناها البدو خلال فترة الجفاف ونقص عدد ابلهم الذين فقدوا حوالى ٩٠٪ من ثروتهم الحيوانية .

وكان من الطبيعى بعد هذا الجفاف أن أصبح البدو أداة طيعة فى يد الحكومة التى أغدقت عليهم بما يشجعهم على التوطين والاستقرار فزودت مضخة آلية لكل ٣٥ مزارع حتى بلغ عدد المضخات ٦٢٦ مضخة عام ١٩٦٦ . وقررت الحكومة كذلك دفع مكافأة شهرية قدرها ١٠٠ ريال لكل مزارع يقوم بتشغيل المضخة والمحافظة عليها ، ووزعت وزارة الزراعة الوقود اللازم لهذه المضخات مجانا .

لم ينجح هذا التوطين تماما لأن الدولة كانت على عجلة من أمرها فوطنت هؤلاء البدو قبل أن تدرس مدى صلاحية التربة للزراعة ، إذ بعد أن تم التوطين أضطرت الى اغلاق تسع هجر ونقل سكانها الى هجر جديدة لأن المنطقة السابقة لا تصلح تربتها للانتاج الزراعى وكذلك المياة كانت نسبة الملوحة بها عالية .

كما أن جهـاز الدولـة لم تكـن لديه الخبرة الكـافية فى التخطيط وتنفيذ مشروعات تنمية البادية ، عندما بدأ تنفيذ مشروع وادى سرحان ، ولذلك فقد ركز على الزراعة وحدها ، دون العناية بتربية الماشية رغم أن الذين ينفذون المشروع لخدمتهم هم من الرعاة فى الأصل والمنشأ .

من هذا يرى الباحث أن التوطين كان مرتجلا ولم يكن على أساس خطة مرسومة ، وانما كان التوطين التقاء رغبتين ، رغبة من الحكومة ورغبة البدو نجمت عن سؤ أحوالهم المعيشية بعد فترة الجفاف .

٣ ـ التوطين غير المباشر :

نقصد بالتوطين غير المباشر ، أن التوطين قد تم بغير تدخل الحكومة أو الزام منها ، وهذا أنجح أنواع توطين البدو .

لقد تم هذا التوطين غير المباشر بعد أن مدت شركـات البترول أنبوب

« التابلاين » التى تخترق شمال المملكة ، ثم حفرت آبار على طول الطريق .

لقد توطن البدو حول هذه الآبار بمحض رغبتهم وفى الوقت ذاته ظلوا على حالهم ونمط حياتهم القديمة وهو تربية الحيوان ، وقد تم هذا التوطين غير المباشر بعد بناء الطرق وحفر الأبار بالقرب منها .

مجالات التوطين فى المملكة العربية السعودية

نستطيع تقسيم المجالات التى من الممكن التوطين بواسطتها ، والتى يمكن أن يقوم البدوى بها بعد التوطين والموجودة حاليا فى المملكة العربية السعودية ، يمكن استعراضها بايجاز فى الآتى :

١ ـ المجال الزراعى :

يكون ذلك بتخصيص أراضى تتوافر فيها شروط وامكانيات الزراعة لكل أسرة يراد توطينها على أن يراعى فى تقسيم هذه الأراضى منطقة تجوال كل عشيرة منعا للمصادمات القبلية ، ولما كان البدو لم يألفوا الزراعة بعد فمن الضرورى القيام بانشاء مراكز حكومية تكون قريبة من مواطن البدو كخطوة أولى لجذبهم الى هذا المجال من العيش .

أن أهم مشكلة فى الصحراء هى ندرة المياه ، فعلى القائمين بالتوطين معرفة مصادر المياه وتنظيمها ، لاستخدامها فى الأغراض الزراعية ، عن طريق حفر الآبار الارتوازية ، وانشاء السدود لخزن مياه الوديان والحيلولة دون تسربها .

وتبلغ مساحة أراضى الرعى فى المملكة (٩٠) مليون هكتار ، فى حين أن الأراضى الزراعية تبلغ (٣٠٠,٠٠٠) هكتار ، ومن الممكن انشاء قرى جديدة حول منابع المياه ، واستصلاح مساحات أخرى من الأراضى الزراعية .

إن ذلك سيساعد على استيطان البادية ، وسيساعد مساعدة كبيرة فى زيادة الدخل القومى من الزراعة ، والاستغناء عن كثير من الانتاج الزراعى المستورد .

٢ ـ المجال الصناعى :

أن بعض المشاريع الصناعية وخاصة صناعة النفط اجتذبت قسما كبيرا من بدو الصحراء للعمل فيها نظرا لوجود هذه المشاريع فى قلب مواطن البادية

فساعدت هذه المشروعات على توطين البدو ورفع مستوى معيشتهم ، ونستطيع كذلك انشاء صناعات فى مواطن البادية نفسها من التى تتوافر خدماتها ومواردها الأولية فى الصحراء للعمل على اجتذاب البدو للعمل فيها وبذلك نستطيع توفير مجال الاستقرار لهم .

إن أهم صناعة فى المملكة والتى توجد على نطاق واسع هى صناعة البترول ، وقد درب بعض البدو فعلا على صناعة البترول ، وهم يعملون فى هذه الصناعة بكل كفاءة ومهارة ، كما أن من المحتمل مع التطور الاقتصادى السريع فى المملكة تشغيل أعداد كبيرة منهم فى الصناعات الجديدة والتى بدأت من سنوات قليلة والصناعات المزمع انشاؤها قريبا مثل : الأسمنت ، الحديد ، الصلب ، المعلبات ، مشتقات البترول ، الجلود ، النسيج ، غزل الصوف ، السجاد ، التمور ، والمياه الغازية مما يمهد الطريق لتشغيل أعداد أخرى كبيرة من شباب البادية .

٣ ـ المجال الرعوى :

إن أهم ما يسعى اليه البدوى فى تجواله هو الحصول على الكلأ والعشب وعليه فاننا نستطيع استغلال هذا الحافز على طريق انشاء مراع معينة فى المناطق الصحراوية التى تتوافر فيها موارد المياه لجعلها مستقرا لأهل البادية بعد تعويدهم على تربية أصناف مختلفة من الحيوانات ، بالاضافة الى التى ألفوا تربيتها مما يؤدى الى رفع مستوى معيشة البدو وشعورهم بالاستقرار خاصة إذا علمنا أن حرفة الرعى وتربية الحيوانات أصبحت تجارة رابحة تسمح بانشاء مصانع لتصنيع المنتجات كمصانع : تعليب اللحوم ، صناعة الألبان ، والجلود ، والاصواف .. الخ .

ويمكن الاستفادة من خبرة البدوى فى هذا المجال ، وتطور تربية الأغنام والأبقار والدواجن والأرانب على نطاق علمى سليم ، ومن السهل أن تكون المملكة فى القريب العاجل من أهم الدول المصدرة للحوم الطازجة والمعبأة ، وخصوصا أنه يوجد احتياج لها فى البلدان العربية المجاورة .

٤ ـ الصناعات اليدوية والزراعية :

لاشك أنه مع التقدم الحضارى للمملكة تزداد الحاجة لانتاج هذه

الصناعـات مثل : السجاد والمنسوجات القطنية والصوفية والاحذية ومنتجات الألبان وغيرها ، فلو أمكن تغيير اتجاه البدوى بالنسبة لهذا النوع من العمل ، وتدريبه عليه ، لكـــان هذا مجالا حيويا لتشغيلــه ولمساهمته فى النهـــوض باقتصاديات البلاد .

ونقطة أخيرة ، يجب العمل جنبا الى جنب مع توطين البدو على اختيار الصالح من الأرض الزراعية والمجاورة لمنابع المياه لاستغلالها استغلال كثيفا يعـرض على الدولـة المساحات الأخرى من الصحارى التى ستصبح عديمة الانتاج بعد توطين البدو ـ كما يجب أن تسير المشروعات الاجتماعية والصحية والعمرانية والتعليمية جنبا الى جنب مع مشاريع التوطين مع توفير الوسائل التى تساعد البدو على الاحتفاظ بصفاتهم الحضارية الأصيلة ، وبذلك تضمن أن توطين البدوى سيعمل على السير به الى الأمام اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا .

أثر اكتشاف البترول فى حياة البدو

يمكن القول هنا أنه كان لاكتشاف البترول الأثر الملموس فى انتعـاش أوضاع البلاد بصفة عامة ، وانعكاس آثاره المباشرة على المواطنين البدو بصفة خاصة ، حيث ساعد على توفير فرص العمل بالنسبة لكل من له رغبة منهم فقيام الصناعات البترولية يوجد بيئة جديدة متحضرة ، تقوم على ما تقيمه هذه الشركات من مجتمعات حديثة متحضرة ، تجعـل البدو يتصلـون بالحضارات الآلية الحديثة وتتوثق معرفتهم بحياة المدن الحديثة ،وصاروا يقارنون بين جفاف الحياة فى البادية ونعم الحياة فى الحضارة ، فلم تعد البادية محل طمأنينتهـم النفسية والمادية ، بل أخذوا يتطلعون الى المجتمعات والبيئات المستحدثة كأملهم فى اشباع حاجاتهم الجديدة .

وقد استخدمت شركات البترول الموجودة فى البلاد العربية عددا من البدو فى أعمالهم ، وهيأت بعض هذه الشركات لهم البيوت ، والمستوصفات وأدخلت فى حياتهم أساليب الحياة العصرية . ومن علامات التغير مايلى :

١ ـ البدوى بطبعــه ميال الى حياة الحرية والانطلاق ويكـــره السيطرة والتحكم ، ولكنه بعد ما بدأ يتجه للعمل مع الشركات صار لزاما عليه ان يتخلى عن هذه الروح ، وينصاع لما تفرضه طبيعة العمل من تعليمات ونظم .

٢ ـ وبحكم اختلاطه مع الأجانب الوافدين للعمل ، أصبحوا يتخلون عن الكثير من تقاليدهم الموروثة ، وبدأوا يتحررون من تلك الضوابط الاجتماعية التى فرضتها عليهم البيئة .

٣ ـ كان لاشتغال عدد كبير من المواطنين البدو مع شركات البترول نتائج أثرت تأثيرا مباشرا على أوضاعهم المعيشية ، وجعلهم ينعمون بمختلف أنواع الرفاهية فى المأكل والملبس والمسكن ، نظرا لتحسن الاحوال المادية التى طرأت عليهم بحكم حصولهم على أجور مرتفعة .

٤ ـ بحكم اختلاط العامل البدوى مع غيره من العمال الذين هم اكثر منه وعيا ، استطاع أن يعرف ماله من حقوق على رب العمل ، وما عليه من واجبات ، كما اكتسب بعضهم نوعا من الخبرات الفنية .

٥ ـ بحكم انتقال أغلب البدو الى العيش بجوار المدن لتوفر فرص العمل لهم بدأوا يتجهون الى المحاكم لفض مايحدث بينهم من مشاكل واصبحوا يشعرون بحماية القانون اكثر من حماية القبيلة والعرف .

٦ ـ كان البدو لايعرف السيارة واصبح الان يستعملها فى حلة وترحالة بدل الجمل الذى كان وسيلته الوحيدة وواسطته المفضلة .

٧ ـ الاتجاه الى الاستعانة بالالات الحديثة فى الزراعة ، كالحرث بواسطة (التراكتورات) حيث يقوم أفراد القبيلة مجتمعين بتأجيرها عندما تهطل الأمطار بالاودية خاصة ، كما تستعمل المحركات والمضخات لسحب المياه .

٨ ـ انتشار استعمال أجهزة الراديو مما ساعد على توعيتهم وجعلهم يلمون بكثير من الامور التى كانوا يجهلونها ، وغيرها من مظاهر التقدم الاخرى التى اخذت تتتابع يوما بعد اخر .

وهكذا أصبح البترول حافزا كبيرا فى التحول السريع الذى طرأ على حياة كثير من البدو من الرعى والترحل ، الى الاستقرار والتوطن .

التخطيط العلمى لتوطين البدو

هناك خطوات رئيسية يمكن اتخاذها عند القيام بعمليات التوطين :

المرحلة الاولى : مرحلة الدراسات والابحاث الجيولوجية ، والمائية والتربة ، لاختيار أنسب الأماكن لاقامة مجتمعات التوطين فى شتى انحاء البادية .

المرحلة الثانية : مرحلة الدراسات والبحوث الاجتماعية لاختيار انسب البدو الذين يتقبلون حياة الاستقرار الزراعى ، والذين يتمتعون بخصائص تجعلهم قادرين وراغبين فى الاستيطان ، وتقبل علاقات اجتماعية جديدة .

المرحلة الثالثة : مرحلة التخطيط المتكامل للمجتمعات الاستيطانية ـ الجديدة على أن يتضمن التخطيط الجوانب التالية :

ا ـ بث الدعوة بين البدو والصالحين للتوطين وتمهيدهم للحياة الجديدة .

ب ـ البرامج والمشروعات الزراعية .

جـ ـ التنظيم الاجتماعى الملائم .

د ـ برامج الخدمات التعليمية ، والثقافية ، والصحية .

هـ ـ برامج المواصلات ، وتعبيد الطرق .

و ـ برامج اعداد حاصلات البادية للتسويق .

ز ـ محو الأمية للكبار والصغار .

المرحلة الرابعة : مرحلة التنفيذ ، وتصاحبها مرحلة تكييف البدو اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا للاوضاع الجديدة .

المرحلة الخامسة : مرحلة التقييم الفترى ، بمعنى أن تجارب التوطين لابد ان تتم على فترات تضمن تلافى الأخطاء ، والتغلب على الصعوبات والمشاكل قبل استفحالها وقبل أن تقف حجر عثرة فى طريق نجاح هذه التجارب .

المرحلة السادسة : مرحلة التوسع أو التعميم ، فحين تثبت صلاحية التجارب فانه يمكن بعد ذلك وضع مخططات التوسع فيها ، أو تعميمها فى انحاء اخرى فى البادية .

مشروعات وجهود الدولة
لتنمية البادية والمجتمعات البدوية فى المملكة العربية السعودية

تنمية البادية :

بدأت المملكة منذ وقت طويل فى ادراك مسئولية الدولة بالنسبة للبادية وتبين انه من الطبيعى ان تكون عمليات التنمية للبادية مختلفة فى طبيعتها وجوهرها عن عمليات التنمية للمجتمعات المحلية المستقرة التى اندمجت فعلا فى الوطن .

وفى ضوء ما أدركته الدولة من ضخامة حجم موضوع البادية ورعايتها وتنميتها والجوانب المتعددة لهذا الموضوع ، كان من الضرورى أن توضع مجموعة من المبادىء الأساسية التى تسير عليها الجهود التى تبذل فى هذا المجال .

وان كانت هذه المبادىء فى مجموعها نظرة فلسفية الى هذا الموضوع المتشعب وتنظر الى ظاهرة البداوة ، لا على أنها مجرد مشكلة سطحية تعالج بسذاجة وبأسلوب لايتفق مع وزنها الحقيقى ، بل هذه المبادىء تعتبر ظاهرة البداوة موضوعا حيويا يتصل اتصالات مباشرة وعميقا بصميم الكيان القومى لكل بلد عربى .

لهذا لايمكن ان يتناولها البحث على اساس مجرد تصفيتها عن طريق التوطين أو التهجير أو نقل البدو الى مجتمعات كبرى تمتصهم وتنهى مشكلتهم ، بل يجب أن تبحث ببصيرة متعمقة قادرة على أن تحلل ، وتصل الى أغوار الظاهرة ، فتعالجها فى ضوء مايقتضيه التماسك والولاء للكيان القومى نفسه ، فاذا تبين أن مصلحة الكيان تقتضى تصفية ظاهرة البداوة فان الحلول التى تتخذ فى ذلك يمكن ان تقوم اساسا على عمليات التحضير والتوطين الجديد للبدو فى قرى ومدن كبيرة تذيبهم فى تركيبها الاجتماعى ، وتغير بسرعة او ببطء جميع الخصائص البدوية التى توارثوها جيلا بعد جيل والتى بحق المنبع الأصيل والوحيد المتبقى للحضارة العربية بادابها وتقاليدها وعراقتها التى لم يسخها بعد الامتصاص الحضارى الذى حدث فى بعض انحاء الامة العربية عندما تعرضت بقوة وبعنف للحضارة الغربية فأخذت عنها لا الجوانب الطيبة فحسب بل والجوانب الضارة الهدامة لكثير من القيم والتقاليد العربية الصالحة .

أما اذا اتضح أن المصلحة القومية فى كل بلد عربى تتطلب الحفاظ على ظاهرة البداوة كآخر معقل من معاقل الحضارة العربية ، فان البحث لابد أن يتناول الموضوع فى اتجاه يخالف اتجاه التصفية ، فتعالج ظاهـرة البداوة على اساس ادماج المجتمعات البدوية فى المجتمع القومى واشراكها فى سائر انشطته وتمكينها من المساهمة بقوة وفاعلية فى برامج التنمية القومية بشقيها الاجتماعى والاقتصادى .

فاذا أخذنا بالمبدأ الاول ، وهو تصفية الظاهرة البدوية وتهجير البدو كأفراد أو جماعات فقدت مقومات الحياة ليعيشوا فى أجواء اجتماعية لم يألفوها وربما بوعى أو بدون وعى يستنكرونها ، فاننا بذلك نكون قد فقدناهم (على الأقل الأجيال الحاضرة منهم) كمواطنين سعداء يعتزون بما هم عليه من خصائص وقيم آمنوا بها على مر الزمن ، وحولناهم الى مواطنين تزعزعت ثقتهم بأنفسهم وأصبحوا عالة على المجتمع مما يعوق تكيفهم الحضارى الجديد . بل وقد يؤدى بهم الى المقاومة النفسية لعمليات التكيف الجديد .

وفى هذه الحالة قد يصبحون عناصر اضطراب ومشكلات اجتماعية بدلا من ان يكونوا عناصر قوة وفاعلية فى المجتمعات الجديدة التى ينزعون اليها .

أما اذا أخذنا بالمبدأ الثانى فان الأمر يختلف ، فان البدو لن ينظر اليه الا على اساس انه مواطن يعتمد عليه وطنه ويثق فى قدراته وامكانياته وأن بلده الكبير يريد أن يعاونه كما يعاون سائر المواطنين لكى يمكنه من ان يؤدى الى المزيد من الانتاج والمزيد من الجهد الصالح لمصلحة وطنه .

لذلك فان المملكة تدعو الى الأخذ بالمبدأ الثانى ، وفيما يلى المبادىء التى تدعوة الدولة أن يسير منهج البحث فى اطار المبادىء التى تكون فى مجموعها فلسفة العمل فى شئون البادية :

١ ـ تنمية وتعمير البادية ، لاتهجير أو تحضير البدو :

التنمية أصبحت فى مفهومها العريض الـواسع عملية بناء للقوة الـذاتية للمجتمعات بحيث تصبح قادرة على النمو ، والنهوض التلقائى دون عون كبير .

فالتنمية أصبحت مصطلحا يشير الى الاهتمام بالانسان كطاقة مبدعـة ، وقادرة أودعها الله سبحانه وتعالى ، استعدادات وقدرات بناءة تستطيع أن تغير وجه الحياة ، فاذا ما نالت التوجيه والرعاية السليمة انطلقت هذه الاستعدادات

والقدرات وأصبحت قادرة على صنع التقدم .

كما تعنى التنمية أيضا بالموارد الطبيعية ، فتبحث عنها وتكتشفهـا وتقدر امكانياتها ، وتنظم الناس لينموهـا ويحسنوا الاستفادة منهـا ، والتنمية كذلك عملية لا تنتهى ، فهى مستمرة باستمرار الحياة نفسها ، وهى تفتح أفقا بعد آخر ، وتضفى على المجتمع الانسانى نوعا من الفاعلية يجعله جوا اجتماعيا صالحا لتنشئة الأجيال وتدريبها على فنون المواطنة الصالحة ، ومن ثم تزداد باستمرار طاقات المجتمع على النهوض والارتقاء .

والتنمية لا تعنى بجانب من حياة المجتمع دون آخر ، بل هى تنظر الى المجتمع من جميع انشطة الحياة فيه ، فهى نظرة كلية مترابطة تؤمن للبادية والبدو وحاضرا يحترم كيانهم ويستثير طاقاتهـم ، كما تؤمن مستقبلا مملـوءا بالأمل والطموح .

٢ ـ اندماج مشروعات وبرامج تنمية البادية فى خطط التنمية القومية :

ان انعاش البادية لا يجوز أن يأخذ وضعا ثانويا مادمنا قد أكدنا أهميتها فى الكيان القومى ، وحق المـواطنين البدو فى أن يصبحوا مواطنين مساهمين فى النهوض الشامل لأوطانهم ، كما أن مشروعـات وبرامج انعـاش البادية لابد بالضرورة أن يكون متشعبة الجوانب بالشكل الذى يستدعى أن تلقى الاهتمام الكافى من أجهزة الدولة الفنية فى قطاعات الزراعة والتجارة والصناعة والشئون الاجتماعية والمواصلات وغيرها .

٣ ـ أن تسبق الـدراسات الواسعـة لشئون البادية والبدو وعمليات تخطيط المشروعات والبرامج :

وذلك بأن تبذل الدولة كافة ما تستطيع من جهود لاجراء بحوث ودراسات واسعة للموارد الطبيعية فى البادية وامكانيات استغلالها وتطويرها وكذلك اجراء البحوث والـدراسات الاجتماعية والحضارية للمجتمعـات البدوية لأن عمليات تنمية وانعاش البادية لابد أن تستند على حقائق دقيقة والا تعرضت برامجها ومشروعاتها للفشل والضياع .

كما أن التنمية والانعاش لابد أن تقوم على أنواع جديدة من العلاقات والقيم الاجتماعية الجديدة التى تأخذ فى اعتبارها الأوضاع الاجتماعية البدوية القائمة وذلك حتى لا تتضارب معها ، وتستنفذ فى ذلك الكثير من الجهود التى يجب أن تكرس لعملية الانعاش نفسها .

٤ ـ التجريب قبل التعميم :

ان مشروعات الانعاش يجب أن تمر أولا بمراحل تجريبية قبل تعميمها أو التوسع فيها حتى يمكن تدارك عيوب تطبيقية قد تسىء الى عملية تنمية البادية كلها ، أو قد تؤدى الى اشاعة جو من اليأس فى نفوس البدو وفى نفوس العاملين معهم .

فتنمية البادية عملية كبيرة ضخمة تدعو الى الحرص فى تقرير ما يجب عمله من مشروعات وبرامج ، والاسراع أو التسرع فى اجراء المشروعات على مستوى التعميم قبل التأكد من صلاحيتها على مستوى التجريب أمر لا يحسن الأخذ به فضلا عن الصعوبات الفنية والتكنولوجية التى تواجه تنمية البادية تحتم اجراء التجارب والبحوث الكافية للتغلب عليها والتأكد من سلامة الطرق والوسائل التى تستخدم فى ذلك قبل تطبيقها على نطاق واسع .

٥ ـ توفير العاملين فى تنمية البادية بالاعداد والمستويات الكافية :

والعمل فى التنمية يتطلب نوعا من العاملين يختلف عن غيره من حيث مقوماته الفنية والنفسية وفى مدركاته لتداخل عوامل كثيرة ، اقتصادية واجتماعية وبيئية وثقافية فى عمليات التنمية .

ولذلك فعند وضع أية خطة قومية شاملة لتنمية البادية ، لابد ومن الضرورى أن تتضمن فى مخططاتها موضوع توفير واعداد الفنيين وانشاء معاهد أو مراكز لتدريبهم ، واكسابهم الخصائص اللازمة للعمل فى البادية .

٦ ـ لا مركزية فى التنفيذ :

ولما كانت البادية مترامية الأطراف ، واتصالاتها بالأجهزة المركزية ليست مهيأة بالدرجة التى تسمح لتلك الأجهزة بالاستجابة الفورية لمطالب العمل فى التنمية ، فانه يحسن أو يوضع تنظيم ادارى لمشروعات وبرامج البادية يكفل توفير أجهزة محلية مزودة بالامكانيات اللازمة لتتولى مهام التنمية ، وأن تعطى من الصلاحيات ما يمكنها من الاستجابة الفعالة المباشرة لتطورات العمل فى تنمية البادية دون الرجوع باستمرار للأجهزة المركزية الا فيما يرتبط بشئون التخطيط أو رسم السياسة العامة أو استقدام الخبراء أو ادارة الأعمال وتأمين متطلباتها المادية ، والاشراف عليها ، فيفضل أن تقوم بها أجهزة اقليمية أو محلية معدة اعدادا كافيا لتتولى هذه المسئوليات .

٧ ـ اشتراك البدو فى التنفيذ والاشراف :

ان مشروعات وبرامج تنمية البادية لابد أن تسمح فى تخطيطها باشتراك البدو ممثلين بقادتهم ومندوبيهم فى متابعة التنفيذ ، والاشراف عليه وابداء الآراء والملاحظات والمقترحات ، ولكن ذلك كله لابد أن يكون فى المراحل والمستويات التى تراها الأجهزة التخطيطية مناسبة لاشتراك البدو .

طرق وأساليب تنمية البادية

هناك عدة طرق لتنمية البادية اتبعتها الكثير من الدول ، ويمكن أن نتعرض بالتحليل لهذه الطرق حتى تتضح لنا الصورة التى يجب الأخذ بها عند عملية التمية للبادية . ومن أهم هذه الطرق :

١ ـ التوطين :

لابد أن ينظر الى التوطين فى وقتنا الحاضر على أنه تعمير للصحارى العربية لا تفريغ لها من قاطنيها البدو . فالتوطين لا يجب أن ينظر اليه على أنه ترحيل للبدو الى أماكن بعيدة عن مواطنهم الأصلية ، حيث تتوفر ظروف للحياة أكثر يسرا ورفاهية ، وانما لابد أن يكون التوطين هو عملية توفير عناصر الاستقرار والاستغلال الاقتصادى المنظم للبدو فى نفس مناطقهم التى يعيشون فيها ، أو على الأقل فى أقرب الأماكن الى هذه المناطق .

ومعنى ذلك أن التوطين لابد أن يتحول الى عملية تغيير لظروف البادية الطبيعية ، واخضاعها للاستغلال الاقتصادى المثمر ، ولعل التقدم العلمى والتكنولوجى المعاصر أكبر عون فى تحقيق ذلك .

كذلك فان التوطين لابد أن يأخذ صورة استشارية بجانبيها الاجتماعى والاقتصادى فتقام المرافق الانتاجية فى البقاع البدوية التى تثبت البحوث والدراسات صلاحيتها لذلك . ثم تتم بعد ذلك عمليات توطين البدو حول هذه المرافق وتدريبهم ومساعدتهم فى استغلالها وفى الوقت نفسه على تنظيم حياة مجتمعية يرضون عنها ، وتوفر لهم غرض الاستقرار والاندماج القومى فى الكيان القومى ، ويتعين مع ذلك أن تنشأ مرافق للخدمات مخططة جنبا الى جنب مع مرافق الانتاج .

ويسلتزم ذلك بالضرورة أن يسبق التوطين دراسات وبحوث واسعة النطاق ومسح شامل لمناطق البادية حضاريا واجتماعية واقتصاديا وجغرافيا قبل رسم أو تخطيط مشروعات التوطين ، حتى لا تذهب الجهود المبذولة فى هذا المضمار هباء .

وللمملكة العربية السعودية فى مجالات التوطين تجارب قديمة وحديثة بل انها كانت من أقدم الدول العربية التى مارست عمليات توطين البدو فحين وفق الله تعالى الملك عبد العزيز بن سعود الى انشاء المملكة ورأى حال أهل البادية وما هم عليه من معيشة شاقة وعدم استقرار ، فكر فى طريقة تعينهم على ترك حياة الارتحال والأخذ مما توفره لهم حياة الاستقرار من فرص الرزق المأمون والعلم والتقدم ، فدعى البدو الى حياة الهجر وهى أماكن تتوفر بها امكانيات اقامة حياة اجتماعية مستقرة ، وسميت هذه الأماكن « بالهجر » اشارة الى أن من يترك حياة الارتحال الى حياة الاستقرار يكون قد هاجر من الجهل الى النور ومن حياة الرعى الى حياة الزراعة والفلاحة .

ولقد تعرضت هذه التجربة الاجتماعية الرائدة الى ظروف لعل أهمها عدم توفر الامكانيات الفنية ، والتكنولوجية مما أدى الى توقفها . ولكن مهما كان الأمر ، فانها بلا ريب تجربة قامت على أساس سليم هو التوطين فى البادية نفسها لا ترحيل البدو . ومن هنا استمرت هذه الفكرة كامنة فى أذهان العاملين على تحسين ظروف البادية ، حتى أنها لاتزال تراود التفكير المعاصر بقوة ، ومن ثم فان التجارب الحالية لتوطين البادية أخذت بنفس الفكرة ، وان اختلفت فى الاسلوب ، وفى الاستعانة بكل ما يتيحه العصر من التقدم العلمى ، والتكنولوجى لتوفير كل الفرص الممكنة لنجاح تجارب التوطين فى المملكة (تجربة مشروع حرض ، ومشروع واحة جبرين .) .

المرحلة الأولى :

مرحلة الدراسات ، والابحاث الجيولوجية ، والمائية ، والتربة لاختيار أنسب الأماكن لاقامة مجتمعات التوطين فى شتى أنحاء البادية .

المرحلة الثانية :

مرحلة الدراسات ، والبحوث الاجتماعية لاختيار البدو الذين يقبلون حياة الاستقرار الزراعى ، والذين يتمتعون بخصائص تجعلهم قادرين ، وراغبين فى

الاستيطان الجديد ، وتقبل علاقات اجتماعية جديدة ..

المرحلة الثالثة :

مرحلة التخطيط المتكامل للمجتمعات الاستيطانية الجديدة على أن يتضمن التخطيط الجوانب التالية :

(أ) بث الدعوة بين البدو الصالحين للتوطين ، وتمهيدهم للحياة الجديدة ..

(ب) البرامج والمشروعات الزراعية

(ج) التنظيم الاجتماعى الملائم .

(د) برامج الخدمات التعليمية والثقافية والصحية .

(هـ) برامج المواصلات ، وتعبيد الطرق بين مراكز التوطين الجديد وبين سائر أنحاء الوطن .

(و) برامج اعداد حاصلات البادية للتسويق ، ونقلها الى الاسواق المحلية والخارجية ..

المرحلة الرابعة :

مرحلة التنفيذ ، وتصاحبها مرحلة تكييف البدو اقتصاديا ، واجتماعيا وحضاريا للأوضاع الجديدة .

المرحلة الخامسة :

مرحلة التقييم الفترى ، بمعنى أن تجارب التوطين لابد أن تقام على فترات تضمن تلافى الأخطاء ، والتغلب على الصعوبات ، والمشاكل قبل استفحالها وقبل أن تقف حجر عثرة فى طريق نجاح هذه التجارب .

المرحلة السادسة :

مرحلة التوسع ، أو التعميم ، فحين تثبت صلاحية التجارب فانه يمكن بعد ذلك وضع مخططات والتوسع فيها ، أو تعميمها فى أنحاء أخرى فى البادية .

٢ ـ تنظيم المراعى :

والتوطين كما هو واضح من سياق المناقشة السابقة يقوم أساسا على الزراعة ، ومعنى ذلك أنه لو استخدم وحده كأسلوب التنمية البادية ، فانه فضلا عن تكاليفه الباهظة سوف يؤدى الى تصفية نهائية للمراعى الطبيعية التى تقوم على مساحات شاسعة من صحارى البادية .

ولذلك فان تنمية البادية لا بد أن تتجه أيضا ، وبنفس القوة الى انعاش المراعى الطبيعية ، وتنظيم استغلالها ، وتيسير سبل حمايتها فى التناقض ، والتدهور نتيجة للظروف المناخية ، أو نتيجة لسوء الاستعمال .

وترى المملكة أن يؤخذ بمبدأ انعاش المراعى الطبيعية كأحد الطرق الأساسية فى تنمية البادية ، ولعل المملكة العربية السعودية بالذات تشعر بأهمية المراعى لما كانت عليه حتى وقت ليس ببعيد من أهميته مصدر أساسى من مصادر الانتاج فى المملكة .

ولقد كانت المملكة الى وقت قريب دولة مصدرة للأغنام ، والماشية ، والجمال ، ثم تعرضت مراعيها مؤخرا لسنوات جدب ، وجفاف شديد قضت على نسبة كبيرة من الثروة الحيوانية .

وعلى ذلك فان المملكة العربية السعودية تدعو الى الاهتمام بالمراعى الطبيعية بجانب الاهتمام بمشروعات التوطين ، استغلالا للمساحات الكبيرة من الأراضى الصحراوية التى تنبت فيها ، وحتى لا تنكمش المساحات العامرة بالسكان البدو ، وتتقلص لتصبح مجرد بقاع زراعية متناثرة بينها فراغ يقلل من تماسكها ، وترابطها .

ولقد دلت دراسات خبراء المراعى ، والبادية الذين استقدمتهم المملكة مؤخرا لدراسة حالة المراعى على وجود ظواهر ودلائل تبعث على الأمل ، والتفاؤل فى انعاش المراعى الطبيعية ، وفى اعادتها الى مراكزها السابقة كمصدر أساسى من مصادر الثروة القومية . ومن هذه الظواهر :

(أ) اتساع الرقعة التى تملكها البلاد من الأراضى ، والتى لا يزال يغطى أرضها بقايا مجموعات ، أو عشائر نباتية لها أهميتها من الناحية الرعوية ، مما يؤكد امكان اعادة الطاقة الانتاجية لهذه المراعى ، لو بذل فى سبيل ذلك بعض الجهد ، والمال للعناية بها ، وتنظيم المراعى فيها .

(ب) سرعة ظهور نباتات الرعى الجيدة ، واستجابتها للنمو السريع برغم ما صاحب ذلك فى بعض الأحيان من قلة الأمطار .

(جـ) وجود الكثير من الدلائل على أن النباتات التى لم يشأ استعمالها بالرعى الشديد ، أو بتقطيعها للوقود لم تتأثر بمواسم الجفاف التى توالت عليها فى السنوات الأخيرة ..

(د) كثرة أنواع النباتات المنتشرة فى مناطق الرعى المختلفة مما يسمح بامكان تنظيم دورات للرعى ، واعطاء مزيد من الفرص لزيادة الانتاج على فترات زمنية طويلة .

(هـ) وجود امكـــانيات حالية كبيرة (فنية ، ومادية) لتحسين وسائل استغلال وصيانة موارد البلاد الـطبيعية من التربة ، والمياه السطحية والجوفية بمناطق متعددة بأنحاء مختلفة من البلاد ، وهى الموارد الأساسية لانتاج المراعى .

(و) ان كافة العوامل التى أدت الى تدهور المراعى ، ونقص انتاجهـا كالرعى الجائر غير المنظم ، وتقطيع الشجيرات ، والأشجار للوقود وكذلك ظواهر تآكل التربة ، أو ازدياد الملوحة فيها ، ثم نقص الأمطار فى بعض السنين ، كل ذلك يمكن التغلب عليه فى وقتنا الحاضر بوسائل علمية ، وعملية .

(ز) ان النقص الحالى فى تعداد الماشية بسبب الجدب ، ونقص الامطار فى السنوات الأخيرة سيكون أحد العوامل الرئيسية فى امكان تحسين المراعى لوجود فسحة من الوقت لنمو النباتات وتكاثرهـا فى فترة نقص عدد هذه الحيوانات المستهلكة للمراعى .

(حـ) امكان تحسين السلالات الحالية ، خصوصا بسبب النقص الحالى فى عدد الماشية مما يسمح بنشر سلالات جديدة ، تكون لها الفرصة الكافية للتغلب على السلالات المحلية المحدودة العدد فى الوقت الحاضر .

(ط) تدل الأبحاث الحالية على توفير كميات كبيرة من المياه الجوفية فى مناطق كثيرة من المراعى التى ساءت حالتها بسبب نقص مياه الأمطار ، وبالتالى فانه يمكن الاعتماد على مخزون المياه فى باطن الأرض .

وفى ضوء ما سبق تقوم المملكة العربية السعودية بدراسات وأبحاث واسعة النطاق لتحسين المراعى على الأسس التالية .

(أ) عمليات نشر وتوزيع المياه :

تعتبر الوديان بما تناله من موارد اضافية للمياه التى تتجمع من السفوح المحيطة بها فرصة مواتية تسمح بامكـان زيادة موارد البلاد من الأعـلاف ، والهدف من عمليات نشر وتوزيع المياه هو الاستفادة بهذه المياه المتجمعة فى شكل سيول باعادة توزيعها ، ونشرها على مساحات أخرى ، بحيث يمكـن انتاج كميات كبيرة نسبيا من الأعلاف تسد حاجة القطعان فى بعض المواسم .

بالاضافة الى ذلك تلافى الأضرار الفادحة التى تصيب المراعى والتربة فى الوديان من تجميع مياه الامطار على شكل سيول مكونة للأخاديد التى تنحدر فى بطونها المياه الى حيث تضيع مع ازالتها للتربة السطحية بما تحتويه من خصب .

وتعتمد هذه العمليات على انشاء مجموعات من السدود الترابية التى تعوق اندفاع المياه ، ونشرها على مساحات مجاورة تختار بعناية للتوسع الرعوى .

وبالاضافة الى الفائدة المباشرة التى يمكن الحصول عليها من اقامة هذه السدود الترابية (قليلة التكاليف) فان اعاقة سير المياه الى مجارى السيول سوف يؤدى الى الحد من انجراف التربة ، كما يزيد من تسرب المياه السطحية الى باطن الأرض ، مما يزيد من امكانيات زيادة عدد الآبار ، وتصريفاتها ، وهو أمر له أهميته الكبرى فى تغيير ظروف المناطق الصحراوية .

(ب) تنظيم وحماية المراعى والعمل على تحديد مواعيد الرعى ودوراته فى المناطق المختلفة :

تستهدف بعض البحوث ، والدراسات الحالية فى المملكة الوقوف على مدى الامكانيات العملية لتنظيم هجرة القطعان ، وتنقلاتها وتحديد أعدادها ، كما تستهدف أيضا دراسة أنسب الطرق ، والوسائل لحماية المراعى .

فان ماحدث من اتلاف ، وتدمير للمراعى ، ثم ما أصاب الماشية من نقصان ، وهو خلال سنوات الجدب الماضية يشير الى أن من بين العوامل التى أحدثت هذه الأضرار سوء استخدام المراعى ، وتحميلها فوق طاقتها ، فضلا عن الاتلاف والتدمير للنباتات ، واستخدام كميات كبيرة منها للوقود .

وكنتيجة لتغير الظروف ، واستخدام الكثير من وسائل المعيشة الحديثة حتى فى هذه البوادى ، ثم مع النقص الحالى الكبير فى تعداد الحيوانات كل ذلك يسمح بالسيطرة على استخدام المراعى بطرق منظمة ، ولو أمكن تحديد عدد الحيوانات التى ترعى بكل منطقة ، وتنظيم أوقات ومدد الرعى فيها ، فانه يمكن مستقبلا تلافى الأضرار التى اصابت المراعى فى الماضى .

والأساس الذى تقيم عليه فكرة حماية المراعى هو أن استمرار الرعى الجائر دون تنظيم لدورة الرعى فى منطقة ما يؤدى الى نقص نباتات الرعى المستديمة تدريجيا ، وقد يصل ذلك الى الانقراض . ومعنى ذلك أن حماية المراعى تستهدف

تنظيم الرعى فترات زمنية تسمح بنمو مجموعات النباتات ، وتكاثرها لتستعيد الأرض غطاءها النباتى فى الحدود التى تسمح بها طاقاتها الطبيعية .

(جـ) بذر بعض نباتات المراعى فى مناطق مختارة تصلح لذلك :

ويرى الخبراء فى المملكة العربية السعودية بأن هذه العملية تعتبر من العمليات الرئيسية التى يمكن ان يعتمد عليها فى تحسين المراعى ، والتوسع فيها ، الا أنها تتطلب القيام بسلسلة من التجارب تحتاج الى وقت طويل ، والى فنيين يوالون عملية البذر ، ومراقبة النتائج ، غير أنه مع ذلك فان المملكة تولى هذا الموضوع عناية فائقة خلال تجارب الاكثار لشتلات النباتات المختلفة التى تصلح لهذا الغرض .

(د) انتاج أعلاف احتياطية واختزانها لوقت الحاجة :

مرت المراعى فى المملكة بفترات جدب طويلة فى السنوات الأخيرة مما ترتب عليه تناقص قطعان الماشية ، نتيجة لعدم توفر التغذية والأعلاف اللازمة ، حتى لقد وصلت الخسائر فى بعض المناطق البدوية الى ٧٥ ٪ من مجموع القطعان ، وفى مناطق أخرى وصلت الى أكثر من ذلك ، ربما الى ٩٠ ٪ .

وللاستفادة من هذه التجربة القاسية بدأ التفكير فى المملكة الى اعداد العدة لمواجهة مثل هذا الجدب مستقبلا ، ويأتى فى مقدمة الاجراءات التى يدور التفكير فيها انتاج أعلاف احتياطية باستعمال كل فائض يمكن تدبيره من المياه الجوفية ، ثم اختزان هذه الأعلاف ، وربما تصنيعها لاستعمالها فى الأوقات المناسبة لسد بعض النقص الذى قد تتعرض له قطعان الماشية .

(هـ) تثبيت الكثبان الرملية المتنقلة :

تواجه الزراعة فى بعض المناطق المملكة مشكلة سفى الرمال ، وتنقلات الكثبان الرملية وعلى سبيل المثال هناك جبهة عريضة من الرمال تزحف الآن على منطقة الاحساء ، وقد دلت بعض البحوث على أن هذا الزحف يسير بمعدل حوالى عشرة أمتار سنويا مما نتج عنه طمس بعض القرى بالرمال .

ويدور الكثير من البحوث والتجارب العلمية والعملية لتثبيت هذه الكثبان الرملية بزراعة حشائش المراعى ، وكذلك بطرق أخرى لا تزال فى مراحل التجريب ، وفى ضوء ما تسفر عنه التجارب سوف يتقرر ما اذا كان الممكن

التوسع فى هذه العملية حماية للمراعى ، ولمضارب ومساكن البدو التى تتعرض لزحف هذه الرمال .

(و) زيادة عدد موارد مياه الشرب للقطعان وحسن توزيعها :

تشير تقارير الخبراء فى المملكة الى أثر تجمع أعداد ضخمة من الابل والأغنام حول الآبار للشرب ، وكيف أن ذلك يؤدى الى نضب هذه الآبار مع مضى الزمن .

ولذلك فان الجهات المختصة فى المملكة تبذل جهودا مضاعفة فى الوقت الحاضر لزيادة موارد المياه . وتنظيم توزيعها بما يتناسب مع حاجة كل منطقة .

ومن أهم المناطق التى تحتاج الى زيادة موارد المياه هى المناطق المعروفة بالمظمات ، وقد يأتى فى مقدمتها منطقة النفوذ الكبير ، والتى قد تزيد مساحتها عن عشرة ملايين من الأفدنة .

وهناك مجموعة من البرك القديمة (خزانات تجميع المياه) وأثرها مردوم ، أو مطمور ، كما تشاهد آثار الكثير من الآبار المطمورة التى يدور البحث ، والمحاولة فى اعادة حفرها ، كما أن هناك فرصا كبيرة تحت الدراسة لتوزيع عدد من المراوح الهوائية على آبار كثيرة خصوصا فى منطقة وادى السرحان ، ويضاف الى ذلك الدراسات والبحوث والخطط التى توضع لعمليات اقامة السدود ، وحفر المياه التى أشير اليها عند مناقشة موضوع نشر وتوزيع المياه .

٣ ـ تعمير الصحارى :

يتبقى بعد التوطين المنظم ، وبرامج تحسين المراعى مساحات واسعة من الصحارى لا تصلح لكلا الغرضين . وتعمير هذه البقاع الشاسعة أمر يفرضه منطق العصر وتسمح به الامكانيات العلمية والتكنولوجية .

ومن الوجهة القومية تقف الصحارى المهجورة عقبة فى سبيل التماسك القومى ، فهى تفصل فصلا حادا بين أجزاء الوطن الواحد بطبيعتها الجغرافية القاسية .

ومن الوجهة الاقتصادية فان عدم ارتباط المناطق الزراعية ، والصناعية المنتجة بسبب ما تحدثه الصحارى من عوائق فى الاتصال المباشر السريع يجعل تطور الاقتصاد الوطنى جميعه يواجه الكثير من الصعاب .

المراجع

الرقم	المؤلف	الكتاب
١	الحسن بن عبد الله الاصفهانى .	بلاد العرب ـ الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .
٢	ابراهيم رفعت باشا	مرأة الحرمين ـ الجزء الاول .
٣	ابراهيم رفعت باشا	مرأة الحرمين ـ الجزء الثانى .
٤	أحمد الخشاب	العلاقات الاجتماعية ـ الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م القاهرة .
٥	احمد عسر	معجزة فوق الرمال ـ الطبعة الثالثة ٧١ / ٧٢ م ـ ٩١ / ٩٢ هـ ، بيروت .
٦	احمد عسر	معجزة فوق الرمال ـ الطبعة الثالثة المطابع الاهلية اللبنانية ـ ١٩٦٦ م بيروت
٧	احمد ابراهيم الشريف	مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ، القاهرة
٨	احمد ابو زيد	البقاء الاجتماعى ـ الجزء الثانى الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ م .
٩	أمين الريحانى	ملوك العرب ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الرابعة ـ دار الريحانى للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٠ م .
١٠	بكر العمرى	علم السياسة ـ دار الاصفهانى ـ جدة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .
١١	زيدان عبد الباقى	علم الاجتماع الحضرى ـ الطبعة الاولى ١٩٧٢ م القاهرة .
١٢	حسن على خفاجى	التغير الاجتماعى والمجتمع المتحضر الطبعة الاولى ـ دار الاصفهانى ـ جدة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

١٣ حسن على خفاجى — دراسات فى علم الاجتماع ـ الطبعة الاولى ـ دار الاصفهانى ـ جدة ١٣٩٤ ه ـ ١٩٧٤ م .

١٤ حمد الجاسر — بلاد ينبع ـ المملكة العربية السعودية الرياض ـ دار اليامة .

١٥ حمد الجاسر — فى شمال غرب الجزيرة ـ الطبعة الاولى دار اليامة ـ الرياض ، ١٣٩٠ / ١٩٧٠

١٦ حافظ وهبة — خمسون عاما فى جزيرة افعرب ـ مطبعة الحلبى واولاده ـ القاهرة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .

١٧ ياقوت الحمدى — معجم البلدان ـ المجلد الثانى ـ بيروت ١٣٨٨ ه / ١٩٦٨ م .

١٨ محمد السلاح — رحلة الى ينبع ـ المطبعة العربية بباب النصر ـ حلب ـ سوريا .

١٩ محمد عبد الرحمن الشامخ — التعليم فى مكة والمدينة اخر العهد العثمانى ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .

٢٠ محمد عاطف غيث — القرية المتغيرة ـ الطبعة الاولى ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٢ م .

٢١ محمد السيد غلاب — البيئة والمجتمع ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٢٢ محمد بن عبد الله بن بليهد . — صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب أثار ـ الجزء الخامس ـ مطبعة السعادة مصر .

٢٣ محمد احمد باشميل — غزوة بدر الكبرى ـ الطبعة الخامسة ـ ٩٦٣ م

٢٤ محمود طه أبو العلا — جغرافية شبه جزيرة ـ الجزء الثانى جغرافية المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧٢ م .

	المؤلف	الكتاب
٢٥	مصطفى الخشاب	علم الاجتماع ومدراسه ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٢٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .
٢٦	مكى الجمل	البدو والبداوة فى البلاد العربية ـ دراسة لاحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ـ القاهرة
٢٧	نجلاء عز الدين	العالم العربى ـ الطبعة الثانية ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة .
٢٨	نهاد الغادرى	التحدى الكبير ـ الطبعة الاولى ـ الف ليلة وليلة ـ بيروت .
٢٩	عبد الله بن محمد بن خميس	المجاز بين اليمامة والحجاز ـ الطبعة الاولى ـ دار اليمامة ـ الرياض ، ١١٣٩٠ ـ ١٩٧٠ م .
٣٠	عبد الوهاب عبد الواسع	التعليم فى المملكة العربية السعودية دار الكاتب العربى ـ بيروت .
٣١	عبد الكريم الخطيب	من زوايا التاريخ ـ مطبعة المؤسسة السعودية ـ مصر .
٣٢	عبد الكريم الخطيب	من تراث الجزيرة العربية شعراء ينبع وجهينه ـ الجزء الاول ـ مطابع الناشر العربى ـ القاهرة .
٣٣	عمر الدسوقى	الفتوة عند العرب ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة
٣٤	عمر فروخ	العرب فى حضارتهم وكثافتهم ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٦٦ م .
٣٥	عمر رضا كحالة	جغرافية شبة الجزيرة العربى ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .
٣٦	عمر رضا كحالة	دراسات اجتماعية فى العصور الاسلامية المطبعة التعاونية ـ دمشق ـ ١٣٩٣ ه ١٩٧٣ م .
٣٧	عمر رضا كحالة	معجم القبائل العرب القديمة ـ الحديثة الجزء الاول ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م

٣٨ علی عبد الواحد وافی — الاسرة والمجتمع ـ الطبعة السادسة مكتبة نهضة مصر ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م

٣٩ عبد الجبار الراوی — البادية ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة العانی بغداد ـ ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م .

٤٠ عبد الكريم الجهيمان — الامثال الشعبية فی قلب جزيرة العرب ١٣٨٣ هـ .

٤١ عبد الرحمن ابن خلدون — المقدمة ـ المكتبة التجارية المصرية القاهرة ـ ١٩٦٢ م .

٤٢ علی صالح السلوكی الزهرانی — المعجم الجغرافی للبلاد العربية (بلاد غامد وزهران) دار النشر دار اليمامة ـ المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ـ ١٣٩١ هـ .

٤٣ علی حافظ — فصول فی تاريخ المدينة المنورة شركة المدينة للطباعة والنشر .

٤٤ علی حلمی — رعاية الشباب بالتربية القومية والرياضية والاجتماعية ـ الطبعة الخامسة ـ القاهرة الدار القومية للطباعة والنصر ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .

٤٥ عائشة عبد الرحمن — قيم جديدة للادب العربی ـ دار المعارف القاهرة .

٤٦ علی فؤاد عبد المنعم — محاضرات فی التنمية الريفية ، مكتبة القاهرة الحديثة .

٤٧ عبد الجليل الطاهر — البدو والعشائر فی البلاد العربية القاهرة ١٩٥٤م

٤٨ فاخر عقل — عالم التربية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

٤٩ فؤاد حمزه — قلب جزيرة العرب ـ المطبعة السلفية ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٢ م ـ القاهرة .

٥٠ فهمی اسماعيل عبد السلام — أثار العصبية ـ مجلة العربی ـ العدد ١١٥ ـ الكويت .

٥١ صلاح مصطفى الفوال — تنمية المجتمعات الصحراوية ـ (أسس نظرية) .

٥٢ صلاح مصطفى الفوال — البداوة العربية والتنمية ـ القاهرة .

٥٣ صلاح الدين المختار — تاريخ المملكة ماضيها وحاضرها ـ الجزء الثانى ـ ١٣٩٠ هـ .

٥٤ رشتون لوكبورن — أصل المجتمعات المتحضرة ـ الهيئة المصرية للتأليف والنشر ـ ١٩٧٤ م .

٥٥ شوقى ضيف — البطولة فى الشعر العربى ـ دار المعارف القاهرة .

٥٦ شوقى ضيف — العصر الجاهلى ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٥٧ وزارة المواصلات — ميناء ينبع ـ المملكة العربية السعودية .

٥٨ وزارة الزراعة والمياه — نشرة فى الارشاد الزراعى ـ العدد الثانى ـ المجلد الثانى ـ ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .

٥٩ وزارة الاعلام الحكومية الكويت — مجلة العربى الشهرية ـ العدد ١٨٤ ـ مطابع مجلة العربى ـ استطلال عن حرض .

٦٠ مجلة العربى — العدد ١٦٨ ـ مايو ـ أيار ـ ١٩٧٣ م .

٦١ مجلة العربى — الجزء الاول من السنة الرابعة ـ رجب ١٣٨٩ هـ ص ٣٠ .

٦٢ حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ـ مطبعة مصر ١٩٤٩

٦٣ وزارة الشئون الاجتماعية والعمل — رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم ـ الجزء الاول والثانى ـ المؤتمر التاسع للشئون الاجتماعية والعمل ـ دمشق ـ ١٩٦٥ م .

٦٤ — الازهار النادية من أشعار البادية مكتبة المعارف ـ الطائف ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة المدنى ـ الجزء الاول

فهرس

رقم الصفحة

طبعت بمطابع دار البلاد ـ جدة

ملتزم التوزيع مكتبة دار الشروق ـ جـدة

الـغلاف تصميم سيد هاشم